الخيمي
رواية
محمد إبراهيم محروس

الأخير

رواية لـ

محمد إبراهيم محروس

للنشر والتوزيع

مقدمة

كان علينا الانتظار للنهاية لمعرفة كل شيء يخص هذا العمل ، المؤلف نفسه احتار كثيرًا ليضع نهاية للأخير.

فلم يكن يتصور قط أن تكون البداية بتلك الصورة..

ولم يكن يعرف النهاية هو الآخر.

ربما يكون هو الأخير الذي كان ينتظر تلك اللحظة التي يخلو بها بنفسه ليتعرف على أبطال الرواية .

من منهم كان يستحق الحياة . ومن حكم عليه القلم ليضع نقطة النهاية في حياته.

من منهم الأخير. من عليه الدور ليذهب لهناك . في تلك اللحظة التي يقرر فيها الذهاب .

هل يتحكم القلم حقًا بمصير أبطالنا أم أن المؤلف يحكم قبضته على الشخصيات .

أم أن الشخصيات نفسها هي من أصبحت تكتب تاريخ حكايتها وأسرارها .

الكثير من الأسرار تذهب بالعقل عندما تنكشف للعيون .

ولكن أي سرّ أحق أن يكشف الآن .. هل هو سر الأبطال الذين رمتهم الظروف في وجه مؤلف هذا العمل .

ربما يعتقد الكثيرون أنهم يدخلون على عمل مختلف . لأنه الأخير.

كان عليّ الانتظار أنا أيضا لأحكم قبضتي عليهم . ولكنهم هم من اختاروا حكايتهم بصورة أو بأخرى . كان على الجميع بما فيهم أنا أن ينتظر.

ثرثرة كثيرة قبل البداية . ربما لأن هذه أول مقدمة أكتبها كمؤلف لرواية لي . وربما لأنني لم أكتبها حقًا بل كتبها هو .

كان ينتظر تلك اللحظة ليشاركني الفرحة بصدور الرواية . كان يتعشم أن يعرفه الآخرون قبل النهاية . أدرك مثلي أن لكل شيء نقطة يجب عليه أن يبدأ منها . وكانت نقطة انطلاقه الحقيقية عندما قرر أن يكتب معي تلك المقدمة . أن يشطب ما لا يليق بأن يكتب . وأن يختار تلك الجمل الجذابة التي تجذب الأسماع . هل نتكلم عن بطل الرواية أم نتكلم عن الأخير.

الذي قرر أن يشرح كل شيء ولا يقول أي شيء .. ليكن دعونا ننتظر معا . فربما كان هو الخلاص لكل مشاكلنا . وربما كان هو الطريق للنهاية . نهاية كل شيء .

معا نفتح السطور الأولى لنعرف هل كل ما حدث كان حقيقة . أم أن على الأخير أن يكمل ما بدأه مع شخص آخر.

المؤلف

والأخير

لمدة ست شهور كاملة كان فتحي يضع القرش على القرش كما يقولون لشراء جهاز كمبيوتر محمول .. أنه يعلم أن الوصول لهذا الحلم كان مستحيلاً في ظل ظروف أبيه وأمه المالية..

تعود فتحي منذ زمن أن يعتمد على نفسه ، كان يذهب إلى الجامعة صباحًا ، في المساء كان يعمل في وردية ليلية في أحد المطاعم ، كسائق دراجة بخارية لتوصيل طلبات " الدليفري " .. فتحي شاب في أوائل العشرينات ، معتدل القامة ، عيناه سوداوان تشعرانك عند النظر إليها بالألفة ..قوي البنية ..وجهه تشع منه طيبة غير طبيعية .. تشعر في أول مقابلة معه أنك تعرفه منذ زمن بعيد .. متردد ، وقلق ، وعصبي أحيانًا مثل معظم الشباب في سنه .. كانت أحلامه دائمًا أكبر من إمكانياته المتواضعة ، ولكنه كان يقول لنفسه إنه أبدًا لن يضع سقفًا لأحلامه ؛ ليدعها تنطلق ويتحقق ما يتحقق ... كان مرض أبيه الأخير قد أصابه بالتوتر الزائد وحول حياته لجحيم من التفكير المؤلم، ولكنه حاول أن يحافظ على تلك الابتسامة المشرقة على شفتيه كلما جمعته جلسة بأبيه.. أمه ست بيت من الطراز الأول .. لم يعشق مذاق أي طعام غير طعام أمه برغم عمله في مطعم راق.. كان فتحي يفكر دومًا في ذلك الكمبيوتر المحمول الذي رآه منذ فترة طويلة أثناء بحثه عن أسعار الحديث من الأجهزة .

كان كلما جهز المبلغ ويذهب لشراء هذا الكمبيوتر المحمول يجد أن السعر ارتفع ، فيعود ممنيًا نفسه أن يكمل المبلغ قريبًا ، خصوصًا إن هناك أمورًا طارئة تجد على العائلة تدفعه أحيانًا أن يدس في يد أمه مبلغًا كل فترة حتى تسير الحياة ..

هذه المرة المبلغ كامل.. إنه يحلم بجهاز ذي مواصفات معينة .. وقرر أن لا يتنازل عن هذا أبدًا..

راح فتحي يقطع الشوارع بدراجته البخارية ، باق معه طلب واحد يوصله إلى الأستاذ وجيه .. لا يعرف فتحي لماذا ينقبض قلبه كلما قام بتوصيل طلب إلى الأستاذ وجيه .. شيء في وجه الرجل يثير حيرته ، شيء لا يعرفه تحديدًا ولا يستطيع أن يدرك كنهه .. الأستاذ وجيه كان في الستين تقريبًا ، ولكنه ملئ بالنشاط يحافظ على لياقته البدنية ، كثيرًا ما رآه فتحي وهو يوصل الطلبات يقوم برياضة الركض ليلاً، طلبات الأستاذ وجيه معروفة ، هذا الرجل بالتأكيد مغرم بمطعمهم ، فهو تقريبًا زبون يومي ، لم يتأخر يومًا عن طلبه المعتاد منذ عمل فتحي في المطعم، ودوما يطلبه بعد منتصف الليل .. الثانية عشر مساءً يدق التليفون في المطعم ، يعرف أن المتصل هو الأستاذ وجيه.. أنه لا يتأخر قطّ.. يطلب وجبة ضخمة تكفي لخمس أفراد على الأقل ويغلق الخط .

لا يعرف فتحي كيف يأكل الأستاذ وجيه كل هذه الكميات من الطعام ، ويحافظ على لياقته البدنية في نفس الوقت.. السيارات تزاحم فتحي الطريق، ولكنه يعرف كيف يتخطاها ، موهبته في قيادة الدراجات البخارية لا يضاهيه فيها أحد ..

المنطقة هادئة.. وهو يدخل بدراجته البخارية وصوت موتورها المرتفع ، لم يقلل من سرعته حتى بدت له العمارة ... الجو بارد بالتأكيد كما تعلمون فنحن في أول يناير .. والشتاء هذا العام يأتي قارسًا، لقد آمن على محل الكمبيوتر الذي قرر أن يشتري جهازه منه أن ينتظره الرجل حتى الواحدة

صباحًا.. لذا كان يركن الدراجة بسرعة أسفل العمارة ويفتح الصندوق الخلفي ويأخذ الطلب بيده، ويرتقي السلم لداخل العمارة بكل سرعته ، المصعد بالتأكيد معطل.. لا يعرف لماذا يركبون مصاعد في العمارات وهي دوما معطلة ، ولكنه فوجئ هذه المرة أن المصعد يعمل، فقد رأى بمجرد دخوله العمارة شخصًا يهبط منه ، ابتسم وهو يغلق " سوستة " الجاكت ويدلف إلى المصعد .. ضغط على زر الدور الخامس .. ورأى أبواب المصعد وهي تغلق فتنفس بعمق ، جسده يرتعش من البرد وأنفاسه مضطربة.. وما زالت مضطربة نظرًا للسرعة الفائقة التي كانت يقود بها.. كان يشعر بالهواء وكأنه سوط يجلد وجهه وقتها، ولكن التأخير اليوم مستحيل .. فالحلم بين يديه الآن .

فجأة ارتج المصعد بعنف وتوقف قبل أن يبلغ الدور الخامس ، اتسعت عينا فتحي غيظًا.. أهذا وقت يتعطل فيه المصعد ؟!

راح يضغط على زر الدور الخامس ضغطًا مستمرًا بحنق بالغ ، ولكنه المصعد ظل كما هو والإضاءة تقول إنه بين الدور الثالث والرابع ، أخذ يخبط على جوانب المصعد ويرفع صوته بالهتاف؛ لعل أحدًا يسمعه ، ولكنه لم يتلق أية إجابة لصرخاته العالية .

بالتأكيد سيتأخر عن الرجل بهذه الصورة .. اللعنة على الأستاذ وجيه وطلباته الليلية المملة ، أخرج هاتفه المحمول واتصل بالأستاذ وجيه، جاءه صوت وجيه متسائلاً: ما الأمر ؟!

أخبره فتحي أنه محبوس في المصعد بين الدور الثالث والخامس ، فقال الرجل: إن عليه أن ينتظر فسوف يتصرف هو ..

الأماكن المغلقة . لقد سمع فتحي منذ فترة عن فوبيا الأماكن المغلقة، وكيف تثير الرعب لدى بعض الأفراد . ولكنه يظن أنه لم يخش يومًا تواجده في مكان مغلق . ولكنه دومًا يخشى التأخير، فالزبائن دائما متعجلون . فمن يطلب طلب " ديلفري" يظن أنه الوحيد في العالم الذي ينفع محلهم، وأنه بمجرد أن يغلق سماعة الهاتف سيكون الطلب بين يديه ، وبرغم هذا دومًا فتحي قادر على تخطي هذا الأمر..

الدقائق تمر ببطء، يشعر أنه ظل محبوسًا في المصعد لساعات، يقولون إن الهواء في المصاعد قليل . هل يختنق ؟! كلاّ بالتأكيد. أن أنفاسه الآن أهدأ ولا يشعر بأي صعوبة في التنفس. الصعوبة الوحيد التي يشعر بها أنه لن يصل لمحل الكمبيوتر في الميعاد، أخبرًا ارتج المصعد بصورة تدل أنه في طريقه للعمل، ورأي الرقم ينتقل من الثالث للرابع للخامس ثم فتحت الأبواب . أطلق زفرة حارة وهو يرى الأستاذ وجيه ينتظره على باب المصعد في الدور الخامس. كان الرجل يرتدي بذلة كاملة ، تساءل فتحي بداخله لماذا متأنق الأستاذ وجيه بهذه الصورة في هذه الساعة من الليل ؟! لكنه منع التساؤل من أن يشغل باله كثيرًا وهو يخرج من المصعد بسرعة وتغلق الأبواب خلفه ، أشار له الأستاذ وجيه أن يتبعه .. تبعه فتحي في هدوء حتى باب الشقة الذي كان مغلقًا، راح الأستاذ وجيه يفتش في جيوبه للحظات عن مفتاح الشقة، فكاد فتحي أن يصرخ له : كلاّ أرجوك .

ولكن بعد هنيهة ابتسم الرجل وهو يخرج المفتاح من أحد جيوبه وبولجه في ثقب الباب.. وسمع فتحي دوران رتاج القفل، فتنهد، أشار له وجيه أن يدخل، فاعتذر فتحي وهو يمد يده بالطلب، ولكن الأستاذ وجيه أصر أن يدخل ويشرب كوبًا من العصير على الأقل بعد فترة الخوف التي عاشها في المصعد،

الرجل رحب الصدر وبشوش برغم أن ملامح وجهه دومًا تشي بالغموض والحيرة ، امتثل فتحي للأمر وهو يضع الطلب على أول مائدة في وجهه ، اختفى الأستاذ وجيه لدقيقة قبل أن يعود وبيده كوب من العصير. مد يده لفتحي به ، لماذا شعر فتحي فجأة برجفة في بدنه وهو يتناول كوب العصير، هناك شيء في هذه الشقة يقبض النفس، برغم أناقة الديكورات.. كان هناك مجموعة من اللوحات العجيبة الخطوط معلقة في الصالة ، لوحات تظهر رسومات شديدة الغرابة ، شيء في هذه اللوحات أصاب فتحي بالرعب ، معظمها مجرد لوحات لوجوه مختلفة.. ترى نظرة من الرعب تطل من الوجوه المرسومة ، والتي يبدو أن من رسمها كان يتمتع بقدرة ما على تجسيد الألم والمعاناة في أبشع صورة لهما ..

ارتشف فتحي آخر رشفة من العصير، ووجد الأستاذ يمد يده بمبلغ الفاتورة والبقشيش فأخذه شاكرًا ، ودعه الرجل إلى الباب .. غادر فتحي الشقة وذهنه مشغول بتلك اللوحات العجيبة ، ونظرة الأستاذ وجيه له التي بدت عميقة، وكأنه يتذكر شيئًا ما يريد إخباره به .

بعد هنيهة وفتحي يتزل الدرج مسرعًا كان يرمي تفكيره في الأستاذ وجيه خلف ظهره ، فلم تتبق سوى ربع ساعة حتى يلحق ميعاده مع محل الكمبيوتر...

اتصل بالهاتف المحمول ليؤكد أنه في الطريق، ولكنه وجد الرد الآلي أن الرقم الذي طلبه قد يكون مغلقًا أو خارج نطاق الخدمة ، حاول عدة مرات وأتت نفس النتيجة ..

الشوارع تجري من أمامه وأعمدة الكهرباء وكأنها تغادر أماكنها وهو يطلق العنان للدراجة البخارية؛ لتنطلق بأقصى سرعتها ، يمر من بين السيارات في

سرعة مجنونة . يسمع أحيانًا سبابًا من سائقي السيارات ولكنه لم يكن يهتم . المهم أن يصل الآن في الميعاد.

أخيرًا بدا الشارع الذي به المحل أمامه دخله بسرعته، ولكن عندما هدأت سرعة الدراجة أمام المحل وجده مغلقًا . كاد أن يقذف بدراجته البخارية إلى الأرض ويصرخ حانقًا..

ولكن بعد أن وقف لوهلة يلتقط أنفاسه اللاهثة ، اقنع نفسه أن الأمر ليس خطيرًا . عليه أن ينتظر للغد.. يوم واحد لن يفرق، فلقد انتظر فترة طويلة من قبل .

وجد بعض النظرات من الفضوليين الذين يقطعون الشارع في هذه الساعة المتأخرة من الليل .. فلم يلق بالاً إليهم وهو يعود إلى الدراجة ويدير محركها ، ويندفع بها مغادرًا الشارع ..

لاشيء مهم الآن سوى أن ينهي فتحي يومه ودوامه بتسليم قيمة الفاتورة الأخيرة ثم يركن دراجته أمامه في مرأب المحل .

هدأ فتحي من سرعته وهو يدور في الشوارع، فالبرد قارس، والهواء الذي يلفح وجهه كلسعات الكرابيج جعله يقلل السرعة قد الإمكان ..

شرد ذهنه في محاضرة الغد، وتذكر أن عليه أن يقضي ساعة قبل نومه في قراءة المحاضرة السابقة قبل ذهابه للجامعة غدًا .

لمعت أضواء المحل الذي يعمل فيه من بعيد وهو يدخل الشارع المؤدي إليه .. انتبه لعم حسن الرجل العجوز الذي يشرف على إغلاق المحل وهو يقف

خارج المحل يشعل سيجارة وينفخها في الهواء .. التدخين بالداخل ممنوع . ركن الدراجة أمام عم حسن الذي ابتسم له وحياه وهو يدلف لداخل المحل...

وجد كريم الكاشير ينظر إليه متعجبًا قبل أن يقول له :

- لماذا تأخرت ؟!

سلمه فتحي قيمة الفاتورة وهو يقول في سخط :

- مشاكل لم تكن متوقعة.

قال كريم متسائلاً:

- حادثة ؟

هزّ فتحي رأسه وهو يقول والغيظ لم يغادره بعد :

- كلاّ .. مصعد العمارة تعطل بي.. وظللت محبوسًا في الداخل لفترة مزعجة .. لكن الحمد لله اتصلت بالأستاذ وجيه فحل المسألة .. وإلاّ لكنت محبوسًا للآن.

قال كريم وهو يبتسم في غموض :

- جهز نفسك الآن فستذهب للأستاذ وجيه بطلب آخر.

تقطب جبين فتحي وهو يكاد يصرخ عجبًا :

- طلب آخر .. هل أكل الرجل بهذه السرعة الطلب الأول ؟!

قال كريم بابتسامته المملة بالنسبة لفتحي :

- الطلب الأول لم يصل كاملاً .. واضح أنك كنت شارد الذهن .. راجع صندوق الدراجة ..

خرج فتحي من المحل بسرعة ، فتح صندوق دراجته ونظر بداخله، اللعنة! بالفعل باقي الطلب في الصندوق ..

أشار له كريم أن يحضر الباقي من الطلب القديم .. وهو يشير إلى طلب آخر مجهز منذ لحظات ..

قائلاً في تشف:

- سيخصم الطلب الأول من حسابك ..

ما هذا الأمر .. ما كان ينقصه هذا في نهاية اليوم .. الطلب يوازي مرتب يوم كامل .. تبًا للأستاذ وجيه وشقته ، كاد فتحي أن يقسم أنه لن يقوم بتوصيل طلب آخر ، ولكن كريم بنبرة صوته الهادئة الباردة نبهه في همس أنه لم يخبر المدير بما حصل ويكفي خصم مبلغ الفاتورة من حسابه ..

تنهد فتحي في غيظ وهو يضع الطلب الجديد في صندوق الدراجة ، وينطلق في سرعة مجنونة ، حانقًا على الأستاذ وجيه ، وربما تمنى له الموت في هذه اللحظة .. ولكنه استغفر الله في النهاية معنفًا نفسه على تمنيته السيئة للرجل

، فهي غلطته هو ، كان يجب أن ينتبه من البداية ، والأستاذ وجيه لم يكن في يوم ما غير ودود في استقباله أو بخيلاً .

أخيرًا هدأ تفكير فتحي وهو يصعد السلم إلى الدور الخامس ، لن يركب المصعد مرة ثانية اليوم ، يكفيه تجربة واحدة معه . كان برغم أن أعصابه قد هدأت لدرجة ما ولكن العبوس كان ينطق من كل ملامحه ، وهذا ما لاحظه الأستاذ وجيه وهو يفتح باب الشقة مبتسمًا قائلاً : تفضل .. آسف أنني أرجعتك مرة ثانية في هذه الساعة المتأخرة ، ولكن الحقيقة أن الطلب الأول كان باردًا بسبب عطلة المصعد ، لو كان الأمر أن الطلب ناقص فقط ما طلبت المطعم مرة أخرى .

لم ينطق فتحي وهو يمد يده بالطلب إلى الأستاذ وجيه .. فأمسك الرجل بيده وهو يقول : من الواضح أنك غاضب .. وجهك يقول هذا .. هل تسمح بالدخول قليلاً .. إنني أعد الشاي ، سأصب لك كوبًا في هذا الجو أنت تحتاجه .

أراد فتحي أن يعتذر بالفعل ويضع له الطلب على المائدة وينصرف، ولكن نظرة الرجل المرحبة ونبرة الترحيب الواضح في كلامه جعل فتحي يهزّ رأسه موافقًا وهو يدخل ...

الشقة ثلاث غرف ..كانت اثنتان منهم مفتوحتين بينما الأخيرة مغلقة .. الأولى من الجلي أنها غرفة أعدها الرجل لتكون مكتبه ، بالتأكيد الأخرى هي غرفة نومه ، الغرفة الأخيرة لمن؟ إن فتحي لم ير مرة واحدة شخصًا لدى الأستاذ وجيه .. وبالطبع لم يسأله مع من يعيش ، ولكن سأل عدة مرات كريم الكاشير

فقال إنه لا يعرف..فالرجل وطلباته تقريبًا لم تظهر إلاّ بعد أن عمل فتحي في المحل ويجوز قبل ذلك ولكنه لا يتذكر ..

فتحي يؤكد تقريبًا لنفسه أن الاستاذ وجيه يعيش وحيدًا لما يراه حوله وذلك الصمت المطبق على الشقة .. هناك كتب عديدة متناثرة على مقاعد ، أراد فتحي أن يمد يده ليمسك أقرب كتاب إليه، لكنه رأى أن الأمر غير مناسب .. الفضول طبيعة بشرية لا يستطيع أن يتخلص منها، لكنه ظل في مكانه ثابتًا .. دقائق وكان الأستاذ وجيه يضع أمامه كوبين من الشاي الساخن يتصاعد البخار منهما، وفي هذا الجو البارد وجد فتحي يده تمتد للكوب دون استئذان ويرفعه إلى شفتيه ، وراح يرشفه في استمتاع .. الرجل بالفعل أعد كوبًا ممتعًا لم يتعود فتحي أن يذوق مثله إلاّ من يد أمه ..

تذكر أمه يجب أن يجلب لها دواء الضغط وهو عائد . تقطب جبين فتحي وهو يتذكر المبلغ الذي سيخصم من حسابه.. كان يعتمد عليه؛ ليجلب دواء الضغط لأمه.الآن عليه أن يسحبه من حساب الكمبيوتر المحمول ويعوضه غدًا . لاحظ الأستاذ وجيه ذلك العبوس على وجه فتحي فقال في هدوء :

- ألا تزال غاضبًا؟!

تحشرج صوت فتحي وهو يقول :

- كلاّ بالطبع.. يكفي استقبال حضرتك لي وكوب الشاي الممتع الذي اعتدته بنفسك.

- لماذا إذن هذه التقطيبة التي تظهر على وجهك ؟

- الحقيقة لقد حدث أمر غريب اليوم لي.

بدا الفضول على وجه الأستاذ وجيه الذي قال :

- هل هو بخصوص عملك ؟ اسمح لي أن أتدخل قليلاً لمعرفتك أكثر ، فأنا كما ترى شخص وحيد يكاد يعيش في جزيرة معزولة عن البشر.. وأنت تذكرني بابني عمر.. كان أكبر منك قليلا.. هيا احكِ لي .

صوت الرجل ونبرته التي تشعرك أنها تتغلغل داخل نفسك ، جعلت فتحي يحكي كل ما حدث اليوم له، لم يعرف لماذا شعر بالارتياح بعد أن أنهى الحكاية .. أراد أن يستفسر فتحي من الأستاذ وجيه عن ابنه عمر وأين هو؟ .. ولكنه شعر أن في الأمر تجاوزا قد لا يسمح به الرجل ، فلزم الصمت ، لكن الأستاذ وجيه كان يشعر بالوحدة فعلا .. فبدأ بالفعل الرجل يقول لفتحي ويحكي عن ابنه عمر ... كان عمر في الخامسة والعشرين عندما غادر الحياة .. هذا ما عرفه فتحي .. عمر وأمه في يوم واحد، منذ سنة ونصف تقريبًا.. عربة نقل ضخمة صعدت فوق سيارة عمر فسحقته هو وأمه التي كانت بجانبه .. الأستاذ وجيه يرفض أن يصدق أن ابنه وزوجته قد غادرا عالم الأحياء؛ لذا يطلب الوجبة التي كان يحبها الابن يوميًا ... بل يطلب كمية تكفي عدة أشخاص .. يتوهم أنه هو والابن والأم يجلسون مساءً على مائدة الطعام .. كادت الدموع تنسال من عيني الرجل وهو يحكي ، ولكنه تماسك وطلب من فتحي أن ينتظره قليلاً وهو يقوم ليفتح الغرفة الثالثة المغلقة . مؤكد أنها غرفة الابن هذا ما ظنه فتحي وقال لنفسه بالتأكيد سيريه صورة ابنه..

الرجل كان شديد الحساسية بالفعل، وهناك أزمة في حياته مؤلمة، أنكر فتحي تفكيره السيئ في الرجل، الرجل فقد زوجته وابنه، وفتحي غاضب من أجل

وجبة ستخصم من راتبه .. قال لنفسه لا يهم الخصم .. أراد الانصراف ليترك الرجل لشجونه الخاصة وحزنه .. بالتأكيد هو الآن في غرفة الابن يبكي وهو يحتضن صورته .

تحرك فتحي تجاه باب الشقة بخفة، لم يكد يضع يده على أكرة الباب حتى سمع صوت الأستاذ وجيه من خلفه وهو يقول : إلى أين ؟!

التفت فتحي إلى الأستاذ وجيه وهو يحاول أن يرسم ابتسامة على شفتيه ، ولكن عينيه وقفتا على شيء يحمله في يده، وبدا ذاهلا وهو يقول : تأخرت !

وضع الأستاذ وجيه ما يحمله على المائدة وأشار لفتحي أن يقترب منه .. اقترب فتحي وهو غير فاهم لما يجري .. لم تمر دقائق حتى كان قلب فتحي يرقص بين ضلوعه ، وتغيرت ملامح الوجه لتنطلق بنظرة متسائلة..

فقد كان ما يحمله الأستاذ وجيه ووضعه على المائدة عبارة عن حقيبة كمبيوتر محمول " لاب توب " .. أخرجه من الحقيبة ووضعه أمام عيني فتحي.. كان يبدو حديثًا للغاية .. قال الأستاذ وجيه: إنه كان يخص ابنه المتوفي عمر، ومنذ وفاة ابنه لم يستخدمه أحد، وأنه سمح لنفسه أن يعطيه هديه له .

لم يعرف فتحي بماذا يجيب بالضبط ..

لم يدر بخلده قط أن يحدث شيئًا كهذا في نهاية يومه ..اعتذر في البداية، ولكن الأستاذ وجيه أصر .. وقال وإن كان فتحي مصرًا على الرفض يمكنه أن يدفع له فواتير الأكل لمدة شهرين ..

بدا الأمر لفتحي مرضيًا لدرجة كبيرة .. فودع الأستاذ وجيه وهو يحمل الجهاز في يده ويهبط السالالم سريعًا .. والفرحة تقفز من كل شيء حوله ..

انطلق بدراجته البخارية وهو يشعر بالدفء العجيب الذي لم يعرف من أين يأتيه الآن .. الفرحة بالفعل تعطي الدفء .

بدت له الشوارع تتراقص في هذه الساعة المتأخرة من الليل.. وبدت الأضواء في عينيه وكأنها زينة معلقة لفرحه الآن .

كان ابتسامته مشرقة وهو يضع الدراجة البخارية في المرآب الخاص بالمطعم ويودع الجميع ، بل أنه اقترب من كريم الكاشير وشكره على خصم ثمن الوجبة منه .. وسط استغراب كريم الكامل. كان يحمل حقيبه الجهاز بيده وينظر لها وهي مغلقة وكأنه ينتظر تلك اللحظة التي يفتح فيها الحقيبة ويختلي بالجهاز .. غذ السير في اتجاه شقتهم .. مرّ في الطريق على تلك الصيدلية التي تعمل ٢٤ ساعة وجلب دواء الضغط لأمه . سيودع لدى أمه المبلغ الذي كان أدخره من قبل ، بل سيعطيه لها عن طيب خاطر .. لماذا لم يفكر أن يعطي المبلغ للأستاذ وجيه ؟!

لم يجد إجابة لهذا السؤال برغم أنه ألح على تفكيره عدة مرات ..

لم يعرف كيف قطع المسافة مشيًا إلى الشقة ، كانت الشقة غارقة في الظلام عندما دخل . أمه وأبوه نائمان الآن .. فتح باب غرفتهما وألقى نظرة عليهما قبل أن يتجه إلى غرفته ..

وضع الجهاز على مكتبه الصغير وراح ينظر إليه في شغف غريب ..

خلع ملابسه وارتدى منامته.. لم يكن يشعر في تلك اللحظة بالجوع أو البرد ،أخرج الشاحن وأوصله بالكهرباء ، ثم وصله بالجهاز .. سيضع البراد على النار ثم يعود ليتفحص الجهاز .. غادر الغرفة وترك الجهاز يشحن ..

جهز كوب الشاي .. وانتظر الماء يغلي في البراد .. فجأة شعر بأحد يمر من خلفه . التفت وهو يقول: مساء الخير..

ظن أن أمه قد صحت من نومها.. ولكنه لم يلمح أي شخص .. تعجب فلقد كاد يقسم أنه شاهد شيئًا يتحرك خلفه منذ ثوان .. لا بدّ أنه مجهد من العمل .. وبدأت الخيالات تداعبه . ابتسم وهو يصب الشاي .. ويعود للغرفة .. مع اقترابه من الغرفة وهو يحمل كوب الشاي شعر بنفسه الإحساس أن هناك من يقف خلفه فاقشعر بدنه ، هزّ رأسه بعنف وهو يدور على عقبيه، ولكنه للمرة الثانية لم يلمح سوى ظلام الردهة ..فهرش في رأسه قبل أن يدفع باب غرفة نومه ويدخل ..

كان الجهاز قد بدأ عمله بالفعل ..ولكنه من الواضح أن له رقم سري ..وله بصمة.. اللعنة! ..هل يتصل بالأستاذ وجيه الآن ويطلب منه الرقم السري ومن أدراه أن الرجل يعرفه .. عبس فتحي وهو يمرر إصبع السبابة على مكان البصمة.. ولكنه رفع يده بسرعة فقد شعر وكأن دبوسًا غرس في يده .. ولاحظ نقطة دماء على إصبعه لا بدّ أنه اصطدم بدبوس على المكتب وإصبعه في طريقه لمكان البصمة ..وخيل إليه أنه رأى نقطة دماء مكان البصمة ولكنها اختفت الآن .. المدهش أن الجهاز فتح!

الشاشة تضيء أمامه وسطح المكتب تبدو عليه صورة مهرة .. لفتاة شديدة الجمال .. تساءل فتحي وهو يقترب أكثر من الجهاز ويضع كوب الشاي بجانبه

من هي هذه الفتاة .. هل كانت حبيبة عمر ابن الأستاذ وجيه ؟ راح يتطلع للملامح الفتاة باهرة الحسن .. دار بخلده أنه الآن يتلصص على ذكريات شخص مات . ولكنه طرد الخاطر جانبًا وهو يفتح ذاكرة الجهاز ... هل من حقه أن يمسح كل ما على الجهاز الآن .. كلا.. قالها لنفسه وهو يتفحص الملفات الموجودة والبرامج التي على الجهاز ..فهو لم يسدد ثمنه بعد. ذلك الثمن الرمزي ..

لم يكن فتحي صافي الذهن وهو يتابع ملفات الجهاز .. يشعر برغبة في النوم .. بعد دقائق شعر أن الموضوع يحتاج لذهن صاف لمعرفة كل تفاصيل الجهاز. فتركه على المكتب وسحب وصلة الشاحن ..وكان من قبل قد خلع بطارية الجهاز وتركها بجواره .. فهو قد سمع أن ترك البطارية في الجهاز أثناء الشحن تقلل من عمر البطارية ..

لم يعرف فتحي متى غرق في سبات عميق .. ولكن المدهش إنه لو صحا بعد نعاسه بدقائق لأصابه الرعب مما يحدث في غرفته ...

فجهاز الكمبيوتر .. كان يعمل دون شاحن أو بطارية .. ويعرض على شاشته صور شديدة الغرابة كفيلة بأن تصيب أي شخص بالذهول لأيام طويلة ..

أي شخص سادي التقط هذه الصور ؟!

بعد قليل عاد الجهاز صامتًا تمامًا ..

بينما كانت هناك ظلال بدأت تظهر في المكان .. ظلال شبحية .

****

(٢)

استيقظ فتحي فجأة من النوم ، شعر كأن هناك من ضرب جنبه بسيخ من حديد ، انتفض على السرير، وراح يغمض عينيه ويفتحهما ويتطلع لغرفته، شعر بسخونة في جنبه ..وعرق عزيز يتفصد عن جبينه.. تعجب كيف يعرق في هذا الجو البارد ، هل هو مريض ؟!

قام متثاقلاً وهو يتذكر الجامعة .. نظر لجهاز الكمبيوتر المحمول الذي وضعه على المكتب نظرة حب غريب ..يشعر أن هناك شيئًا الآن يؤنس وحدته ..نظر في ساعة هاتفه المحمول إنها العاشرة صباحًا.. كيف ذهب في النوم كل هذا الوقت ؟!

سمع صوت أمه في الصالة، دواء الضغط أين وضعه ؟

راح يبحث عن دواء الضغط لدقائق حتى وجده خلف الكمبيوتر المحمول .. فتنفس الصعداء وهو يأخذ الدواء بيده ، ويسحب بيده الأخرى الفوطة مع على المسمار المدقوق في باب الغرفة ..

كانت أمه في الصالة ، ابتسم وهو يلقي عليها تحية الصباح .. فقالت في قلق مستفسرة:

- لقد تأخرت كثيرًا أمس .. ظننت أنك سوف تبات في العمل .. لم أسمع صوتك عندما دخلت .

طبع قبلة على يدها وهو يتجه للحمام قائلا:

- غلطة في طلب أختي .

راحت تنظف المائدة وهي تقول :

- غلطة تؤخرك حتى بعد صلاة الفجر .. لقد قمت أصلي الفجر ودخلت لأطمئن عليك فلم أجدك !

تسمرت قدما فتحي قبل أن يدخل الحمام ، بعد صلاة الفجر ، كيف هذا ؟! لقد أتى في الثانية صباحًا تقريبًا ، فكيف تقول أمه إنها لم تره في الخامسة صباحًا ..ولكن أرجح الأمر إلى ضعف نظر أمه ربما دخلت الغرفة والظلام بها لم يسمح لها بأن تراه ، هذا مؤكد .

ذلك ما قاله لنفسه قبل أن يدخل إلى الحمام .. غسل وجهه ونشفه، وعاد للصالة ..

كانت أمه قد وضعت طعام الإفطار ، فجلس ليتناول إفطاره ..جلست أمه قبالته وهي تقول :

- حاول ألا تتأخر كثيرًا هذه الأيام .. الشوارع لم تعد كما قبل ..

هزّ رأسه وهو يربت على يدها وأشار لعلبة الدواء التي وضعها على المائدة، فأومأت أمه برأسها وهي تدعو له .. أنهى طعامه واتجه إلى غرفته .. هناك محاضرة في الثانية عشر ظهر اليوم .. ويجب ألا يتأخر .. أوراق المادة أمامه بجوار الكمبيوتر ..أخذها وأخذ ينظر إليها وهو يرتدي ملابسه .. وضع البطارية في جهاز الكمبيوتر .. ولَمَّ الشاحن ووضعه في الحقيبة.. وداس زر تشغيل .. ثوان ورأى سطح المكتب.. كان قد أكمل ارتداء ملابسه ، واتسعت عيناه وهو

ينظر لسطح المكتب فصورة الفتاة كانت موجودة، ولكن وجهها ليس بنفس التكوين القديم ، بل ظهر وجهها وبدا وكأنها تصرخ بينما يحيط بالوجه هالة من النيران .. أي عبث هذا ؟!

لا بدّ أن الجهاز يعرض صورة جديدة في كل مرة غير الأخرى ..ولكن من الذي التقط تلك الصورة .. أي شر حاول تجسيده وهو يلتقطها .. لا يهم الآن !

أغلق الجهاز ووضعه في الحقيبة، أصبح جاهزًا للخروج ..

لا بدّ أن يمر على أبيه في غرفته ، ليلقي عليه تحية الصباح ..

نظرت أمه إليه وهو يحمل حقيبة الجهاز على كتفه متسائلة .. فقال لها: إنه اشتراه بالقسط ، بالطبع لم يكن يكذب .. فقد اتفق مع الأستاذ وجيه أن يكون الثمن أقساط وبرغم غرابتها فهي أقساط ..

كانت أمه قد انتهت من تنظيف الصالة، فاتجهت للمطبخ وهي تدعو له.

لم تمرّ سوى لحظات حتى فتح الباب على أبيه .. كان أبوه يجلس متكئًا على السرير، ساندا ظهره إليه ، وبجوار السرير كان يوجد هذا المقعد المتحرك.. طبع فتحي قبلة على جبين أبيه ، الذي احتضنه بيده وهو يسأله عن ظروف عمله وظروف دراسته، طمئن فتحي أباه أن كل شيء على ما يرام .. أنه يذاكر بكد ، ويعمل بكد فلا يقلق ..

ابتسم الأب وهو يعتذر منه لولا مرضه ما كان احتاج هو لذلك العمل المسائي المرهق .. ولكن فتحي أجابه أنه قدها وقدود .

تساءل الأب عن الحقيبة التي يحملها، فأجابه نفس الإجابة التي قالها لأمه .. ثم طبع قبلة على جبينه وهو يغادر الغرفة .

أبو فتحي كان في الخمسين تقريبًا من العمر، رجل بسيط في كل شيء..في ملابسه في طريقة حياته .. كان يعمل في النقل العام كقاطع تذاكر، وفي يوم مشئوم حاول الأب أن يمنع لصًا من الفرار من الأتوبيس فدفعه اللص فسقط على ظهره والأتوبيس على سرعته ، من يومها وهو قعيد لا يغادر البيت إلاّ في النادر وبالكاد يغادر غرفته أحيانًا..

تمنى فتحي لشهور طويلة بعدها أن يعثر على هذا اللص؛ ليمزقه بأسنانه إن أمكن .. ولكن الأب دومًا كان راضيًا يحمد الله على كل شيء .

وكان الأب يردُّه عن تلك الأفكار الخطرة التي تدور في خلده في أوقات عصيبة .

الشوارع مكتظة بالبشر، الجميع يتحرك ، والجميع يقف، لو أمعنت النظر كثيرًا لن تعرف من يتحرك لأين ومن يقف لماذا ؟ ولكن يكفي أن ترى زحمة الشوارع؛ لتدرك أن القاهرة أصبحت تضيق على أهلها، هذا ما راح يردده فتحي وهو يتجه إلى محطة المترو ، الحقيبة معلقة من يدها إلى كتفه وبداخلها الحلم ..

جهازه الذي انتظره لسنوات .. سيبهر كمال به ، وربما اهتمتْ وفاء أن ترى ما به ..

وفاء زميلته في الجامعة التي يرق قلبه لها، أنه أحيانًا لا يريد أن يعترف أمام نفسه أنه شغوف بها لدرجة الوله .

راح يتذكر ملامح وجه وفاء ، عيناها الزرقاوان اللامعتان، جسدها المفرود، شعرها شديد الاصفرار..تشعر أنها واردة أوربا كما يقال.. وبالفعل كان يعرف أن أم وفاء في الأصل بلجيكية . أحبت أباها حينما كان يعمل في سفارة مصر هناك .

قصة الحب بين أمها وأبيها طوال الوقت تسمعها من بين شفتي وفاء، فأنها مغرمة بقصتهما وتقول إنهما أقرب للروميو وجولييت .. حالمة هذه الفتاة .. انتبه فتحي لشروده عندما سمع رنين الأجراس في محطة المترو، أمسك حقيبة جهازه بين يديه بقوة، لا يريد أن يستغل أحد الفرصة وينتشها منه وقتها قد يجن ويكون لديه القدرة لدفع اللص تحت عجلات المترو ..

لم تمرّ وهلة حتى تدافع من يهبط مع من يصعد وفي النهاية كان فتحي بالداخل محشورًا وسط كتل من اللحم ..

أليس هناك قنبلة ذرية تقضي على نصف سكان القاهرة؛ ليرتاح النصف الأخر .. تبًا!

قالها فتحي لنفسه وهو يرى في خياله تلك الصور الغريبة للقاهرة وهي تشتعل. وجلود الناس تحترق، وعظام أجسادهم تنصهر في الطريق فتكون طبقة لزجة يمشي وسطها بهدوء برغم أن قدميه تغرسان أحيانا لشدة اللزوجة.. شعم بشري يعبر هو فوقه بمنتهى الثقة. كان يمضي وسط الجحيم تقريبًا، أطفال ممزقون.. أشلاء جثث.. نساء فقدت أجسادهن شكلها ، بقايا أياد ، رأس قد غادرت جسد صاحبها واستقرت بعيدة على الرصيف الذي لم يعد له ملامح ، العمارات تتساقط بسكانها، والأرض تنشق عن لهيب وتبتلع من يصادفها . صراخ يهز أعماق السماء .. وهناك في نهاية الصورة

كانت تقف وفاء وفستانها يطير وسط رياح عاصفة من النيران ولكن النيران تبتعد عنها . ولا يلامسها عصف الرياح .. تنتظره في النهاية .. وشعرها الأصفر متطاير ومفرود.. هما فقط بينما الجميع من حولهما قد تمزقوا وصاروا رمادًا تذروه الرياح ..

أفاق فتحي من ذلك الكابوس الذي عاش تفاصيله وهو واقف في مكانه على لكزة من يد من يقف خلفه وهو يقول :

- نازل المحطة القادمة ؟

ابتعد فتحي عن الباب وكأنه تعرض للدغة عقرب ..فنظر إليه الرجل دهشًا وهو يتجه اتجاه الباب في انتظار أن يفتح .. والمترو يهدئ من سرعته لدخول المحطة .

الجامعة تبدو له أخيرًا في ذاك الصباح الشتوي .. كان قد قطع المسافة من محطة المترو إلى الجامعة مشيًا .. متأملا الطريق والأشجار القليلة التي بدت له إنها ترتجف من البرد .. لا يعرف فتحي لماذا شعر أنه ربما تغادر تلك الأشجار مكانها وتلوذ بأبواب العمارات ..وربما راحت تهاجم الناس وتمتص أجسادهم لتكتسب الدفء والحرارة.. تصورها كمشهد من فيلم أجنبي .. كل خيالاته اليوم عجيبة وتدعوه إلى مخاطر عجيبة تؤذي الناس .. ذلك ما لم يفهمه قطّ .

قدم كارنيه الكلية لحارس الأمن قبل أن يلج للداخل .. الشباب والشابات متناثرون في كل مكان بلا ترتيب .. فرحون بأعمارهم وسنواتهم القليلة على وجه الدنيا .

أخذ فتحي يتأمل الوجوه حوله كلها أمل وتفاؤل.. راح يأخذ طريقه في اتجاه مدرج المحاضرات .. راحت عيناه تبحثان عن وفاء . يأمل أن يفتتح يومه برؤيتها . وفي الكافيتريا قبل المدرج بقليل لمحها جالسة .. كانت تجلس وبجانبها تلك الفتاة نرمين .. لا يعرف لماذا لا يحبها . نرمين بقامتها القصيرة وملابسها التي تشبه ملابس الرجال، وشعرها الذي قصته على شكل " جارسون " .. تبدو أقرب بنحافتها لفتى ممصوص الجسد وليس بفتاة في أوج مراحل الأنوثة . منذ فترة يحاول تعميق صداقته لوفاء ، بالفعل كانت هناك صداقة بينهما من نوع ما . لا يستطيع أن يسميها إعجابا متبادلا، ولكنها صداقة أقرب للزمالة منها للإعجاب.

لمحته نرمين وهو يقترب فعقدت حاجبيها وبدت كأنثى أفعى ستقفز في وجهه فبينهما مشاحنات عديدة من قبل. لكنه لم يهتم !

وقف أمام وفاء وابتسم وهو يقول :

- صباح الخير..

ردت وفاء بتلقائية عادية :

- صباح النور..

قال فتحي وهو يسحب مقعدًا ويجلس وابتسامته تتسع :

- هل أستطيع أن أجلس لأشرب معكما الشاي .

لم ترد نرمين سوى بنظرة متنمرة ، بينما هزت وفاء رأسها وكأن الأمر لا يعنيها حقًا . جلس فتحي ووضع حقيبة الكمبيوتر المحمول على المائدة أمامه .

لم يعرف لماذا انتبهت نرمين بشدة واعتدلت على مقعدها وهي تنظر للحقيبة متسائلة بعينين مشدوهتين :

- جهاز جديد ؟!

اتسعت عيناها بنظرة عجيبة وفتحي يهز رأسه بنعم .. نرمين كانت تعرف بالضبط ظروف فتحي المالية ، وتدرك أنه من الصعوبة أن يكون قد اشترى جهازًا جديدًا ، نرمين تقربها بنت منطقته، ودوما هناك غيرة لا مبرر لها تجاه فتحي .. ربما غيرة أبناء الفقراء دومًا ..

ابتسم فتحي وهو يلاحظ نظراتها وكأنه يقيظها قال باسمتاع وفخر:

- اشتريته أمس .

وسرعان ما أخذ فتحي يخرج الجهاز من الحقيبة ليريها إياه .. بدا الجهاز لها جديدًا جدًا ، ويخيل إلى من يراه أنه لم تمتد يد إليه بعد. وبدا الجهاز بلونه الفضي الخارجي يعكس أشعة الشمس التي كانت تتسلل من بين أوراق شجرة فوقهم في استحياء، وكأن الشمس تحتفل معه بجهازه الجديد .

لم تبد وفاء أية لمحة انتباه تذكر، بينما تغيرت نظرات نرمين وهي تقول بصوت تحاول أن تجعله رقيقًا :

- هل أستطيع أن أدخل على الانترنت منه ؟ وفاء معها شريحة اتصالات .

قال فتحي وهو ينظر في عينها بتشف :

- للأسف لا .. لم أحدث بياناته بعد .

عادت نظرة نرمين لطبيعتها المقيتة وهي تهزّ كتفيها أن لا يهم .. وتمتمت بعبارة عجيبة لم تصل إلى مسمع فتحي .. " شبع من بعد جوع ".. وعادت بظهرها للوراء وهي تفرد قدميها لتضعهما على المائدة . كان النادل قد جاء بالشاي الذي طلبه فتحي .. فراح يرشفه وهو يتأمل وفاء التي كانت مشغولة في لعبة على تليفونها المحمول وبدت بعيدة بذهنها عما يدور حولها .

كم تمنى فتحي أن تقوم نرمين التي كانت بمثابة ضيف ثقيل الظل يجثم على أنفاسه . يتمنى أن تفسح له بعض الوقت مع وفاء .

أخذ يتحدث وهو يرشف الشاي عن المحاضرات وجدواها وعن الدكتور عصام أستاذ المحاسبة المقيت .. ذلك الرجل الذي لا يفهم فتحي كيف يطيق نفسه ، ولماذا يصر على أن يرسب فتحي للمرة الثالثة في مادته على مدار ثلاث سنوات .

كان الأستاذ عصام رجل في أواخر الأربعينيات لديه عجز في إحدى قدميه نتيجة إصابته بشلل أطفال في الصغر، أتى من أعماق الأرياف ليصبح معيدًا في الكلية ، ثم دكتورًا لمادة المحاسبة ، يحمل الطلبة شقاه في الصغر دون مبرر، يتلذذ بتعذيب الطلبة ، يضع امتحانات شديدة الصعوبة لدرجة أن عدد من الجرائد تحدثت كثيرًا في هذا الأمر .. مذاكرته لسنوات على لمبة جاز وتحت أعمدة الكهرباء ليلاً يريد أن يعاقب عليها الكل ، كيف هم الآن وبيد كل منهم تليفون أخر موديل وأجهزة كمبيوتر شخصي .. يظن فتحي أن الدكتور

عصام لو قادر على منع الهواء عن الطلبة لفعلها .وكانت هوايته الوحيدة كيف تحبط تلاميذك .كيف تصفهم دوما بالغباء وعدم القدرة على التحصيل.

لقد منع فتاة مجتهدة من قبل أن تتعين معيدة بسبب أن صوتها ارتفع مرة عليه وهي تناقشه في محاضرة ما . كانت كل درجاتها تقول إنها الأولى على الدفعة .. فما كان منه أن أسقطها في مادته ..

هز فتحي رأسه بعنف فجأة وهم يتحدثون ، لمعت في عينيه صورة للأستاذ عصام في شقته التي يعرفها منذ حاول أن يأخذ درسًا عنده ولم يستطع؛ فطرده عصام عندما لم يدفع فتحي فلوس الدرس .. كانت الصورة لعصام وهو معلق بحبل في سقف الشقة وقد تدلى لسانه للخارج . ورغاوي بيضاء تخرج من بين شفتيه تداعب خيال فتحي بشدة.

سقط كوب الشاي فجأة الذي كان يحمله فتحي بين يديه، وانسكب ما به من شاي على بنطلونه .. فانطلقت ضحكة من بين شفتي نرمين التي بدت جاهزة اليوم للتشفب فيه لأي سبب كي تثير غيظه .

وقف فتحي وهو يعدل من ملابسه، واتجه إلى الكافيتريا، وطلب قطعة قماش مبلولة؛ ليمسح الشاي المنسكب على بنطلونه .

عندما عاد كان كمال صديقه في طريقه ليجلس مكانه، ويده على زر تشغيل جهاز الكمبيوتر المحمول . لا يعرف فتحي لماذا اندفع جريًا إلى المائدة التي كان يجلس عليها منذ لحظات .وامتدت يده وأغلق باب الجهاز قبل أن تبدو علامة التشغيل التي بدت له غريبة نوعا ما منذ رآها أول مرة . حدث هذا في ثوان

وسط نظرات الدهشة من الجميع . قبل أن تطلق نرمين ضحكة عالية وهي تقول :

- لا يريد لأحد أن يلمسه وكأنه أول شخص في مصر يشتري جهاز كمبيوتر محمول .

بلع فتحي تأثير ضحكتها الساخرة عليه وهو يقول مترددا :

- الجهاز جديد.. ولم أقم بتحديثه بعد ولا أريد أن يعبث به أحد قبل أن يصبح جاهزًا للعمل .

ارتسمت نصف ابتسامة متفهمة على شفتي كمال المغرم دوما بأجهزة الكمبيوتر وهو يقول :

- هل تسمح لي أن أراه من الخارج فقط ؟ أعرف أن الغربال الجديد له شدة كما يقولون، بعد أسبوعين قد نراك تستخدمه كصينية تحمل عليه الشاي .

هزّ فتحي كتفه وترك كمال يقلب الجهاز ويديره بين يديه .. بدت الدهشة في عين كمال الذي يعتبر نفسه خبيرًا في أجهزة الكمبيوتر وهو يقول :

- إنني لم أرَ مثل هذا النوع من قبل في مصر .. يبدو غريبًا بالنسبة لي .. برغم معرفتي الكاملة بكل أنواع أجهزة الكمبيوتر تقريبا، ولكنني لم أصادف من قبل جهازًا من هذا النوع ..

(AM)ماذا تعني هذه الكلمة ؟ لا أرى أيًا ما يشير إلى بلد الصنع ..بكم اشتريته؟

انتبه فتحي لكلمات كمال التي أثارت فضوله أكثر .. لكنه حول مجرى الحديث إلى اتجاه آخر، وهو يتساءل :

- ألن نحضر المحاضر ؟

ووقف وهو يعيد الجهاز لحقيبته وسط نظرات الدهشة من كمال والآخرين .. لماذا أخافته كلمات كمال .. كيف لم ير جهازًا مثله من قبل ؟! إنه يعرف أن كمال خبير بكل أنواع الأجهزة تقريبا ..

راح يعطي المبررات لنفسه وهو يتحرك تجاه قاعة المحاضرات، وهو يقول لنفسه ربما اشتراه المرحوم عمر من خارج مصر..

سوف يسأل الأستاذ وجيه عندما يلتقي به مساءً .

في الثالثة تقريبًا كانت المحاضرات قد انتهت لم ينتبه فتحي كليًا للمحاضرات فعقله كان مشغولاً بألف فكرة وفكرة ..

كمال لم يغادر الكافيتريا ولم يحضر المحاضرات ، بينما وفاء ونرمين دخلتا محاضرة واحدة للدكتور عصام قبل دخوله بلحظة ، وكادت وفاء أن تصطدم بكتف الدكتور عصام وهي تدخل مسرعة وتتمتم معتذرة . اعتذارها لم يشفع لها عند الدكتور عصام فبمجرد جلوسها واستقرارها في مكانها، أخذ عصام يوبخها بعنف ويوبخ البعض الآخر من الطلبة على عدم الالتزام والتأخير. وجه جمل شديدة القسوة والحدية تجاه وفاء التي كادت الدموع أن تفر من عينيها للهجة القاسية العنيفة المتعمدة تجاهها وكأن جمالها سبب كاف لإيذائها.

راحت صورة عصام وهو معلق مشنوق في شقته تعود مرة أخرى تضرب عقل فتحي وتتوغل إلى مخيلته بإلحاح عجيب.. فيرفضها ويحاول الإنصات للمحاضرة آنذاك ولكنه فشل .. الصورة تترى له بعنف وقوة وأكثر إلحاحًا ويكاد يلمسها بيديه .

لم يعرف فتحي ما الدافع الذي جعله يتجه إلى الكافيتريا ويجلس بعد انتهاء المحاضرات .. كان في العادة يسارع بالخروج من الجامعة؛ حتى يستطيع أن يستريح قليلاً قبل الذهاب لورديته المسائية التي تبدأ في السابعة مساءً .. ولكنه وجد نفسه يجلس على مائدة في آخر الكافيتريا .. ويخرج جهاز الكمبيوتر المحمول من الحقيبة .. ويقوم بفتح شاشته ويقوم بتشغيله ، لم تمر ثوان بعد أن ضغط زر إقلاع الجهاز حتى بدأ يسطح المكتب يظهر أمامه طالبا كلمة السر .. مد إصبع السبابة على مكان البصمة وشد يده بعدها ، لقد شعر بنفس الشكة التي شعر بها من قبل أمس ورأى نقطة الدماء مكان البصمة، هو يقسم أنه رآها بحق هذه المرة، ويكاد يقسم أن نقطة دمائه تسللت داخل الجهاز ..هزّ رأسه ووضع أصابعه على جبهته .. هذه المرة كان هناك صورة مختلفة تحتل سطح المكتب . صورة لشارع مظلم وشخص يظهر من ظهره ويبدو وكأنه يجري وسط الشارع المظلم في سرعة . ما لاحظه فتحي أمس أن الجهاز لا يعتمد على برنامج الويندوز المتعارف عليه في التشغيل، بل يعتمد على برنامج شبيه له لا يعرفه . علامته غريبة على شكل قرص شمس ذهبي اللون يدور في سرعة .

فتح فتحي ثاني قسم " بارتشن " في القرص الصلب . ظهرت أمامه عدة ملفات بأسماء مختلفة

الأفلام .. الأغاني .. الألعاب .. لا شيء ملفت للنظر تحديدًا .. ما الذي كان ينتظره هنا .. ضحك فتحي هل كان ينتظر أشباحًا تسكن الكمبيوتر المحمول ..فتح ملف الأفلام .. مكتبة كاملة من الأفلام أمامه ..أسماء غربية .. حاول أن يتذكر أيًا منهما ولكنه شعر أنه لم يسمع عنها من قبل ..

فجأة سمع الجهاز يصدر رنينًا بدا له عجيبًا للغاية حينذاك .الصوت يبدو وكأنه يتلقى رسالة على إيميل .. كيف هذا ؟!

الجهاز ليس متصلاً بالإنترنت .. ضغط فتحي على متصفح أمامه وهو شبه متأكد أنه لن يجد اتصالا بالشبكة . ولكنه فوجئ أن الجهاز متصل بالإنترنت بالفعل وبطريقة ما لا يفهمها..

تطلع للجهاز عجبا .. من الواضح أنه يحمل مفاجآت عديدة ..

راح فتحي يتصفح بعض المواقع على الشبكة العنكبوتية في دهشة .. كان منذ فترة قد أنشأ حساب بريد الكتروني له .. فاتجه لصفح الدخول .. وكتب بياناته كما يحفظها .. وانتظر لثوان .. ولكن عيناه اتسعتا في شدة وهو يلمح عنوان البريد الذي فتح أمامه والاسم المكتوب .. كان البريد يحمل اسم عمر .. تطلع فتحي للشاشة للحظات وقال لنفسه ربما كان عليه أن يفعل تسجيل الخروج قبل تسجيل دخوله لحسابه الشخصي .. فحاول مرة أخرى بعد تسجيل الخروج .. ليدخل على حسابه الشخصي .. ولكن في كل مرة كانت عيناه السوداوان تتسعان دهشة وهما تصطدمان بالبريد الإلكتروني للمرحوم عمر.

كانت هناك رسائل أمام فتحي لم تفتح ومرسلة على فترات زمنية متعاقبة .. يفرق بين كل رسالة والأخرى شهر تقريبًا .. وآخرهم رسالة منذ لحظات تحمل عنوان ديفيد. تساءل فتحي هل من حقه أن يفتح الحساب الشخصي للمرحوم عمر ويقرأ رسائله .. لماذا الفضول يلح عليه بهذه الصورة المكثفة . تذكر الخاطر الذي جاء له أن الرسائل قد تفيده بمعرفة عمر .. ولكن لماذا يريد أن يعرف حياة عمر .. هل من أجل أنه شاب مات في حادثة هو وأمه ؟

أفكار كثيرة لم تدخل حيز التنفيذ، فقد رأى فتحي صديقه كمال وهو يقترب من المائدة؛ فأجل الأمر وهو يرى كمال يقف أمامه في تلك اللحظة قائلاً :

- ألم تنصرف بعد ؟ أنك غريب اليوم ألاّ تشعر بهذا؟! تصرفاتك تدهشني .. تجلس وحدك وتتطلع لجهازك كأنك الوحيد في العالم الذي امتلك جهازًا .. إنني مغادر أستطيع أن أوصلك في طريقي .

كان كمال يملك سيارة صغيرة اشتراها له أبوه يوم دخوله الجامعة .

أراد فتحي أن يقول شيئًا ما ولكنه وجد نفسه مندفعًا ليقول :

- هل من الممكن أن تعرف لي إمكانيات الجهاز ..

ابتسم كمال ابتسامة عذبة وهو يسحب مقعدًا ويجلس، ثم يمد يده ويدير شاشة الجهاز ناحيته وهو يقول :

- كان من البداية !!

راقب فتحي أصابع كمال التي كانت تتحرك بسرعة واحترافية على لوحة المفاتيح .. بينما عيناه تتطلعان لشاشة الجهاز وتقطب جبينه في دهشة وظهر الذهول جليًا على ملامح كمال قبل أن يقول :

- من أين أتيت بهذا الجهاز ؟!

قال فتحي في هدوء قدر استطاعته :

- اشتريته أمس من صديق .

قال كمال بحماس :

- أستطيع أن أشتريه منك .. سأمنحك أضعافا ما دفعته فيه .

ابتسم فتحي فهذا يعني أن الجهاز بالفعل من نوع ممتاز.

وأردف كمال بنفس الحماس :

- صدقًا إنني لم أرَ مثله من قبل .. الجهاز متصل بشبكة الانترنت بطريقة عجيبة لا أعرفها .. أظن ربما يكون مرتبطا بإشارات قمر صناعي .. مساحة " الهارد " القرص الصلب غير معلومة وكأنها بلا نهاية .. السرعة لم أرها في جهاز آخر من قبل قطّ . إنه مدهش.. مدهش بكل تأكيد .. سأعطيك ثلاثة أضعاف ما دفعته .. حتى برنامج تشغيله برغم إنه يشبه البرنامج الذي يستخدمه الجميع ولكنه يفوقه في كل شيء ويبدو أنه صنع خصيصا لهذا النوع من الجهاز .الأوامر تنفذ بمجرد أن ترمش بعينيك .. البرامج الموجودة عليه بعضها لم أسمع عنها من قبل قطّ .

انطلقت ضحكة عالية من بين شفتي كمال، مما جعل فتحي ينظر إليه متسائلاً فقال مردفًا : - كنت أظن أني أعلم كل شيء عن أجهزة الكمبيوتر .. من الواضح أن هناك من سبقنا بكثير .. الجهاز ليس عليه بلد المنشأة وهذا أشد غرابة.. أقل لك حافظ عليه جيدًا لا أريد أن أضيع فرحتك به .. ولكن لو قررت بيعه في أي وقت .. اتصل بي وإلا قتلتك وسأعطيك ما اتفقنا عليه .

شعر فتحي لوهلة كأن هناك يد تحاول أن تأخذ كتزه الثمين .. فمد يده وهو يغلق باب الجهاز ، ويحمله بين يديه ليعيده لمكانه في الحقيبة .. ويقوم بإغلاقها :

- هيا بنا لقد تأخرت كثيرا .

وقف كمال ونظر في عيني فتحي وهو يقول :

- فكر في الأمر .. وعندما تقرر سأعطيك أربعة أضعاف ما دفعته وهذا عرضي الأخير .

أنهى فتحي الحوار بهزة رأس وهو يقول :

- هيا بنا .

بعد دقائق كانا يقطعان الطريق إلى بوابة الخروج ، أشار كمال لمكان سيارته فتبعه فتحي ، ولم تمر وهلة حتى كان يجلس على المقعد المجاور لكمال داخل السيارة وانطلقا .

طوال الطريق جلس فتحي صامتا، شيء بداخله يقول إن الأمور ليست على ما يرام كما يتصور .. حاسة بداخله قد يطلق عليها شخص ما اسم الحاسة السادسة . الشعور بالخوف والترقب وأن هناك من يدبر لك أمرًا . وفي هذه الفترة راح كمال يعدد في مزايا الجهاز وإنه لن يبخسه ثمنه .. وأضاف في استغراب: إنه لم يشعر بأي حرارة تصدر عن الجهاز وهذا مدهش ويضاعف من عمر الجهاز..

نزل فتحي أخيرًا أمام باب عمارتهم .. ودع كمال وهو يقول : إنه سيفكر في العرض .

غادر كمال الشارع بسيارته وهو يشير بيده لفتحي فيما معناه إنه سوف ينتظر رده .. بينما أخذ يلقي نظره أخيرة عليه قبل أن يصعد سلالم العمارة وهو يفكر بالفعل .. ولكنه كان يفكر في شيء آخر..

من أين أتى عمر بجهاز كهذا ؟!

ولكنه ابتسم في إشراق أنه يحمل بالفعل شيئًا ثمينًا يجب أن لا يفرط فيه أبدًا ومهما حدث هذا قراره الأخير..

ولكنه لم يكن يدرك أن قراره هذا قد يكون نقطة في تغير حياته وللأبد .

******

(٣)

الطلب العشرين الذي كان يوصله فتحي في تلك الساعة من الليل .. الوقت يقترب من الثانية عشر ليلاً .. إنه ينتظر من أول الوردية اتصال الأستاذ وجيه .. كان ينتظر مرور الوقت بمنتهى اللهفة . فهناك العديد من الأسئلة يريد طرحها عليه ويرغب في معرفة إجابتها .. جهز أول قسط من ثمن الجهاز كما اتفقا . سيدفع اليوم ثمن أول وجبه يطلبها الأستاذ وجيه سيأخذ الأمر بجدية كاملة .

كان يدخل بدراجته البخارية بسرعة جنونية للشارع .. ركن الدراجة في المرآب الخاص بالمحل .. ودخل المحل بخطوات متلهفة .. كان كريم الكاشير في مكانه يتلقى " الأوردرات " فتطلع لفتحي الذي يدخل مندفعًا إلى المكان حتى كاد أن يصطدم بزبون مغادر بدهشة .. تعلقت عينا فتحي بساعة الحائط . ورد ثمن الوجبة السابقة لكريم وعيناه لا تغادران عقرب الدقائق .

في الثانية عشر بالضبط رن الهاتف؛ فارتجف جسد فتحي في وضوح .. وعيناه على يد كريم التي امتدت لترفع سماعة الهاتف . جاء صوت الأستاذ وجيه عبر الهاتف والطلب المعتاد .. استلم فتحي ورقة الطلب من يد كريم بشغف .. ودخل مسرعًا إلى مطبخ المحل وهو يقول لأحد العاملين الذين يثق في جودة صنعتهم .. أن يجهز طلب الأستاذ وجيه ووقف على رأس العامل وهو يجهز الطلب .

لم تمر دقائق حتى كان يحمل الطلب ويغادر المحل بسرعة أقرب للعدو . وبعد ثوان ارتفع صوت موتور دراجته البخارية وهو ينطلق بها بأقصى سرعة وبطلق لها العنان ..

مما جعل كريم يتمتم :

- مجنون .. سيموت في حادثة قريبًا .

لم يعرف فتحي كيف كان يقود الدراجة بهذه السرعة الجنونية مغازلا السيارات والمارة والدراجات البخارية .. إشارة مرور أمامه حمراء .. يعبرها بسرعته وسط سباب أحد السائقين الذي ضغط فرامل سيارته بعنف فارتفع صرير عجلاتها بقوة . لم يلتفت فتحي للخلف ولم يتوقف ليرى الرجل الذي راح يسبه بعنف .

وصل أخيرا أمام عمارة الأستاذ وجيه كان يشعر وكأنه يقود منذ سنوات . فتح صندوق الدراجة الصغير الملحق بها وتأكد من أنه يحمل الطلب كاملاً وهو يصعد السلالم جريًا .

ووقف يلهث بعد دقائق أمام باب الشقة التي يعرفها جيدًا .. وراح يرن الجرس ..

فتح الأستاذ وجيه الباب بعد لحظات .. لاحظ اضطراب وجه فتحي وأنفاسه المتقطعة فقال ذاهلاً :

- ما بك ؟! أنك تبدو وكأنك كنت تصارع شياطين وأنت تأتي لهنا .

زفر فتحي بشدة ولم يستطع الابتسام ، فخرجت كلماته متكسرة وهو يقول :

- طلب حضرتك .

قال الأستاذ وجيه وهو ينظر لوجه فتحي الشاحب :

- ادخل !

دخل فتحي ووضع الطلب على أقرب مائدة إليه .. الهواء في الشقة يبدو دافئًا بعكس الجو في الخارج . الشقة لم تبد له مقبضة اليوم .. اللوحات المرسومة حوله بدت عادية جدًا .. هل كان يتوهم من قبل .. ولكنه شعر وكأن هناك شيئا غادر الشقة فاكتسبت الشقة الهدوء .. شعر فتحي بالحيرة بالفعل، ولكنه كتم حيرته وهو يقول للأستاذ وجيه وهو يبتسم : القسط الأول .

بدت ابتسامة ترتسم على شفتي الأستاذ وجيه وهو يقول :

- إنك تتعامل مع الأمر بجدية كاملة ..

بادله فتحي الابتسامة وهو يردف :

- لقد اتفقنا !

- وأنا عند كلامي .. لا تقلق .

ارتاح فتحي لرد الأستاذ وجيه فقال بتؤدة :

- سؤال فقط لو سمحت لي سيريحني كثيرا .

ظهرت نظرة متسائلة في عين الأستاذ وجيه :

- سلْ ما شاءت ؟

قال فتحي بلهفة متسائلاً :

- من أين أتى ابنك المرحوم عمر بالجهاز الذي أعطيته لي ؟!

بدا التفكير على الأستاذ وجيه للحظات وكأنه يتذكر ثم قال بعد لحظة صمت:

- تحديدًا لا أعرف .. أظن أنه أحضره معه عندما عاد من الخارج .

- هل كان ابنك عمر يعيش خارج مصر ؟

- سنتان تقريبا ..قبل وفاته بفترة قصيرة عاد إلى مصر .. كان يحضر دكتوراه في الحاسب الآلي وتطويره.. عمر كان عبقريًا .. مهندس كمبيوتر ليس له مثيلا .. الأول على دفعته لسنوات . أظن أنه اشترى الجهاز وهو عائد آخر مرة .. ولولا أن تقول عليّ إنني شديد الحماس لأبني وعبقريته لقلت لك إنه ربما صنع الجهاز بنفسه .. لعلمك لم يكن يسمح لأحد بالعبث في جهازه بأي شكل .. ولولا أنك تفكرني باجتهاده ما منحتك إياه.

كان فتحي قد ألتقط أنفاسه وأراحه ما سمعه كثيرا .. إذن هو يملك جهاز كمبيوتر اختاره عبقري له .. لا بدّ بالفعل أن يكون جهازا مختلفًا .

وكان قلبه يرقص من الفرحة وهو يغادر الشقة مودعا الأستاذ وجيه تاركه مع أحزانه اليومية وعشائه مع خيالات شبحية تخص ابنه وزوجته الراحلين .

****

يلقي فتحي نظرة أخيرة على عمارة الأستاذ وجيه .. شيء بداخله يقول إن هناك بداية مختلفة ، وأشياء تحدث له لا يفهمها ولكنه سوف يتخطى الأمر. يبرر ما يفكر فيه أن الأمر يخضع للإجهاد والإرهاق اللذين يسيطران على

جسده . يشعر بحاجة ماسة للنوم . يدير فتحي محرك دراجته البخارية وينطلق لا يلوى على شيء.. ينظر لأسفل قدميه وأسفلت الطريق الذي يبدو وكأنه يفر من أسفله . حاول أن يحافظ على سرعة معقولة وهو يقطع الشوارع في تلك الساعة المتأخرة .. لماذا يشعر أن الليل أشد وطأة على نفسه.

لقد كان آخر طلب يوصله كالعادة هو طلب الأستاذ وجيه .. فجأة ساد الظلام ، انقطعت الكهرباء عن المنطقة.. أنار كشاف دراجته الأمامي ، ولكن بدا الظلام كثيفًا لا يخترقه نور كشافه إلاّ لأمتار قليلة .. شبورة شديدة تنزل .. شوارع كثيرة تسبح في ظلام مقبض .

بدت له الشوارع فجأة متشابهة ، دخل إلى هذا الشارع الطويل وهو يزيد من سرعته . فجأة سمع تلك الحشرجة القوية الصادرة عن دراجته . هل نفد الوقود .. مستحيل !

زادت حشرجة الموتور ، وبغتة توقفت الدراجة ، حاول أن يديرها مرة أخرى .. ولكن دون فائدة وكأن الدراجة قررت أن تتوقف الآن دون سبب معلوم له .

حاول عدة مرات إدارتها ولكنه فشل .. ما هذا الشارع . يكاد يشك أنه برغم حفظه لكل شوارع المنطقة، فأنه لم يدخل هذا الشارع من قبل .. ضحك لهذا الهاجس الغريب .. شارع ينمو من فراغ .. تطلع للعمارات حوله كانت صامتة وتشعر بغتة وكأن سكانها هجروها . هدوء غريب ومرعب ..

انتظر ربما يمر أي أحد بجانبه ليسأله أين هو الآن ؟!

هل الإرهاق أثر على عقله لهذه الدرجة .. الأشجار المتراصة على جانبي الطريق يشعر كأنها تتابعه.. الظلام مدلهم .لا يرى أمامه إلاّ بضع خطوات .. أخرج

هاتفه المحمول وأنار شاشته وراح يدير الشاشة وهي تعطي ذاك الضوء الشاحب ليرى أين هو .. لقد شعر بالخوف بشدة.. أنه بالفعل تذكر أين رأى هذا الشارع من قبل ..

إنه في ذلك الشارع الذي رأى صورته صباحًا على سطح المكتب للكمبيوتر المحمول .. بالفعل هو نفس الشارع بنفس التفاصيل تقريبًا .. ما الذي يحدث .. كيف هذا ؟!!

الصورة التي رآها على شاشة جهازه في الجامعة كانت صورته هو في نفس المكان ، ولكنه لم يعرف نفسه؛ لأن الصورة كانت من الخلف وفي ظلام مطبق.

اللعنة الإرهاق يحطم أعصابه ويجعله يتخيل أشياء غير حقيقية .. أي عبث مجنون يدور في عقله .. أنفاسه تضطرب وهو ينظر حوله في رهبة .. يكاد يقسم أنه داخل صورة ثابتة وهو يتحرك فقط .. كل شيء ساكن سكون الموت .الأشجار حوله يشعر أنها تتحول لوجوه .. الكثير من الوجوه التي تصرخ بعنف وألم بلا حدود .. ودون صوت . للحظة طارده هاجس أن الأشجار ستهاجمه، ستغادر مكانها خالعة جذورها من الأرض وستنقض عليه لتفتك به.

رجح أن الخوف يسيطر عليه لدرجة مزعجة وهو يمشي للأمام ثم يعود إلى الدراجة ويهزها ، ويحاول أن يديرها وبلا فائدة . الدراجة تعانده أكثر . الرؤية متعذرة .. تليفونه المحمول يعلن أن شحنه في طريقه للنفاد . هل يذهب إلى أحد العمارات القريبة يستنجد بسكانها . شيء بداخله يقول له أن لا يفعل ..

بلع فتحي ريقه بصعوبة وظل متسمرًا في مكانه يحاول أن يخترق الظلام بعينيه، لا يقابله سوى الظلام الدامس ..يكاد يقسم أن الحياة توقفت وتحولت إلى صورة ثابتة وهو فقط المتحرك داخلها . أخذ يخبط على رأسه بيده وكأنه يفيق نفسه .. أي وهم يعيشه في هذه اللحظة المجنونة ؟!

الهواء ساكن أيضًا برغم أنه يشعر بالبرد .. جلس على الرصيف ينظر للسماء فوقه .. سحب كثيفة رمادية تمنع أي نور .. القمر غير موجود في السماء وكأنه هو الآخر قد غادر مكانه في الفضاء . الظلام يشتد مع اقتراب نفاد شحن بطارية هاتفه المحمول .. أعصابه تشتعل وبشدة. مرت دقائق قبل أن يشعر أن هناك من يتحرك في اتجاهه .. أنه يسمع خطواتهم ولا يراهم .. أشباحهم تظهر من بعيد ..

ثلاثة أشخاص يتحركون في اتجاهه .. يقسم أنهم تقريبا في نفس الطول .. نادى بأعلى صوته متسائلاً :

- هل يحمل أحدكم كشافًا ؟

ولكنه لم يتلق ردًا .. وخطواتهم الرتيبة المقترية تصل إلى مسمعه .. أعاد النداء والتساؤل مرة أخرى .. لكن لم يجبه سوى الصمت .. لماذا فجأة قرر أن يجري .. شيء من حركتهم الرتيبة تجاهه جعلته يجري ، وشيء لمحه في أيديهم وبدا له كسلاح .. لن يتوقف مهما حدث ولن يلتفت للخلف .. ظل يجري بأقصى ما يستطيع، وبرغم هذا كان يشعر أنهم وراءه يسمع خطواتهم المحافظة على رتابة إيقاعها . وكأنها خطوات عسكرية منتظمة .. وبرغم أنه وقف يلتقط أنفاسه بعد أن جرى لمسافة طويلة .. بدا له الشارع آنذاك إنه لا نهاية له .. يصرخ وهو لا يراهم :

- ماذا تريدون ؟! ليس معي أي شيء ؟

الصمت يجيبه .. ووقع الأقدام يقترب أكثر وكأنهم وراءه بالضبط .

أنفاسه تضطرب أكثر وبعنف وهو يجري ..

شعر أنه يواصل العدو بلا أمل ، وسيقع في أيديهم بعد لحظات .. أنه لا يفهم .. الطريق لا ينتهي.. فجأة رآهم أمامه على بعد خطوة تقريبًا ..

كيف قطعوا كل تلك المسافة خلفه بهذه السرعة رغم وقع الخطوات التي بدت له رتيبة وبطيئة ؟! ملامحهم غير واضحة ..

تبين له أنهم يحملون بالفعل شيئًا لا يستطيع توصيفه، سلاح مؤكد.

أدرك فتحي أنها نهايته .. وهو يصرخ فيهم أنه لا يملك أي شيء .. قرر أن يقاومهم لن يموت بسهولة ..الثلاثة يلتفون حوله ويدورون وكأنهم يقيسون أهميته ..كيف يرونه في هذا الظلام السادر؟!

رأى أيديهم ترتفع بما يحملونه ويهبطون بها على رأسه .. صرخ وهو يحمي رأسه ويضرب بيده أقربهم إليه ..ولكنه وجد نفسه يسقط على الأرض، فغطى رأسه واستعد لتلقى ضربة مميتة ..

بغتة لمع ضوء ساطع في عينيه وهو يصرخ ..وعادت الإضاءة فجأة .. نظر فتحي حوله في دهشة عارمة، لا وجود لمهاجميه.. هل انسحبوا بهذه السرعة ؟!

نظر فتحي أمامه في ذهول فقد كانت هناك سيارة تقترب منه، وكان هو واقعًا بجانب دراجته البخارية . أنه لم يغادر مكانه بجوار الدراجة .. إذن ما هذا الذي رآه ؟!

توقف سائق السيارة وهو يسأله :

- هل هناك شيء ما ؟

فهزّ فتحي رأسه وهو في شروده وراح يشير لدراجته ويقول إنها لا تدور .

نزل السائق من سيارته .. وأخذ ينظر للدراجة البخارية ويعبث فيها لدقائق .. وارتفع فجأة صوت محبب لفتحي .. صوت محرك الدراجة وقد ارتفع .. شكر الرجل الذي عاد لسيارته وهو يقول : إنه لا شيء .. بسيطة !

انطلقت السيارة ، فانطلق فتحي خلفها عيناه على أنوارها الخلفية. تأمل الشارع بنظرة أخيرة وهو يتساءل : هل كل ما شاهده بالفعل وهم؟ بالتأكيد وهم .

عقله المجهد وتعطل الدراجة والظلام الذي ساد المكان بسبب انقطاع التيار الكهربائي .. كل هذا أثار بداخله مخاوفه من الظلام وجعله يرى ذلك الكابوس .عند أول تقاطع حيا سائق السيارة بنفير دراجته . وانطلق لا يألو على شيء .

أخيرا وقف أمام المطعم..

قرر أن يركن دراجته في مرآب المحل ويغادر إلى بيته سريعًا .

حاسب الكاشير كريم على وجبة الأستاذ وجيه ..

وابتسم لقد دفع أول قسط من ثمن جهازه .

*****

كان فتحي يصعد سلالم عمارتهم وهو يشعر بالتعب والإرهاق كان يشعر أنه جرى آلاف الأمتار .. فتح الباب بهدوء .. أمه وأبوه نائمان كالعادة في تلك الساعة المتأخرة من الليل .. أضاء نور الصالة .. عشاؤه محضر على المائدة ومغطى بقطعة قماش .. لم يشعر بحاجته إلى الأكل الآن، بل إنه يحتاج للنوم...

ترك نور الصالة مضاءً.. يكفي ما عاشه منذ قليل من ظلام . سيضيء نور الشقة كلها لو أمكن .. دخل غرفته .. أضاء النور .. الكمبيوتر في مكانه منذ وضعه اليوم بعد رجوعه من الجامعة ..

لم يعرف لماذا يشعر أنه يحتاج أن يطمئن على الجهاز الآن. ضغط زر التشغيل وهو يغير ملابسه. تطلع لشاشة الجهاز وشعر بالراحة وهو يمرر سبابته على مكان البصمة ويشعر بنفس الشكة المعتادة الغريبة ويرى نقطة الدماء قبل أن تختفي كالعادة وتصور الأمر وكأن شخصا شكه بإبرة ليأخذ عينة من دمائه لتحديد فصيلته، بدت له الصورة التي تظهر هذه المرة رائقة .. فقد كانت صورة لصحراء ورمال ممتدة بلا نهاية .. وشمس في الأفق.. أشعتها الذهبية تنصب على الرمال. ولا شيء آخر.

لاحظ إن هناك أيقونة تضيء إنه يتلقى رسالة جديدة .. لا وقت الآن للتفكير في قراءة رسائل ليست له .. وصل تليفونه المحمول بالشاحن الموجود بجوار سريره .. ونظر للساعة .. كانت الثالثة والنصف صباحًا تقريبًا . تساءل لقد هبط من عند الأستاذ وجيه في الثانية عشر ونصف تقريبًا .. فهل كل هذا الوقت الضائع كان في ذلك الكابوس المزعج .

لم يهتم سوى بالنوم وهو يفرد جسده على السرير ، ويقرر أن يترك النور مضاءً ..

كان بين حالة النوم واللا نوم، عقله يعمل بسرعة شديدة.. ما الذي يحدث له اليوم ، كل خيالاته مجنونة وشريرة.. هناك جانب مظلم في عقله يبث خيالات مميتة.. تصور عقله عبارة عن غرف عديدة.. كل غرفة تحمل شيئًا لا يدركه .. الشر موجود في إحدى الغرف بعقله وظهر منذ وقت قريب .. يريد التحرر.. هذا كلام قصص قالها لنفسه وهو يدفس رأسه في مرتبة السرير ويضع مخدة أخرى فوق رأسه..

شعر بحركة في الصالة، هناك من فتح باب غرفة نوم أمه وخرج .. مؤكد أنها أمه ستأتي الآن لتلقى عليه نظرة وهو نائم قبل أن تتوضأ لصلاة الفجر ، ولكن مازال على ميعاد آذان الفجر وقت..

استيقظت أمه باكرًا هذا ما قاله لنفسه وهو يسمع الخطوات بالصالة.. منتظرا أن يفتح الباب وأمه تدخل تلقي نظرة وتنصرف... لكن وقع الخطوات بالصالة لا يشبه خطوات أمه.. من يتحرك بالصالة خطواته أسرع وذات وقع أشد.. ما هذا الجنون الذي يتواصل؟

كابوس آخر بالتأكيد!

سمع الخطوات تتجه للمطبخ، وسمع صوت باب الثلاجة وهو يفتح.. شعر أن هناك من أخرج زجاجة مياه من الثلاجة وراح يجرعها.. يسمع صوت شخص يشرب وسط هذا الهدوء..

لم يستطع فتحي أن يغادر مكانه ، وهو يقول لنفسه إنها أمه بالتأكيد ..

سمع الخطوات تعود للصالة، ثم صوت الخطوات تعود إلى غرفة نوم أمه، ثم سمع صوت باب الغرفة وهو يفتح من الخارج.. قرر فتحي بسرعة أن يقفز من السرير ليرى ما يحدث..

فتح باب غرفته ببطء، وألقى نظرة بسرعة، ولكنه ارتد بظهره للخلف غير مصدق..

فالذي كان يفتح باب الغرفة كان أبوه.. أبوه مستحيل!

أبوه قعيد منذ فترة طويلة وكل الأطباء قالوا إنه لن يقوم على قدميه مرة أخرى.. بالتأكيد هو ما زال يشاهد هلاوس .. سيحتاج أن يزور طبيبًا نفسيًا لو استمر الأمر على هذا المنوال .. سمع باب غرفة أمه يغلق بعد أن دلف أبوه للداخل ..

لدقائق ظل فتحي يتطلع للصالة.. لا شيء يتحرك.. استجمع فتحي شجاعته لا شيء يخيفه حقيقة .

إنه في غرفته ، وفي شقتهم، أمه وأبوه نائمان وهو يهلوس هذا مؤكد.. ربما حلم أن يرى أبوه يتحرك على قدميه مرة أخرى هو ما جعله يشاهد ما حدث..

قرر أن يخرج للصالة ووقف أمام باب غرفة والديه مترددا ، ثم فتح الباب ونظر بسرعة.. الغرفة ساكنة.. أبوه نائم في مكانه وأمه بالمثل..

اطمئن أنه يهلوس قبل أن يعود لغرفته .. ويقرر النوم بأية وسيلة..

دقائق وكان هناك في عالم الأحلام، وكابوس آخر يطارده بعنف..

كابوس قد يقضي عليه لو استمر كثيرًا ...

*****

لا يشعر بجسده الرؤية ضبابية أنه هناك في مكان ما .. لا يعرف تحديدًا أين هو؟

لا يستطيع أن يفتح عينيه ! ملقى على ظهره .. يشعر بملمس الرمال تحت جسده .. قشعريرة تسري في بدنه .. يحاول الوقوف جسده لا يطاوعه.. يريد أن يفتح عينيه لكن شيئا يطبق على جفنيه، سيحاول .. سيحاول.. راح فتحي يردد ذلك داخل عقله، إنه في كابوس آخر يشعر بهذا .. لكن في نفس الوقت يشعر أن الكابوس حقيقي لدرجة مفزعة.

راح يجاهد حتى فتح عينيه.. السماء فوقه صافية والشمس لامعة وذهبية . أعاد غلق عينية بسرعة، فقد شعر وكأن الشمس ستحرق بؤبؤي عينيه.

حاول أن يحرك جسده وفي النهاية وجد نفسه نائمًا على جنبه . فتح عينيه رأى الرمال حوله في كل اتجاه..

إنه فوق تلة مرتفعة من الرمال . أحس أنه بدأ يستعيد حواسه.. يده تطاوعه يتحسس بها ملمس الرمال ..

إنه في صحراء قاحلة .. الرمال الملتهبة في كل مكان تمتص أشعة شمس حارقة . بعد هنيهة كان يقف.. وجد نفسه يقف فوق تل مرتفع كما شعر،

وأمام ناظريه امتدت صحراء بلا نهاية.. الشمس تلقي بلهيبها على الأرض .. يكاد يشعر أن بينه وبين الشمس أمتارًا قليلة . الحرارة تلفح وجهه بشدة.. رباح ساخنة أين هو ؟؟

سؤال لم يستطع أن يجد له أية إجابة .

بلع ريقه بصعوبة بالغة.. ريقه جاف وحلقه ملتهب..

يريد أن يتحرك ، لكنه لا يعرف أين يذهب؟!

لا شيء على مستوى نظره واضح .. شعر أن الرياح تزداد شدة.. بل بالفعل بعد وهلة راحت عاصفة من الرمال تضرب جسده، وهو لا يستطيع التحرك، وضع يديه على عينيه تجنبًا للسعات حبات الرمال التي بدت كسهام صغيرة تخترق جسده . العاصفة تشتد عنفًا ..

جلس على الأرض، ولف يديه حول رأسه مقرفصًا.. مرت فترة وهو على وضعه بمكانه لا يتحرك.. يشعر أن العاصفة ستستمر للأبد..

كيف بفيق من هذا الكابوس المزعج؟!!

وأخيرا بدأت الرياح تهدأ، ثم سكن الهواء من حوله، وتوقفت حبات الرمال عن ضرب جسده، رفع وجهه عن الأرض وأخذ يتطلع للأمام ..

إنه يراهم بالفعل.. يراهم.. ثلاثة أشخاص يرتدون زيًا موحدًا شديدة السواد لا يعكس أية إضاءة..

إنهم بشر هذا ما قاله لنفسه وهو يراهم يقتربون في خطوات ثابتة.. أي مكان هذا الذي هو فيه، متى ينتهي هذا الكابوس؟ وماذا يريدون منه؟!

اقتربوا أكثر.. اتضحت معالم وجوههم.. كانوا أطول قامة منه ..

لكنهم تقريبًا نفس الجسد ونفس الطول .. وكاد يقسم أنهم مجرد شخص واحد في ثلاث صور.. فالوجوه متشابهة لدرجة رهيبة.. لا فرق يذكر أو تلاحظه العين!

صرخ فتحي بقوة: من أنتم؟

ران الصمت بعد صراخه ، ولم يسمع إجابة.. أراد أن يجرى ، لكن إلى أين يذهب؟ فالصحراء هي ما تحيط به ، ولا طاقة به ليجري الآن .

اقتربوا حتى وقفوا أمامه مباشرة.. تطلع في أعينهم بشدة.. عيون سوداء لا أثر للون آخر في أعينهم..

يحمل كل منهم عصا طويلة تنتهي بكرة ذهبية اللون. وقف فتحي مطبق الشفتين.. لم يستطع أن ينبس ببنت شفة.. منتظرا وهم يتأملونه حتى قال أحدهم:

- لقد تأخرت كثيرًا.. هيا معنا .

لم يفهم ما الذي يقصدونه ، لكنه وجد نفسه مجبرًا على المشي وراء محدثه وقد وقف الرجلان الآخران بجانبه.. واحد عن شماله ، والآخر عن يمينه..

وراح يمشي معهم هادئًا بخطوات تشابه خطواتهم قدر استطاعته..

هبطوا التل ومشوا لعدة أمتار حتى وقف محدثه .. وخبط بعصاه على الأرض بقوة مرتين قبل أن تبدو بوابه تظهر أمامه. وتحت قدميه مباشرة .. وسلالم هابطة لأسفل تبدو أن لا نهاية لها..

هبط أولهم درجتين.. ونكزه أحد الرجلين الواقفين بجواره أن يهبط . تحسست قدماه السلالم، فبدت له قوية وفي الوقت نفسه يشعر بأنه يلمس شيئًا شديد الليونة ..

أخذ يهبط خلف الرجل الأول وهو يتساءل متى سيتوقف هذا الكابوس؟!

لكنه بدا لا نهاية له هو الآخر.. لدقائق طويلة أخذ يهبط السلالم وأنفاسه تضطرب في صدره . وفي النهاية وجد نفسه يقف في ممر طويل ومضيء . أنوار شديدة تضرب عينيه.. يحرك رأسه يسارا ويمينا .. يتلقى نكزة بسيطة من أقربهم إليه ليتحرك . ما الذي يفعله هنا ومن هؤلاء؟! متى سيجد يد أمه تربت على وجهه وهى تدعوه أن يقوم ليلحق الجامعة ؟

أمل بدا له شديد البعد .. وجد نفسه أخيرًا في تلك القاعة المستديرة...

أمامه أكثر من مئة شخص.. نسخ مكررة من الذين أتوا به إلى هنا.. أي قوم هؤلاء؟!!

أمروه أن يجلس على مقعد في وسط القاعة .. جلس فتحي وهو ينظر إليهم ذاهلاً .. يسمع دقات قلبه بأذنيه.. يريد أن يصرخ متسائلاً :

- من أنتم؟ وما الذي تريدونه مني ؟!

لكن شيئًا يدعوه أن يظل على صمته . اقترب أحد الأشخاص منه .. لم يعرف هل هو أحد من جاء به إلى هنا أم أنه شخص آخر.. نسخ مكررة من البشر!!

خوذة دائرية عجيبة يحملها الرجل بين يديه قبل أن يقف أمام فتحي، ويبدأ في تثبيت الخوذة إلى رأسه .. أخذت الخوذة تضئ بعد دقيقة تقريبًا ..

أراد فتحي أن يرفعها عن رأسه ، ولكنه شعر بالخوف، هل يقوم الآن من مكانه ويجرى ويظل السؤال مطروحا إلى أين ؟

فجأة انبعث طاقة رهيبة من الخوذة راحت تتوغل عقله، فأخذ يصرخ بشدة والألم يتزايد كل ثانية وصرخاته تواصل ارتفاعها وجسده يرتج بشدة ..

انتفض جسده بقوة ، ووجد نفسه يصرخ وهو يهب من مكانه .. وبلتفت حوله.. مستحيل!

لقد كان بهذا القرب من الموت ؟!

تطلع حوله فوجد أنه في غرفته ، وكل شيء في مكانه.. حمد الله أنه قد انتهى هذا الكابوس الرهيب. كان يشعر بالعطش.. ريقه جاف بشدة ، قام وهو يستغفر الله.. نظر للغرفة وتنفس بعمق.

غادر السرير وتطلع للكمبيوتر المحمول على مكتبه.. لماذا يشعر أن هناك ارتباطا بين تلك الكوابيس وبين هذا الجهاز، فهو الشيء الوحيد الذي استجد على حياته.

فتح باب غرفته فوجد أمه قد فتحت نافذة الصالة ، وشمس الشتاء قد تسللت منها. أراد أن يغلق النافذة فهو يكاد يقسم أن عينيه تحملتا فوق استطاعتهما من النور..

لقد كان كابوس! يكفى هذا قالها وهو يتجه للحمام.

كانت أمه بالمطبخ ألقى عليها تحية الصباح قبل أن يدلف للحمام..

ترك مياه الدش الدافئة تنساب على جسده، كأنما هئ له أن المياه ستصل لعقله لتغسل ما به من هلاوس وكوابيس..

بعد عشر دقائق غادر الحمام.. وكانت أمه قد أعدت له الإفطار وهى تقول:

- سمعتك عندما وصلت أمس متأخرا ولم أرد أن أوقظك مبكرا .. جسدك يحتاج للراحة.. أنت تجهد نفسك أكثر من اللازم.

ربتّ على يد أمه وهى تناوله كوب الشاي الذي أعدته له وهو يقول:

- إنني بخير لا تقلقي .. كيف حال أبى اليوم؟

قالت أمه ونظرات الحزن في عينيها:

- لا شيء جديد .. كما هو!

وران الصمت عليهما وعلى المكان لوهلة.. لا تسمع سوى صمت مضغهما للطعام وصوت رشفات الشاي المتقطعة.

أنهى فتحي إفطاره وقال لأمه :

- سأغير ملابسي لأنزل .. أتأمرينني بشيء ؟

قالت أمه وهى تحمل صينية الإفطار:

- مر على أبيك في غرفته قبل نزولك..

هزّ فتحي رأسه ودخل غرفته ليغير ملابسه.. دقائق وكان قد انتهى من ارتداء ملابسه وحمل حقيبة الكمبيوتر المحمول على كتفه، وفي طريق خروجه رأى غرفة أبيه ببابها المغلق.

لماذا ارتجف قلبه وهو يفتح الباب ، لكنه اطمئن عندما وجد أبيه في السرير وقد اسند ظهره للخلف وعلى قدميه توجد صينية إفطاره . دخل فتحي وطبع قبلة على جبين أبيه ، وهو يسأله إن كان يريد شيئًا .. هز أبوه رأسه أن لا .. كل ما يريده أن يراه دائمًا بخير..

لثم فتحي رأس أبيه وغادر الغرفة وكم تمنى وقتها أن يكون الحلم الذي رأى فيه أباه يتحرك بالصالة على قدميه يمكن تحقيقه..

راح يهبط درجات سلم البيت وفي ذهنه راح يتذكر الكابوس وتلك الوجوه الغريبة والعيون السوداء..

كان الكابوس قريبًا للغاية ..

قريبا لدرجة الحقيقة المطلقة..

****

(٥)

هناك حركة غريبة بالكلية هذا ما أدركه فتحي بمجرد دخوله .. هناك همس يدور وحوارات جانبية كثيرة .. هناك أكثر من حلقة مناقشة هذا ما كان واضحًا للغاية.

أراد أن يتساءل ما الذي يحدث؟ ولكن شيئًا بداخله جعله لا يسأل..

سمع اسم الدكتور عصام يتكرر عدة مرات وهو يمرُّ بجوار الطلبة حاملاً حقيبة جهازه " اللاب توب" على كتفه..

وفاء كانت تجلس بالكافيتريا وهي تشيح بيدها في وجه أحدهم.. اقترب فتحي وألقى تحية الصباح عندها لمح وجه الجالس أمام وفاء..

كان وائل ذاك الشاب المدلل بطل مسرح الجامعة الذي يحاول أن يرمى بشباكه عليها .. فتحي يدرك أنه ربما يحدث بالمستقبل ما يطمع به وائل لو استمر هو بعيدًا عن تفكيرها.. أين فتحي من هذا؟

قالت وفاء وهى ترى نظرة فتحي تجاه وائل :

- أعرفت ما حدث اليوم؟

لم يعرف فتحي لماذا كان يجز على أسنانه وصوته يخرج بطيئا وهو يقول :

- كلاّ.. ما الذي حدث ؟

أجابه وائل في لا مبالاة وبصوت أجش :

- الدكتور عصام انتحر!

قفز فتحي من مكانه وكأنما لدغته أفعى ولم يكد يجلس:

- انتحر! كيف هذا؟

قال وائل وهو ينظر لفتحي:

- الكلية كلها عرفت الخبر.. وجدوه مشنوقا في شقته..

قالت وفاء وهي تهز رأسها باستغراب:

- من كان يتخيل هذا ؟ الدكتور عصام!!

قال فتحي في شرود:

- وهل اكتشفوا القاتل ؟

ضحك وائل في استفزاز وهو يقول بتعجب:

- قاتل ؟ من تحدث عن قاتل؟ انتحر ولم يقتل ! لماذا تقول إنه قُتل؟

بدأ التفكير على ملامح وفاء وهي تقول:

- أنا أيضًا لا أتصور انتحار الدكتور عصام.. قد يكون في الأمر جريمة حقًا..

ارتفعت ضحكة وائل عالية وهو يقول:

- القصص والأفلام أثروا عليكما..

فتحي لم يجد لديه القدرة على الجلوس معهما أكثر من هذا، برغم حاجته الملحة أن يزيح وائل عن طريقه وطريق وفاء.. لكن تلك الصورة التي وردت

بذهنه منذ أيام ، صارت تطارده الآن بقوة . حينما رأى الدكتور عصام مشنوقًا وجسده يتدلى وقد التف حبل غليظ حول رقبته وتدلى لسانه للخارج . وأخذت الصورة تضرب ذهنه بقوه . فوقف بغته وهو يحييهما وسط دهشة وائل ووفاء .. أثناء انصرافه لمح نرمين تقترب من المائدة ، قالت وهي تنظر في عبلية:

- هل عرفت ما حدث؟

هز رأسه أن نعم وهو ينصرف ، وعيناه لا تريان تقريبًا ما أمامه..

اقطب جبين نرمين للحظه وهو تجلس قبالة وائل وهي تقول وتشير لفتحي:

- ماذا به؟

قال وائل بابتسامة خبيثة:

- ربما حزينًا على الدكتور عصام!

قالت وفاء بغضب:

- لا شماتة في الموت يا وائل!

ابتسم وائل وهو ينظر لعينيها وعلى شفتيه ابتسامة ذنبيه قائلاً:

- لا أظن أن هناك من انزعج من موت الدكتور عصام هذا .. نحن مذهولون فقط، لأن الأمر يفوق خيالنا.. كيف لشخصية متسلطة مثل عصام أن ينتحر .. هل تظنين أن في الأمر امرأة ؟

قالت نرمين وهي تقطع حالة التوتر:

- هه يا وائل متى عرض مسرحية الجامعة؟

قال وائل مفكرًا:

- من المفترض الشهر القادم أتمنى ألا يؤجلوه لموت عصام هذا..

عبست وفاء في وجهه وهي تقول:

- أهذا كل ما تفكر فيه الآن .. أنك لا تطاق ...

واصل وائل حديثه قائلاً:

- هكذا كل العباقرة !.. لك أن أهدي العرض لروح الدكتور عصام إذا كان ذلك يريحك عزيزتي .. ولكني أشك وقتها إذا حضره أحد ..حتى شبح المرحوم نفسه لن يحضر أنذاك .

وارتفعت ضحكة وائل المستفزة حتى كادت عيناه تغرورقان بالدموع من كثرة الضحك .

أخرجتْ وفاء لسانها في وجهه وهي تغيظه قائلة :

- مغرور وأحمق !

ثم قامت تاركة نرمين ووائل جالسين وهى تردف:

- عندي محاضرة عن أذنكما .. مجنون !

****

جلس فتحي في ظل شجرة بعيدة عن الكافيتريا على الأرض وكان عقله يدور بسرعة مليون لفة في الدقيقة.. شيء من داخله يقول إنه من المستحيل أن ينتحر الدكتور عصام..

أخرج جهاز الكمبيوتر المحمول من حقيبته، ثم فتح شاشته، وضغط على زر الإقلاع..ليشغل نفسه قليلاً عن التفكير في عصام وانتحاره .

لم تمر ثوان حتى بدا له سطح المكتب بتلك الصورة التي جعلته يرتد للوراء بعنف ويصطدم ظهره بالشجرة التي وراءه .. فأمام عينيه كان يرى صورة الدكتور عصام معلقًا مشنوقًا،وإنشوطة ملتفة على عنقه بقوة ، وعلى وجهه نظرة رعب بلا حدود .. وكأنه واجه شيئا يفوق الرعب بمراحل..

أغلق فتحي الشاشة سريعًا في خوف .. وراحت دقات قلبه ترتفع..أية لعنة هذه؟!

دقائق وانتظمت أنفاس فتحي والفضول غلبه؛ ليفتح الشاشة، وبضغط على زر الإقلاع.. هذه المرة لم يرسوى صورة لمنظر طبيعي تحتل سطح المكتب..

مستحيل أنه متأكد أنه رأى صورة الدكتور عصام مشنوقًا.. راح يستعرض كل الصور الموجود على الجهاز.. صور معظمها تخص عمر..صورة لثلاثة شباب يجلسون في ملهى ليلي وبجوارهم فتاة ملامحها أوربية. راح يتطلع فتحي للصورة.. هذه الفتاة هو يعرفها.. رأى صورتها على الجهاز من قبل ، ولكن في صورة مختلفة ومخيفة .. كانت تصرخ بألم والرعب يرتسم على ملامحها.. أنه يتذكر جيدًا .

الشباب الثلاثة أي واحد منهم هو عمر.. يبدو اثنان منهما ملامحهما شرقية، بينما الثالث لا تستطيع أن تحدد هل هو شرقي أم أوربي.. ولا تستطيع أن تحدد جنسية بالضبط . سمع صوت يدل على وصول رسالة على إيميل عمر. الجهاز يدخل على الإيميلات تلقائيا.. قام فتحي بفتح صفحة الرسائل .. هناك أربع رسائل حديثة بمعدل رسالة كل يوم .. كلها عنوانها واحد

" ديفيد"

أولهم تقريبا منذ أول يوم أخذ فيه فتحي الجهاز من الأستاذ وجيه . هل هناك شبكة تربط الجهاز بإيميل معين لحظة تشغيله؟ أسئلة كثيرة كانت تحتاج لأجوبة . قرر فتحي أن يقرأ الرسائل الأربعة الأخيرة..

يظن أنه قد يكون من حقه أن يعرف ما يحدث.. فتح أول رسالة وراح يقرأ ..

« عزيزي عمر لقد فوجئت بعودة الجهاز للعمل، ولقد تلقيت رسالة الكترونية على جهازي أنك عدت لتشغيل جهازك .. كانت فكرة عبقرية منك أن تربط جهازينا ببعض .. كيف أنت الآن وأين كنت؟ لقد أرسلت إليك عشرات الرسائل في السنة والنصف الأخيرة .. لكن من الواضح عزيزي عمر أنك لم تكن ترغب بالحديث .. أعرف أن الأمر كان يفوق تحملك .. لكن لم يكن هناك بديل آخر.. أنت تعرف هذا بالتأكيد . انتظر منك أن ترسل إليّ كل التفاصيل .. هل استطعت التخلص منها؟ السكون الذي حدث للأمر منذ اختفائك يقول إنك تخلصت منها بالفعل . بالتأكيد أنت تتساءل عن ميرنا.. اطمئن لن يعثر عليها أحد للآن .. هوفمان كذلك لم يجد أحد مكانًا له منذ اختفائه .. أعرف أنك تحمل نفسك بعض المسئولية .. لكنك تعرف عزيزي .. الآخرون يحشرون أنوفهم فيما ليس لهم فيه وتكون النتيجة كارثية .. أتريد أن تعرف

أين ميرنا .. ارسل إليّ .. راسلني وسأخبرك .. ليس قبل هذا .. لا تحاول أن تتجاهلني مرة أخرى .. أعرف أنني لا أستطيع الوصول إليك طالما قررت أنت الاختفاء .. سنة ونصف كاملة منذ آخر رسالة وأنا أحاول أن أصل إليك ولا فائدة .. وكأنك لست بشريا.. لا أعرف كيف أخفيت نفسك عن الجميع وكيف فعلها.. كل من سألتهم عنك لم أجد لديهم أية إجابة .. لا أظن بالطبع أنني مجنون تخيل شخصًا اسمه عمر مرّ في حياته ويراسل نفسه على أنه شخص آخر .. رسائلك لدي كلها تقول إنك حقيقي مائة بالمائة .. لا أعرف لماذا أكتب لك بعض الهلاوس التي أصابتني منذ غيابك .. ولكنك أنت السبب .أريد أن أطمئنك أن جهازي يعمل بكفاءة مدهشة.. أحيانا لا أستطيع التعامل معه بطريقة صحيحة مئة في المائة .. لكن كل شيء على ما يرام .. بيانات التحديث ليست كاملة .. هناك ألعاب لا أستطيع الدخول إليها أغلقتها أنت بأرقام سرية لم أتوصل إليها .. أرجوك أن ترسل لي أكواد الألعاب والأرقام السرية للدخول إليها .. لو كنت أنت من يستعمل الجهاز الآن .. ستعرف أية ألعاب أقصدها .. سأنتظر الرد .. لا تتأخر"

ديفيد صديقك .

انتهى فتحي من قراءة الرسالة .. فزاد الغموض بداخله وتضاعف آلاف المرات وهو يتساءل من هو ديفيد .. ومن هوفمان .. وميرنا التي لم يعثر عليها أحد .

هوفمان اختفى .. وعمر يجب أن يتخلص منها .. ما كل هذه الألغاز .. هل كان عمر يعمل في شبكة جاسوسية .. ديفيد اسم لا يربح بالمرة .. من المؤكد أنه ذاك الشاب الثالث في الصورة .. ولكن أي الشابين الآخرين هو عمر وأيهما

هوفمان .. لا يهم .. فعمر قد مات في حادثة .. وهوفمان كما يقول ديفيد اختفى .

فتحي من ورث جهازا يحمل ألغازا تفوق تصوره وخيالاته .

أخذ نفسًا عميقًا وقد قرر أن يقرأ الرسائل الثلاث السابقة .. فتح ثاني رسالة ولكنه لم يجد سوى نفس الصيغة ونفس الكلمات .. الرسالتان الأخرتان نفس النظام .

لا يعرف فتحي لماذا أخذ قرارًا أن يبحث في الإيميل عن كل رسائل ديفيد .. عشرات الرسائل في صندوق البريد الوارد لم تفتح بعد وكلها عنوانها ديفيد .. بالتأكيد منذ وفاة عمر ولم يفتح أحد هذا الإيميل .. ليبحث في صندوق الرسائل المرسلة ، فمن المؤكد أنه سيجد ما يعيد إلى ذهنه صفاه ويجد تصورًا معقولا لما قرأه . الفضول القاتل كالعادة.

هناك

أخر رسالة وجدها أمامه في صندوق الرسائل المرسلة من عمر إلى بريد ديفيد .. نظر إلى تاريخها .. تاريخها قريب من تاريخ موت عمر .. فتحها فتحي وأخذ يقرأ

« عزيزي ديفيد .. الأمور تتطور بدرجة رهيبة أشعر أنني لا أستطيع التصرف .. أعتقد أنها تشعر بما أدبره لها .. نظراتها إليّ تقول هذا .. أرى ذلك في عينيها .. إنها تنتظر اللحظة المناسبة لكي تقضي عليّ .. سأحاول قريبًا أن أتخلص منها.. أعدك بهذا .. أرى أنها تلاحظ التغيرات التي تحدث لي.. تتأمل ملاح وجهي كل صباح بفضول غريب .. لم تعد تتكلم معي سوى كلمات بسيطة مقتضبة ..

أبي .. أظنك تتساءل عنه هو الأخر .. أبي لم يشك في شيء بعد .. وبالطبع لا أستطيع إخباره .. سيتحطم إذا عرف .. هي تحبس ظنونها بداخلها ولا تخبر أحدًا .. أصبحت متوحدة في الفترة الأخيرة .. أبي يلاحظ هذا ولكنه يبرر ذلك بأشياء أخرى لا علاقة لها لما يحدث فعلاً ..ربما يظن أن ما يحدث لها من العزال نتيجة لتقدمها في العمر .. أقول لك إنني سأحاول اليوم قدر استطاعتي .. وبعدها ربما اختفي لفترة .. أرسل ليّ كل ما يحدث عندك بالتفاصيل .. لا تقترب دون أن تكون حذرا فربما تكون نهايتنا نحن .. جهازي سيظل متصلا بجهازك ولكنني سأغلق كل الأكواد .. لن تستطيع أن تدخل على أي لعبة جديدة .. ديفيد الأمر لم يكن سهلا بالتأكيد ولكنني أراهن عليك وعلى صبرك .. لا تتعجل .. ولا تحاول أن تبحث عني قبل أن تردك رسالة مني .. حتى لو بحثت لن تستطيع الوصول إليّ .. لا مفريا صديقي من تنفيذ الأمر الذي اتفقنا عليه .. نفذ ما اتفقنا عليه ستعيش في أمان .. إذا خالفت أمري أنت تعلم أنها قد تكون نهايتك .. كلمة أخيرة لا تحاول الدخول إلى أية لعبة دون أمر مني ودون كلمات السر التي سأرسلها لك وقتها .. وإلا دمرتنا للأبد .. انتظر ردك الذي تقول لي فيه إنك لن تخالف أوامري..سأتصل بك في أقرب فرصة ممكنة لأطمئن عليك .. قد تكون الفرصة القريبة بعد يوم .. أو سنة أو بعد سنتين .. أو خلال سنوات ولكنني سأتصل بك بالتأكيد ..وللمرة الأخير أقول لك لا تشغل الألعاب دوني .. فقد تكون النهاية »

صديقك عمر

ما هذا ؟! وجد فتحي نفسه يهتف بعنف متسائلا .. وكاد يصرخ ولكنه بلع صرخته وهو يتطلع حوله .. لم يكن هناك أي شخص قريب منه .

رجع فتحي بجسده للوراء واسند ظهره إلى جذع الشجرة التي كان يجلس أسفلها وسرح بعقله فيما قرأ .. إنه لا يفهم ..أية شبكة وقع فيها ؟

يجب أن يتخلص من هذه الرسائل سيمسحها كلها .. ولكن هل هذا من حقه؟!

ليذهب عمر إلى الجحيم ..من الواضح أن هناك اثنين من المجاذيب قررا التخلص من أصدقائهم هذا ما وصل إليه..

لماذا عمر يحكي عن التخلص منها، وأبوه لا يعرف أي شيء.. هي من تلاحظ .. من هي ؟!!

اتسعت عينا فتحي فرقا وفكرة غريبة تدور في ذهنه .. هل كان يقصدها هي .. أمه ..أية لعنة هذه التي يحملها الجهاز .. قصة قاتل .. هل من الممكن أن يكون عمر قد قتل أمه ؟ ولكن كيف ؟!!

إنه هو وهي كما قال له الأستاذ وجيه قد ماتا في حادثة رهيبة سحق فيها جسديهما .ألغاز فوق ألغاز .. بلع فتحي لعابه وهو يفكر ربما سيضطر أن يعيد هذا الجهاز للأستاذ وجيه ..

ولكنه الفضول كالعادة ، راح يسأل نفسه أية ألعاب يحذر منها عمر صديقه ديفيد .مؤكد هناك شفرة في الرسالتين لم يفهمها هو .. هل يطلب من كمال مساعدته .. ولكنه لا يريد أن يثير خيال صديقه بجهازه أكثر.

قرر في النهاية أن يرسل إلى ديفيد تلك الرسالة ليقول له إن عمر مات .. ولكن قبلها يجب أن يقرأ كل رسائل عمر ليفهم أكثر.. الفضول قتل القط .

فجأة انطفأت شاشة الجهاز أمامه .. هل نفد الشحن ؟ ولكن لم يكمل تساؤله فبمجرد أن نظر خلفه حتى وجد وائل يقف وراءه عاقدًا ساعديه وينطلع إليه ويبتسم في غموض غريب .. الجهاز إذن يحمي الرسائل من أن يراها أحد غيره .. مستحيل !!

لقد كان عمر ذاك عبقريًا بالتأكيد .. عبقري وقاتل ومجنون .. أيهم هو حقًا ؟!

قال وائل وابتسامته الصفراء على شفتيه :

- ألن تحضر بروفة المسرحية .. وفاء ستحضر..

ومشى وائل وهو يقهقه ضاحكًا بأعلى صوته .. ودون مبرر ..

******

(٦)

القاهرة أصبحت تظلم كثيرًا هذه الأيام بسبب انقطاع التيار الكهربي غير المبرر سوى بأعذار واهية .. هذا ما لاحظه فتحي في الفترة الأخيرة وهو يقوم بتوصيل الطلبات .. لم يدرك لماذا بدل مع صديق له في المحل أن يذهب بدلا منه إلى الأستاذ وجيه ليلاً .. كان يدفع الثمن الوجبة قبل أن يرسلها مع صديقه .. ويخبره إذا سأل عنه الأستاذ وجيه أن يتحجج له إن فتحي مشغول بالمذاكرة هذه الأيام ..شيء بداخله يقول له إنه لا يجب عليه مشاهدة الأستاذ وجيه وخصوصا في تلك الأيام ..ولكن صديقه كل مرة يقول إنه لا يرى الاستاذ وجيه ولكنه يترك الوجبة أمام الباب عندما يسمع صوتا من الداخل يأمره بهذا .

كان صديقه قد عاد.. وهو قد انتهى من توصيل آخر وجبة .. سلم النقود لكريم الكاشير وغادر المحل شارد الذهن .. أصبح شرود ذهنه هذه الأيام شيئًا ملحوظًا لمجموعة كبيرة من عمال المحل .. وكان مبرره دومًا أنها فترة امتحانات ومذاكرة .. حاول قدر استطاعته أن يلوذ بالصمت ..

بيد أن ذلك لم يكن كافيًا طوال الوقت .. الفضول سمة أساسية لدى المصريين وهو أحدهم .

خطوات قليلة ويصل إلى شقتهم .. يصعد السلالم وهو يتساءل إلى أين يمضي بأفكاره العجيبة الغريبة .. كانت حادثة انتحار الدكتور عصام تشغل ذهنه وتفكيره طوال الوقت مذ حدثت .هل أصبحت لديه القدرة على رؤية المستقبل .. كيف ؟!

لقد سمع عن ظاهرة مثل هذه لدى بعض الأشخاص الذين يكون لديهم شفافية من نوع خاص يستطيعون أن يروا المستقبل ولم يكن يصدق .. وفي نفس الوقت كان هاجس آخر يقتله إذا كان ما يشاهده استشراف للمستقبل .. فهل يحدث أن يرى القاهرة تحترق كما رآها في إحدى المرات . اللعنة ! لتذهب كل رؤياه إلى الجحيم ..

دخل فتحي الشقة أنار نور الصالة وهو يدلف لغرفته .. أصبح قليل الكلام .. قليل الأكل .. وأصبح يخاف الظلام بشدة .. كان هناك شيء ينمو بداخله وهواجس تتصاعد وتيرتها أن ما حدث له علاقة بالكمبيوتر المحمول وعمر وديفيد ورسائلهما الغريبة ..

لم يحاول برغم الإلحاح الشديد لعقله أن يقرأ رسائل أخرى .. لكنه يرفض تصديق هذا .. رسائل ديفيد الغريبة التي لم يستطع أن يرد عليها برغم أنه أصبح يتلقى نفس الرسالة بنفس الكلمات يوميا .. وأصبح يخاف أن يفتح الرسائل ويعيد قراءتها .. الهواجس تطارده بعنف .

استلقى على فراشه وفتح شاشة الكمبيوتر وضغط زر التشغيل ..نفس الشكة ونفس نقطة الدماء.. بدا له بعد دقائق سطح المكتب .. حمد الله أن الصورة لسطح المكتب ثابتة منذ أيام على منظر طبيعي عادي .

قرر أن يستعرض الألعاب .. لقد ورد ذكر الألعاب أكثر من مرة في رسالة ديفيد وكذلك رسالة عمر .. راح يقرأ أسماء الألعاب أنها ألعاب عادية لإضاعة الوقت لا أكثر ولا أقل ..

انتقل من لعبة لأخرى ولم يثيره الأمر .. شعر بغتة أن هناك من يقول له إن يبحث عن ملفات مخفية على الجهاز .. عدل وضع الجهاز ليظهر له أية ملفات مخفية .. وبالفعل ظهرت بعض الملفات .. ظهر أمامه ملف مكتوب عليه " لعبة الحياة الثانية " ..

" الحياة الثانية " . لماذا يخفي عمر لعبة بهذا الاسم . تراجع فتحي على فراشه بظهره .. وقرر أن يفتح اللعبة .. صوت اللعبة ارتفع بغتة .. كانت هناك موسيقى مصاحبة للعبة بدت وكأنها نابعة من الجحيم ..ارتجف جسده وهو يخفض الصوت .. لم تمر وهلة حتى فتحت اللعبة أمامه ومكتوب فوقها التحميل للمرحلة الأولى كامل ..فضغط إشارة بدء اللعبة .

بلع فتحي لعابه بصعوبة وهو يرى ما أمامه وشعر بارتعاش جسده بالكامل . كانت اللعبة أشبه بفيلم سينمائي مصور .. بل لا تستطيع أن تؤكد بأية حال إن هذه لعبة حقًا .. الذي أثار الخوف بداخله بشده أنه كان يرى نفسه داخل اللعبة، وكأن هناك من التقط فيلما له في مكان ما .

رأى فتحي نفسه يقف أمام عمارة يعرفها جيدا .. الشارع خلفه يعرفه بكل تأكيد ..

فقد كان واقفا أمام عمارة الدكتور عصام ..

تطلع فتحي لما يراه .. إنه هو ..لاحظ أنه في الفيلم أو اللعبة التي تدور أمامه أنه يتحرك وهو يتلفت خلفه يرصد الشارع مطمئنًا أن لا أحد يراه ..

تابع فيلم اللعبة.. هو بلحمه وشحمه يصعد سلم العمارة .. إنه يدرك أن الدكتور عصام ذئب متوحد .. تزوج مرتين ولم تتحمله الزوجة الأولى أو الثانية .. فطلق وعاش وحيدا وسط جنونه .

أخذ فتحي يتابع الفيلم بذهول لا نهاية له .. أنه يقف أمام باب شقة الدكتور .. يضغط على زر الجرس فيرتفع صوت الرنين المصاحب لضغط يده .. يسمع خطوات من داخل الشقة .

بعد لحظات يفتح الدكتور عصام الباب .. يرى فتحي .. فتبدو ملامحه متسائلة .

رفع فتحي صوت جهاز الكمبيوتر وهو يرى نفسه على الشاشة واقفًا في مقابلة الدكتور عصام .

كان وجه الدكتور متجهمًا كعادته .. وهو يتساءل ما الذي يريده في هذه الساعة المتأخرة من الليل ..

صوت فتحي وهو يترجاه أن يدخل فأنه يريد أن يستفسر منه عن بعض النقاط في المحاضرة الأخيرة ..

فتحي يتودد للدكتور وعلى شفتيه ابتسامة ذات مغزى ..

ملامح وجه الدكتور عصام تقول إنه يلين وكأنما أرضته كلمات فتحي قليلا .. ويفسح المجال أمامه ليدخل الشقة .

بعد وهلة يرى فتحي نفسه جالسًا في مقعد في صالة شقة الدكتور عصام .. يأتي صوته وهو يعتذر عن مجيئه متأخرًا ولكنه جهز مبلغ الدرس المتأخر عليه .. وكان يعتبره كدين .. أخرج فتحي مبلغًا من جيبه ووضعه أمام الدكتور على مائدة منخفضة أمامه .

مد الدكتور يده في بساطة وأخذ المبلغ؛ ليضعه في جيبه وقد انبسطت أساريره قليلا .. هذا الرجل يعبد النقود بالفعل . عرف فتحي أن الرجل أسقط في يده .

بعد لحظات طلب فتحي كوبًا من الماء؛ لأن المشوار كان طويلاً ..

فهزّ الدكتور رأسه ووقف متجهًا للمطبخ .. غاب الدكتور لدقيقة تقريبًا وعاد وهو يحمل كوبين من العصير وضعهما على المائدة ..

واعتذر من فتحي حتى يدخل المكتب ليحضر له الملزمة الأخيرة للمادة .

بعد ثوان يختفي الدكتور من الردهة وهو يتجه إلى غرفة المكتب .. بينما يخرج فتحي شيئًا من جيبه .. يضعه في أحد الكوبين .. ويجلس هادئًا في انتظار عودة الدكتور عصام .. لم تمر دقائق حتى كان الدكتور يمد يده بورق الشرح وهو يقول لفتحي : إن يستوعبه جيدا فهذه فرصته الأخيرة لينجح في هذه المادة .. ولولا أنه يعرف اجتهاده ما سمح لنفسه أن يسمع مبررات منه أو تأجيل ..

بعد هنيهة رفع الدكتور عصام كوب العصير إلى شفتيه ورشفه على دفعات وهو يومئ لفتحي أن يشرب عصيره لينصرف ..

رفع فتحي كوب العصير إلى شفتيه وهو يتطلع لعين الدكتور .. لم تمر ثوان حتى شعر عصام بزوغان في عينيه اللتين دارتا في محجريهما .. وشعر أن الرؤية تغيب . تطلع لفتحي بذهول فقابلته تلك الابتسامة المميتة على وجه فتحي الذي تحول لوجه شيطاني ..

قام متثاقلا يترنح وهو يمسك في جاكت فتحي ونظرة رعب تطل من عينيه وهو يتمتم

من أنت ؟!

ثم سقط تحت قدمي فتحي .

اختفت صورة فتحي من على الشاشة لدقائق وظل جسد الدكتور ساكنًا لا يتحرك..

فتحي على فراشه في غرفته يتطلع للفيلم أو اللعبة بذهول.. يحاول إيقافها بلا فائدة .

إنه يرى نفسه ولا يصدق .. ما هذه اللعبة المجنونة ..

بعد دقيقة رأى نفسه على الشاشة مرة أخرى يدخل من باب الشقة الذي كان مواربا .. وبيده حبل غليظ .. يثبت الحبل في الحلقة التي تحمل نجفة في الصالة يقترب من جسد الدكتور عصام الملقى على الأرض يرفعه ويجلسه على كرسي في وسط الصالة .. ثم يلف الحبل الذي عمله على شكل أنشوطة حول رقبة الدكتور .. ثم يرفع جسده لأعلى فوق الكرسي ..وبمنتهى الهدوء

يدفع بقدمه الكرسي .. فيرى جسد الدكتور وقد تدلى وبسمع صوت فقرات العنق وهي تتحطم .

ينسحب فتحي من الشقة بعد دقائق وهو يحمل كوب العصير الفارغ الذي شربه الدكتور عصام .. وتبدو نظرة شيطانية وهو يغلق باب الشقة من الخارج ..

بغتة ترتفع موسيقى عجيبة من الجهاز قبل أن يرى أمامه على الشاشة جملة

" انتهت المرحلة الأولى .. وجاري تحميل المرحلة الثانية "

توقفت اللعبة أو الفيلم بغتة بعد ذلك ..

بينما أغلق فتحي الجهاز وهو يكاد يصرخ من الفزع ..

أعاد بعد دقائق فتح الجهاز ..

تطلع للعبة وأخذ يحاول أن يمسح الملف نهائيًا من الجهاز .. ولكن الجهاز يرفض .. ودوما رسالة تقفز في وجهه لقد بدأت اللعبة وليس باستطاعته مسحها أو التخلص منها دون تدمير بطل اللعبة " أي جحيم هذا ؟ وأي جنون .. تدمير بطل اللعبة ؟!

إنه هو .. هو بطل اللعبة العجيبة التي لا يعرف كيف تعمل . كلاّ.. مستحيل أن يكون ما رآه حقيقة .. من المؤكد أنها هلوسة أخرى أصابته ..

إنه بالفعل يحتاج للذهاب إلى طبيب نفسي وبسرعة قبل أن تتفاقم حالته .. صوت تحركات في صالة شقتهم يصل إلى مسامعه .

اعتاد على سمعها ، وقف وسار ببطء تجاه باب غرفته .. كان يعلم يقينًا ما سيراه .. وحقيقة تحدث برغم غرابتها .. فتح باب الغرفة بمنتهى الهدوء وتطلع للصالة .. بالفعل رآه ..

أبوه يتحرك في الصالة تجاه المطبخ كالعادة منذ أول مرة رآه فيها .. يفتح الثلاجة يخرج زجاجة مياه ويتجرعها على دفعة واحدة . تلك العادة القديمة لأبيه عندما كان بصحته .. ولكن ظل السؤال كيف .. أبوه مشلول هذا ما يؤكده الجميع ..

تابع تحركات أبيه التي بدت آلية كالعادة ..

بعد ثوان فتح أبوه باب غرفة نومه ودخل وأغلق الباب ..

لم يكن في استطاعة فتحي التحرك ..

هناك أشياء لا تستطيع توصيفها مهما فعلت ..

هكذا كانت أيامه في الفترة الأخيرة .

حاول أن ينادي على أبيه منذ يومين عندما رآه في هذه الحالة ولكنه لم يتلق ردًا ، حتى عندما وقف أمام أبيه وهو يتجه لغرفة النوم آنذاك بدت عينا أبيه مفتوحتين على اتساعهما ولكنه لا يراه .

يجب أن يذهب للأستاذ وجيه .. ولكن ما الذي سيقوله له ؟!

إن هناك أشياء تحدث . ما هي هذه الأشياء .

منذ لحظات شاهد نفسه داخل لعبة يقتل فيها الدكتور عصام .. ولكن هل هي لعبة حقًا أم أن هذا ما حدث بالفعل ؟!!

هل تحول لقاتل .. كلاّ إنه مريض .

لا وجود للعبة بالتأكيد .. إنها كوابيس وهلاوس .

هذا ما راح يقنع نفسه به وهو يعود إلى فراشه .. ويغطي جسده بالكامل .. ويحاول أن ينام بأي طريقة .. الحل الآن أن ينام .. ينام !!

لكن هل الحل بالفعل في النوم أم أن النوم سيفتح له عالما آخر من الجحيم ليس في قدرته تحمله ..

أغلق عينيه وغط في النوم ..

فلم يسمع ذلك الصوت من الجهاز الذي يقول

" تم تحميل المرحلة الثانية من اللعبة .. عليك التحرك "

****

(٧)

دخل فتحي للكلية كان يحمل حقيبة كمبيوتره المحمول الذي أصبح حمله له مشهدا مكررا في الأيام الأخيرة ..

كمال كف عن إلحاحه على فتحي أن يبيع له الجهاز .. وربما كان ينتهز الفرصة أن يمل فتحي أو يحتاج للمال.. وقتها سيعرض فتحي عليه أن يشتريه .

مرّ كمال بجواره وهو يدخل وأشار له أنه يتجه إلى المسرح .. فوائل والجميع هناك ..

بلع فتحي غصة في حلقه وهو يقول : أنه سيشرب الشاي ويلحق بهم .

أصبح في المعتاد أن تتجمع الشلة في المسرح لتشاهد البروفات ، وفاء تجلس وعيناها على وائل الذي يتحرك على المسرح في خيلاء طاووس .. بينما هناك شلة من الأصدقاء يمثلون مشجعين لوائل .. ربما يطمع أحدهم في وجبة في البوفيه ، أو سفر مع وائل في عطلة منتصف العام .. هذا ما كان فتحي يقوله لنفسه في كل بروفة يحضرها .. عينا وائل كانت ترصدانه بالمثل ، وكأنما يقول له انس فهي لي ..

وفاء برغم مشاكستها دومًا لوائل ولكن فتحي شعر أن هناك علاقة تنمو في الطريق .. لم يعرف كيف يصل بإحساسه إليها .. كيف يقول لها إنه يحبها ، بل هو غارق في عشقها ..

أشياء كثيرة كان دومًا يريد أن يفعلها ولكنه يتحجج دوما بضيق ذات اليد .. حتى الرحلة التي أعلن عنها وائل في الكلية لشرم الشيخ في منتصف العام ،

تردد كثيرا أن يخبره أنه سيذهب معهم .. لا يملك المال الكافي للرحلة .. وفي النهاية اعتذر أمام وفاء أنه مشغول بالعمل . ربما وقتها شعر بتقطيبة على وجه وفاء .. هل ما يشعر به حقيقة .. هل رأى نظرة ضيق في عينيها .. هذا ما أوهم فتحي نفسه به، وأراد تصديقه .

جلس في مكان قصي في الكافتيريا وطلب كوب الشاي الصباحي ..وأخرج جهاز الكمبيوتر المحمول من الحقيبة .. وضغط زر التشغيل ببساطة .. أصبح برغم غرابة جهازه هذا شديد التعلق به وكأن هناك ما يربطهما معا ..

قصة عمر ووفاته تلح عليه من وقت للآخر .. يرفض عقله أن يتابع بحثه ويقرأ .. الرسائل السابقة .. منذ أيام رأى نفسه في لعبة يقتل الدكتور عصام .. ولكنه قرر أن لا يفتح هذه اللعبة مرة أخرى .. برغم الرسالة التي تصله بمجرد أن يفتح الجهاز أن اللعبة جاهزة للتشغيل ..

لا يريد أن يذهب للمسرح ، سوف يصطدم بوائل وربما لا يستطيع أن يمسك نفسه أمام وفاء وبنهار معترفًا بتفوق وائل عليه في حبها ؛ لذا قرر أن يفتح الجهاز ويتعامل مع رسائل ديفيد القديمة ..

سيبدأ القراءة تنازليا من الأحدث للأقدم .. لم يعرف لماذا قرر هذا وهو يفتح صفحة البريد الإلكتروني ..لم تمر ثوان حتى رأى الصفحة أمامه بالرسائل المتعددة ... وسأل نفسه كيف لم يقفل هذا البريد الإلكتروني طوال فترة غياب عمر عن الحياة ..لكنه لم يعط للأمر أهمية .. لم تكن هذه هي النقطة الوحيدة الغريبة في جهازه .. وجد كومة من الرسائل الجديدة الموقعة باسم ديفيد وتساءل هل لم يمل ديفيد للآن أن يتلقى ردًا من عمر.

بعد عن الرسائل القريبة وفتح أول رسالة صادفته بتاريخ قديم .. تاريخ يبعد لسنتين تقريبا عن امتلاكه للجهاز .. إذن هذه الرسالة تلقاها عمر وهو في الخارج قبل مجيئه لمصر.

« عزيزي عمر .. لقد تم ما اتفقنا عليه .. الآن عليك أنت أن تتحرك قبل أن يصلوا إليك .. بالتأكيد هم يراقبوننا .. ولكنني حذرا في التعامل مع الأشياء كما عودتني .. هوفمان ارتكب خطأ أنا وأنت يعرف هذا .. لكن العقاب الذي سيناله سيرضيك بالتأكيد .. أنني أعددت كل شيء كما اتفقنا .. سأنتظر منك أن تخبرني بميعاد التنفيذ ووقت التحرك .. لن أتصل على هاتفك كما أخبرتني أنت ، بل سأنفي إذا أوقعوا بي أي شيء أخبرهم به هوفمان .. لا أعرف لماذا فعل هوفمان ما فعله .. ميرنا أظنها مشتركة معه في الأمر .. أدرك أنك تحبها ، ولكنها تخونك ..إنك لا تصدق .. ولكنك ستصدق عندما أتي لك بالدليل الذي لا يستطيع أحد دحضه .. لم أعرف من البداية لماذا أشركتهما في الأمر .. كان باستطاعتنا أنا وأنت أن ننفذ الأمر وحدنا .. ولكنك برغم هذا أعدت ما اتفقنا عليه برغم عدم حصولك على دليل يدين خيانتهما لنا .. يكفي ما فعله هوفمان لنبني هذا الأمر ... من كان يشك أنه سيفعلها ... اللعبة التي أرسلتها لي خطيرة جدًا .. ولكنني أحاول التمرن عليها .. ذهني شارد هذه الأيام كثيرًا .. لكن لا تقلق .. لن أهاتفك أو أقترب من أي مكان أنت متواجد فيه .. أعرف أنك قلت إن اتصال جهازي بجهازك مؤمن لدرجة رهيبة .. لقد أخفيت الجهاز في قبو جدتي في ذلك البيت الشتوي البعيد الذي لا يزوره أحد تقريبًا منذ وفاة جدتي .. لا تقلق لا أحد يستطيع الوصول لهنا بسهولة ، فجدتي لأمي هي جدتها بالتبني .. لذا لن يجدوا أية بيانات عن هذا المخبأ الشتوي مهما بحثوا .. سأنتظر رسالتك ولن أغادر مكاني إلاّ لو تلقيت الرد بالتحرك .. لا أحد

ينبغي الآن ..لقد ضللتهم في محطات مترو متعددة .. سأتمرن على اللعبة في هذا الوقت أرجو إرسال زر التفعيل »

ديفيد

ما هذه الحيرة .. من الذين كانوا يراقبون عمر، وديفيد .. الرسالة توضح أن هوفمان أبلغ عنهما وأن هناك من يتبعهما .. إذن الأمر به شبكة تجسس كما فكر فتحي في البداية ..

ولكن في رسالة أخرى قرأها أكد ديفيد اختفاء هوفمان وأن لا أحد عثر على مكان ميرنا .. هل هرب هوفمان وميرنا وتركا عمر وديفيد لملقاة مصيرهما .. أسئلة جديدة تظهر وهو من يظن أنه سيجد الأجوبة التي تريحه .

يد تربت على كتف فتحي فجفل وهو يغلق باب الجهاز .. كانت نرمين التي تقف وراء ظهره بقامتها القصيرة ونحافتها ، قالت وهي ترى ما فعله بمجرد أن وضعت يدها على كتفه :

- ماذا أصابك هل أخفتك لهذه الدرجة هل رأيت شيطانًا .. لماذا أغلقت الجهاز بهذه الصورة .. أصبحت مهووسًا بجهازك هذا .. ما علينا أين الجميع ؟

قال فتحي وهو يحاول أن يبتسم :

- في المسرح ؟

قالت نرمين متسائلة :

- لماذا لست هناك ؟

أجابها دون أن يرفع عينيه إليها قائلا :

- أريد أن أجلس وحدي قليلاً .

أومأت برأسها وهي تقول بخبث :

- هل وفاء هناك ..

قال فتحي في اقتضاب :

- أظن هذا ؟

مصمصت شفتها وهي تقول :

- غريبة .. كنت أظن أنك لا تفارق مكانًا هي تجلس فيه ..

- أرجوك لا دخل لك بي .. ولا بتصرفاتي .

- لا تغضب .. كنت أظنك تحبها أو توهمت أنك تحبها .. اطمئن لن أخبرها بالأمر .. فهي تقريبا لا تراك .

لم يشعر فتحي لماذا تتعمد نرمين إثارة غيظه .. ولكنه قام وأغلق الجهاز ووضعه في حقيبته وهو يقول :

- عن إذنك .. سأرى ما لدي من محاضرات اليوم ..

وغادر المكان تاركًا نرمين خلفه وعلى شفتها ارتسمت ابتسامة عجيبة ، ابتسامة شخص منتصر في معركة لم يجد بها خصمًا كفأً ..

في طريقه للمحاضرة عاد عقله للتفكير في ديفيد وعمر والألعاب العجيبة ..

الألعاب التي يعود ذكرها أكثر من مرة في الخطابات المتبادلة .. واللعبة التي تقول إن المرحلة الثانية جاهزة وعليه أن يضغط زر البدء .

وقرر أن يلعب هذه اللعبة في المساء ليرى أي وهم جديد ينقله الجهاز له ..

******

الثلج ينهمر بشدة .. الهواء البارد يحمل ندف صغيرة من الثلج .. فيلات من دورين مرصوصة على جانبي الطريق .. أمام الفيلات تتراص عربات كثيرة وقد غطت الثلوج أسقفها .. يبدو الهدوء على المنطقة لا يقطعه سوى نباح كلب من إحدى الفيلات من حين لآخر .. شخصان يتحركان بهدوء ويتطلعان لنهاية الشارع ويبدو أنهما ذكر وأنثى ، الرجل طويل القامة يرتدى معطفًا جلديًا أسود طويلاً ..

بينما الأخرى شابة .. تبدو في أول العشرينات .. ترتدي بنطلونا ضيقًا وفوقه بلوزة خفيفة وحذاء برقبة عالية .. وكأنها لا تشعر بملمس الهواء البارد حولها ولا تهتم لتساقط الجليد فوقهما ..

يتطلع الرجل حوله كل فترة يطمئن أن ليس هناك أحد يتبعه .. يقول بصوت هامس :

- ستأتي لا تقلقي .. جوليان لا تخلف موعدها قطّ .. الفيلا قريبة في أول تقاطع يقابلنا ..

تبدو الفتاة مهتمة وهي تنظر لفيلا مضاءة بأنوار شديدة وكأن من بداخلها يعيش احتفالية من نوع ما .. قالت الفتاة :

- لماذا لم نذهب نحن إليها في عملها؟

أجابها الرجل وهو يشوط بحذائه إحدى كور الثلج :

- الأمن .. كان مهما أن نبعد الأنظار عنا ..

فركت الفتاة يديها وكأنها بدت تشعر بالبرد :

- ألاّ تشك أنه قد عرف شيئًا..أنه هذه الأيام يكاد يستشرف المستقبل.. هل تتذكر حادثة المترو منذ أيام ؟! بدا وقتها يعرف كل شيء ..هل تظنه يعرف تحركاتنا الآن ؟

نجهم وجه الرجل وهو يقول :

- حتى لو عرف الآن سيكون الفخ جاهزًا للإيقاع به .. كان خطأ من البداية أن نسايره ...ما كان لنا الاشتراك في أمر بهذه الخطورة .

قالت الفتاة وعيناها تنظران للأمام :

- أنت من تحمس للأمر .. كنت تظنه فتحًا علميًا .. الخطأ خطؤك ..

وقف الرجل فجأة وتطلع لوجهها قائلاً في تؤدة :

- لا وقت لتبادل الاتهامات الآن .. ومن أين ليّ أن أعرف أننا سنفتح أبواب الجحيم بأيدينا ؟!

زفرت الفتاة بشدة زفرة حارة فخرج بخار الماء من بين شفتها وهي تقول :

- ديفيد .. ديفيد هو السبب في كل هذا .. هو من أقنعنا بالفكرة .. وحماسك الزائد لديفيد هو ما وضعنا الآن في هذا المأزق غير المفهوم .

بدا الرجل مفكرًا وهو يقول :

- سننهي كل شيء اليوم .. لقد اتصلت بالعميلة جوليان وهي في الطريق ..

قالت الفتاة وهي تشير للفيلات :

- لماذا اخترت تلك المنطقة النائية .. ولماذا إصرارك أن نأتي بالمترو ؟

ابتسم الرجل وكانا قد اقتربا من قطع نصف المسافة من بداية الشارع وهو يقول :

- ألم تقولي منذ دقائق أنه أصبح يستشرف المستقبل .. المجيء بالمترو وتغير المحطات حتى لا يسهل العثور علينا ...وهنا تسكن العميلة جوليان .

سمعا ضحكات صادرة من فيلا قريبة .. الجو هادئ وساكن وأي صوت يستطيعان رصده بسهوله ، هذا ما وضعه الرجل وهو يشير إلى فيلا قريبة :

- أظن أن هذا هو العنوان .. قالت إنها ستنتظرنا هنا ..

قالت الفتاة وهي تتبعه :

- هل تظن أنها أخبرت أحدًا بالأمر بعد .

قال الرجل وهو يغذ السير :

- لقد نبهتها إلى خطورة الأمر .. وقلت لها إن اسمي أو اسمك لا يرد في أي تحقيقات .. وهي التزمت معي بوعد ألاّ تتحدث في الأمر حتى ينتهي .. وأظن أنها ستفي بوعدها .. جوليان دومًا عند كلمتها.. هذا مشهود لها به.

كانا قد أصبحا قريبين جدًا من باب الفيلا .. نظرت الفتاة للفيلا التي كانت تعوم في الظلام ولا يصدر من داخلها أي إضاءة وهي تقول :

- أمتأكد أنت من العنوان ؟ الفيلا مظلمة .. ربما لم تأتِ بعد !

وقف الرجل أمام الفيلا المظلمة، ودفع بابها الخارجي ودخل والفتاة خلفه، وهو يخرج هاتفه الجوال ويقلب في أرقامه حتى ظهر رقم أمامه اسم التحري جوليان .. وضغط على زر الاتصال .. وراح يتطلع لشاشة الجهاز عدة مرات ويعيد الاتصال وفي النهاية قال :

- عجبًا ! إن هاتفها مغلق ..

قال الفتاة بغضب :

- اللعنة ! حاول مرة أخرى ..

حاول الرجل الاتصال فأتته نفس الإجابة أن الهاتف مغلق ، وقفت الفتاة مكانها وضربت باب الفيلا الداخلي بيدها تعبيرًا عن شدة غضبها ، ولكن عينها اتسعتا بخوف ، ونظر الرجل إلى الباب دهشًا عندما سمع صوت صرير الباب الذي يقول إن الباب مفتوح ، وإن هناك من سبقهما بالمجيء ..

تراجعت الفتاة للخلف وهي تقول :

- أظنها بالداخل ؟

هزّ الرجل كتفيه وهو يقول :

- ربما .. وربما هي من تركت الباب لنا مفتوحًا حتى لا تثير الشبهات حول لقائنا بها ..

- والهاتف ؟!

- مؤكد شحنه قد نفد .. هيا لا مجال للتراجع الآن من أجل أفكار ساذجة .. لم نقطع كل هذه المسافة لنقف الآن .

دخل الرجل فتبعته الفتاة بهدوء .. لم تعرف لماذا تشعر بالخوف في هذه اللحظة بالذات .. أخذ الرجل ينادي بصوت منخفض " جوليان" .. التحري "جوليان " ولكنه لم يتلق إجابة .. حاول الوصول إلى زر الإضاءة .. بجوار الباب .. راحت الفتاة تتحسس الجدار خلفها حتى وصلت إلى زر الإضاءة قبله .. قالت بهمس :

- وجدته ..

وضغطت الزر .. ولكن لم يتغير شيء.. ظلت الفيلا سابحة في الظلام ..مما زاد من خوفها وتراجعها وهي تقول :

- من الأفضل أن ننصرف .. هناك شيء غريب حدث هنا ..

أضاء الرجل شاشة هاتفه المحمول وراح يديرها في المكان .. لا شيء غريب .. كل شيء في مكانه ، ردهة طويلة .. مقاعد قريبة من مائدة عليها أوراق وفوقها هاتف محمول .. فوتيه طويل .. وصالون مكون من كنبة عريضة وست

مقاعد .. طراز بسيط .. اقترب الرجل من المائدة ..ووجه شاشه تليفونه فوق الأوراق .. إنها أوراق عديدة من جهات حكومية .. وبعض منها عليه إمضاء بخط نسائي أنيق .." جوليان " .. رفع الهاتف ونظر فيه .. كان مغلقًا .. ضغط على زر تشغيل الهاتف .. فأضاءت شاشته بعد وهلة .. كان آخر اتصال مسجل عليه إلى رقمه ... ولكن الغريب أن التليفون بدا وكأن هناك من سحب شريحة التشغيل منه .. فجأة شعرا بحركة في المكان .. فتخشبت الفتاة في مكانها وهي تقول :

- هناك شخص هنا !!

تحرك الرجل وهو يوجه شاشه تليفونه المحمول الذي بالكاد يضيء أمامها مسافة صغيرة جدًا .. وبلع ريقه وهو يتطلع حوله لعله يرى أحدًا ثم أخذ يرفع صوته قليلاً مناديًا :

- هل من أحد هنا .. عزيزي جوليان أين أنتِ ؟!

لم يتلق ردًا فأمسك بيد الفتاة التي اقتربت منه لاذة بقربه، قالت في خوف :

- يجب أن ننصرف أنني أشعر بالخوف ..

فجأة انتفض جسد الفتاة عندما شعر بذلك الملامس الدافئ الذي يتمسح بقدمها، صرخت وهي تقفز في مكانها .. وضع الرجل يده على شفتها ليمنعها من مواصلة صراخها، وأسفل قدمها كانت هناك هرة شديدة السواد تتمسح بها..فأطلقت زفرة حارة ملتهبة .

هزّ الرجل رأسه وهو يتطلع للردهة والسلم الذي يقود إلى الدور الثاني.. والهرة التي جرت في اتجاه السلالم صاعدة قبل أن يقول :

- ربما كانت في الأعلى ولا تسمعنا .. لا مجال للتراجع الآن !

لم تعرف الفتاة لماذا راح قلبها يرتجف بعنف وهي تصعد وراءه سلالم الفيلا..

امتد أمامهما ممر طويل في الدور الثاني .. وهناك ثلاث غرف مفتوحة الأبواب أمامهما .. اقتربا من الغرفة الأولى، كانت عبارة عن غرفة نوم عادية ولا شيء بالداخل.. البهرة اختفت من أمامهما .. ولكنهما كانا يسمعان صوت خرشة قدميها بالأرض الخشبية ..

وبعد لحظات كانا يشاهدان محتويات الغرفة الثانية ولم تظهر جوليان بعد .. عند الغرفة الثالثة شاهدا البهرة تقف على بابها وهو قوست ظهرها بشكل عجيب وصدر عنها مواء مرتفعًا ..

أشارت الفتاة للبهرة التي دخلت الغرفة فتبعاها .. كانت الغرفة شاغرة أيضا ولا أثر لجوليان .. كان هناك شمعدان بجوار السرير ..فاقترب الرجل وراح يشعل شمعه .. وبدا صورة ظلال لهما تظهر على الحائط أمامهما ..فيزداد الخوف بداخلهما .. كان الرجل يحاول أن يبدو متماسكًا .

سمعا صوت المياه المنسابة من داخل حمام ملحق بالغرفة .. والبهرة تقف على باب الحمام .. تشجع الرجل وتقدم في اتجاه الحمام وهو يسحب الفتاة من يديها .. ودخلا ..

انتفضت الفتاة وارتدت بجسدها للخلف فأمام أعينهما كانت جسد جوليان مسجى في مغطس رخامي ، عارية تمامًا ، والمياه تغمرها بالكامل، وقد بدت عيناها جاحظتين بشدة، ومن الجلي إنها فارقت الحياة .. ارتفعت صرخات الفتاة وهي تعدو خارجة بسرعة لا تلوي على شيء .. والرجل ينادي عليها أن

تتوقف .. ولكنها راحت تهبط السلالم، وتواصل عدوها حتى خرجت من باب الفيلا وراحت تجري في الشارع ..وهي لا تفهم ما يحدث فعلا ..

فجأة انقطعت الأضواء عن المنطقة .. فبلعت وهي تواصل العدو، وضرب عينيها كشافان لسيارة مرتفعة تقف في مواجهتها وصوت محركها المرتفع يصل إلى أذنها، وفجأة تحركت السيارة في اتجاهها وارتفع صرير عجلاتها.. فدارت على عقبيها وراحت تجري والسيارة تتابعها عن قرب .. شعرت بالهواء يلفح وجهها بعنف، والسيارة تعبر بجانبها وتقف على بعد سنتيمترات منها قبل أن يفتح بابها الخلفي.. تخشبت في مكانها ويد تمتد من داخل السيارة وتسحبها للداخل بعنف .. أرادت الصراخ ولكنها وجدت يدًا تكتم أنفاسها قبل أن يمتد شريط لاصق ليوضع على شفتها وهناك من يشل حركتها .. واتسعت عيناها رعبًا عندما رأت صورة منعكس في المرآة الأمامية للرجل الذي يحتل مقعد القيادة .. وارتفع صرير عجلات السيارة مرة أخرى وهي تغادر المنطقة الهادئة التي كانت تسبح في السواد في تلك الليلة شديدة الظلام ..

كان الرجل يقف أمام باب الفيلا .. ويتطلع للسيارة المغادرة للشارع في لا مبالاة وهو يبحث بعينيه عن الفتاة .. لم يشك للحظة أن الفتاة داخل السيارة .. ولكن شيئًا بداخله جعل قلبه يرتجف وبعنف غير مسبوق .. والظلام يزداد كثافة وكأنه أصبح له ملمسًا خاصًا .

ارتفع صوت من الكمبيوتر المحمول لفتحي .. واختفت الصورة من على الشاشة واسودت الشاشة لثوان قبل أن يعود الصوت مرددًا : انتهت المرحلة الثانية من اللعبة وجاري تحميل المرحلة الثالثة ..

كان كل ما سبق هو ما نقلته شاشة كمبيوتر فتحي المحمول .. تلك اللعبة التي تبدو كفيلم سينما دقيق التصوير .. ما جعل فتحي يرتجف برعب وهو يغلق الجهاز أنه عرف الرجل والفتاة اللذين دخلا الفيلا .. فلقد رأى صورتهما من قبل مع المرحوم عمر .. بالتأكيد الفتاة هي ميرنا .. والرجل هو هوفمان .. الذي أثار رعب فتحي أكثر ذلك الذي كان يقود السيارة السوداء التي اختطفت ميرنا .. والذي انعكست صورته في المرأة وجعل الفتاة تفزع بشدة كان عمر نفسه .

أخذ فتحي ينظر لغرفته ويحاول التقاط أنفاسه التي كانت تضطرب في صدره .. كل شيء يؤكد أن عمر كان بجانب عبقريته شخصية مجنونة .. وقاتلة .. مشهد جثة تلك المرأة العارية في مغطس الحمام بدت تطارد فتحي .. أية لعبة مجنونة هذه ؟!

لو صدق ما شاهده فمن الطبيعي أن يصدق الجزء الأولى من اللعبة .. والتي كان هو فيها يقتل الدكتور عصام ..

صوت تحركات أبيه في الصالة تصل إلى مسامعه .. لم يعد يرعبه الأمر لتكرار حدوثه .. خصوصا أن أباه لا يصدر عنه ما يسوء له ..

ولكن بداخله كان يدرك أن الأمر لن يتوقف عند هذه النقطة .

******

(٨)

كان فتحي قد وصل لحالة أنه لم يعد يفهم نفسه. يكاد يشك أن كل ما يدور حوله هو مجرد هلاوس وأن عقله قد أصابه الجنون .. وفي نفس الوقت لم يعد يستطيع الاستغناء عن الكمبيوتر المحمول واللعبة الغريبة .. أصبح الأمر أقرب للإدمان ولا مجال للتخلص منه ..

حياته لم تعد منتظمة في الفترة الأخيرة .. يشعر بالإرهاق في أوقات كثيرة ، ولا يجد مبررًا لهذا الإرهاق .. أمه لاحظت شحوبه هذه الأيام وميله للانطواء .. ربما رجحت الأمر إلى عمله والجامعة .. ودعت له إن يعينه الله .. أصبح قليل الكلام مع أبيه .. يغادر صباحًا مسرعًا وهو يلقي التحية على أمه وأبيه متجنبًا النظرات المتسائلة عن ما به .. يغلق باب حجرته عليه بالساعات ..

وكأنه لا يريد أن يغادر العالم العجيب الذي حبس نفسه بداخله .. ثلاث أيام مضت وهو لا يذهب للعمل.. بلغهم أنه مريض وسيعود قريبًا عندما يشفى .. هل هو مريض بالفعل .. هذا السؤال لم يجد له إجابة هو الآخر .. بجملة الأسئلة التي أصبحت لا تنتهي ...

ينظر للكمبيوتر المحمول كانت المرحلة الثالثة من اللعبة لم تبدأ بعد .. التحميل زاد هذه المرة .. ما الذي تخفيه هذه اللعبة له .. خطابات ديفيد اليومية بنفس الصيغة أصبحت لا تثيره ..

هناك رعب أكبر من الرسائل المرسلة .. رعب تلك اللعبة المجنونة ..

خرج للصالة .. كان لم يحلق ذقنه منذ أيام، تطلعت له أمه وهو تقول له متسائلة هل تجهز له الإفطار .. هزّ رأسه أن لا .. لم يعد لديه رغبة في الطعام هذه الأيام .. معدته متقلبة .. وخوفه مما يحدث يجعل رغبته في الأكل شبه معدومة ..

خرج من الحمام بعد دقائق وذهب لغرفته .. ارتدى ملابسه ببطء .. وحمل حقيبة الكمبيوتر المحمول على كتفه .. وألقى التحية المعتادة على أبيه في غرفته وهو يغادر..

بعد دقائق كان يقف أمام باب عمارتهم .. الشارع يبدو له غريبًا بسكانه والمارة الذين يقطعونه ..

يأخذ الطريق إلى محطة المترو وهو في شرود تام .. خطواته قدميه هي من تقود .. ويكاد يجزم أن لقدميه ذاكرة خاصة بها ..

المحطة مزدحمة هذا ما لاحظه بمجرد أن مد يده بالجنيه ليقطع تذكرة المترو ..

وبعد وهلة كان يقف على الرصيف ..يتأمل الوجوه .. المشاكل هي هي لدى الآخرين .. بينما مشكلته هو أصبحت لا تطاق .. الرؤى التي أصبحت تطارده .. وأصبح الآن يراها وهو صاحٍ

.. لم يعد يفهم ولكنه في نفس الوقت كان يبذل قصار جهده ليفهم ..

صوت جرس الرصيف يعلن قدوم المترو.. يتراجع خطوتين للخلف ويقف منتظرا أن يهدئ المترو من سرعته ويفتح أبوابه .. لماذا ارتفعت صرخة من

أحد الأشخاص .. فتطلع قبل أن يسمع صرخات البعض الآخر، فتطلع لما ينظرون ، فقد كان هناك مترو آخر يهوى في المقابل قادم بسرعته وعلى نفس الخط .. لم يستطع أن يغلق عينيه وهو يتراجع للخلف مع أصوات الأقدام التي تعدو في كل مكان وبعضهم يصطدم ببعض .. امرأة تحمل طفلة صغيرة تحاول الجري فيصطدم جسدها بأحد الرجال المذعورين تسقط البنت من يديها أسفل الأقدام . تتعلق عينا فتحي بجسد الرضيعة الذي تدفعها قدم مسرعة فتسقط على قضبان المترو .. الأم تصرخ فلا يصل صوتها إلى مسامعه ويراها وهي تقفز بجنون خلف الرضيعة .. تتسع الرؤية أكثر عندها ويبلع فتحي غصة في حلقه وهو يشهق ففي نفس اللحظة حدث التصادم بين القطارين .. السحق جسد الأم بالكامل .. وتبعثرت أشلاءها .. بينما انقلبت عربات القطارين وانطلق الشرر من كل مكان .. الدماء تغرق كل شيء الرصيف والقضبان .. جماجم محطمة وبقايا أمخاخ تبدو كمادة هلامية تدوس عليها أشخاص يعدون في ذعر.. بطون مبقورة وقد استقر فيها حديد العربات .. أجساد مسحوقة .. وجه شخص خرجت عيناه من مكانهما، وتدلى فكه مكسورًا في منظر مفزع، بينما يتحرك هو وسط صرخات الرعب التي تنطلق من الحلوق .. طفلة صغيرة تزحف على الرصيف وقد قسم جسدها لنصفين فنرى الجزء العلوي يزحف مبتعدًا عن الجزء السفلي الذي ما زال يرتعش وهي تمد يديها تستنجد بأي شخص .. رأس شبه منفصل عن جسد صاحبه ومتدلٍ على صدره ويده تقبض على حقيبة صغيرة .. النيران ترتفع بغتة لا تعرف مصدرها .. أبواب مغلقة على أناس بعضهم أحياء يصرخون بداخل عربة مقلوبة .. صرخات وذعر من الركاب الذين كان بعضهم ما زال قريبًا من رصيف الانتظار .. عيون قد استقر بداخلها شظايا الزجاج المتطاير .. أشخاص يزحفون وقد غطتهم الدماء.. يحاولون الخروج من باب مفتوح ..

بينما يقف هو مبتسمًا وقلبه يخفق .. يفكر في وفاء بعينيها الخضراوين وشعرها الأصفر الذي يداعبه الهواء ... فقد كان يدرك أن ما يراه مجرد رؤيا مجنونة مما تصادفه بكثرة هذه الأيام، وبرغم هذا لا يستطيع أن يمنعها عن عقله فيقابلها بابتسامة مغتصبة حتى لا يجن.

وبغتة انفتحت أبواب عربة المترو .. واصطدم جسد فتحي بأحد النازلين .. بينما دفعه آخر وراءه ليركب قبل أن تغلق العربة أبوابها ..كانت الرؤيا قد انتهت؛ فتنفس مرتاحًا وهو يمسك بقضيب حديدي بجانبه وجسده يتأرجح مع انطلاق المترو .

ساعة الجامعة تدق تعلن العاشرة صباحًا ، آنذاك كان فتحي يتحرك باتجاه الكافيتريا ، لا ميل لديه ليحضر محاضرات اليوم، كان يريد أن يرى وفاء، ربما هي الشيء الحلو الوحيد الذي يشعر أنه موجود الآن بحياته.

الكافتيريا تبدو مزدحمة في تلك الساعة، وائل يجلس في وسط حلقة من الطلبة وبجانبه وفاء ونرمين وكمال وآخرون .. كان يبدو وكأنه يمارس التنظير عليهم بأفكاره العجيبة ، اقترب فتحي منهم؛ فاتجهت إليه العيون، منذ أربعة أيام لم يدخل الجامعة بقدميه، منظره شد العيون إليه، بينما وقف كمال ينظر إليه متسائلا :

- ما بك تبدو وكأنك خارج من تحت شاحنة؟!

سحب فتحي مقعدًا وجلس وهو يقول بلا مبالاة :

- لا شيء كنت مريضًا !

انتبهت وفاء لكلمة مريض فقالت :

- ألف سلامة عليك .. وجهك شاحب بشدة .

تحسست فتحي وجهه بيده وهو يقول :

- لا تشغلي بالك .. أنني الآن أفضل كثيرًا ..

لم ينبس وائل بحرف لفترة ، ويبدو أنه يشعر بالضيق لاهتمام وفاء بفتحي .. فقال بعد فترة :

- ألم يقل إنه بخير..ما لكم ملهوفون عليه هكذا ؟!

قالت نرمين وعلى شفتها ابتسامة عجيبة :

- صديقنا ويجب أن نهتم به .

وضغطت على يد وفاء وهي تهمس في خفوت :

- أليس كذلك ؟

قال فتحي وهو يلقى نظرة على الجميع :

- الحمد لله أنني بخير .. شكرا لاهتمامكم ..

ضحك كمال وهو يربتّ على يد فتحي :

- إنه كان يرى كم هو غاليا لدينا .

قام وائل فجأة عندما شعر أن الجميع يبدون جلّ اهتمامهم بفتحي قائلا :

- البروفة بعد عشر دقائق .. سأنتظركم في المسرح ..

تحرك بعض الجالسين متبعين وائل .. فقال كمال بعد أن غاب وائل عن عينيه :

- لا أعرف لماذا يغير منك .. برغم أنه يملك كل ما يميزه عنك .

فقالت نرمين مدافعة عن وائل :

- يغير! أنتما واهمان .. وائل لا يغير من أحد ..

نظرت وفاء لنرمين قبل أن تقول :

- لماذا تدافعين عن وائل دائمًا بشدة ؟

بدت عينا نرمين متسعتين وقد ارتفع حاجباها :

- أليس صديقنا هو الآخر .. هل لا بدّ أن يكون مريضًا لنهتم به ..

ثم وقفت متهربة من الحديث وهي تقول :

- سأذهب لأحضر البروفة عن أذنكم ..

غادرت نرمين المكان ولاحقتها العيون، ثم قال كمال في غموض :

- لا فرصة لديها ؟

قالت وفاء وهي ترشف من كوب عصير أمامها :

- فرصة لماذا ؟

ابتسم كمال وهو ينظر في عيني وفاء ويقول ببطء :

- لا تقولي إنك لا تعرفين .. واضح للجميع أنها تميل لوائل ..

أرتد جسد وفاء للخلف وهي تقول :

- وائل ونرمين !! مستحيل !

لاعب كمال شفتيه بلسانه وهو يقول بصوت أجش :

- ألم أقل لكما لا فرصة لديها ؟!

كان فتحي قد ذهب بعقله بعيدًا في تلك اللحظة ، ولكنه انتبه لنظرات وفاء بعد كلام كمال عن نرمين ووائل ، وقد تجهم وجهها فقال فتحي فجأة بغموض :

- هيا بنا نحضر البروفة ...

اعتذر كمال وهو يقف قائلاً :

- أذهبا أنتما .. فأنا وراني مشوار لوسط البلد .. انتبي منه وسأعود لك لا تغادر دوني ..أريد أن أتكلم معك ضروري .

هزّ فتحي رأسه وهو يقوم فقامت وفاء ببساطة .. وغادر الثلاثة المائدة .. اثنان في اتجاه .. وآخر في اتجاه مختلف ...

لم تمر دقائق حتى كان فتحي ووفاء يدخلان المسرح .. كان وائل يقف على الخشبة وهو يلقى منولوجًا طويلا .. يتحرك بثقة على خشبة المسرح، يلقي نظرة على وفاء وهي تدخل فيزداد حماسه، تخرج وفاء هاتفها وتروح تلتقط صورًا لوائل .. بينما يجلس فتحي في أخر صف ناظرًا لوائل بغموض غريب .. لا يدرك فتحي كم يمر من الوقت ووفاء تلتقط الصور للفرقة وحركاتها على المسرح .. كانت إضاءة صالة المسرح مغلقة بينما أضواء الكشافات تتلاعب على الخشبة .. الضوء الأحمر ينعكس على وجه وائل فيبدو في عين فتحي كشيطان ينبعث من الجحيم يحطم أحلامه البسيطة ..

يخرج الكمبيوتر المحمول من حقيبته ويقرر أن يدخل على شبكة الإنترنت .. تمر ثوان ويظهر له سطح المكتب بالصورة الطبيعية التي تحتله منذ أيام فيتنفس الصعداء .. وهو يفتح إيميل المرحوم عمر.. ويقلب في الرسائل القديمة .. يقرر أن يفتح أي رسالة موقعة من ديفيد ليشفي نفسه عما يدور حوله .. اهتمام وفاء بوائل كان يثير حفيظته ولكنه حافظ على تلك الابتسامة المعايدة على شفتيه وهو يتطلع للرسائل ويختار أحدها دون ترتيب .. يفتح الرسالة ويقرأ

« عزيزي عمر .. أين أنت منذ أيام .. لقد غادرت آخر حفلة جمعتنا معا مبكرًا .. أعرف أنك تذكرت العزيزة أوليجا آنذاك.. وأتذكر أني أرسلت لك في السابق بعد أول لقاء بينكما وقتها " أن أوليجا تسأل عنك أيها الخبيث من الواضح أنك تركت فيها تأثرًا طيبًا " .. أني أتذكر تلك الجملة تحديدا ولا أعرف لماذا ..

لا أريدك أن تشغل نفسك بهوفمان وميرنا الآن .. كل ما يهم الآن أن تنتبي في أقرب وقت من إعداد الشريحة الإلكترونية .. سأتواجد في المركز بعد ثلاث أيام تحديدًا .. أرجو أن تكون انتهيت من الشريحة .. أنك عبقري يا صديقي.. الرسم الذي أرسلته لي عبقريًا ومدهشًا وسيساعدني للوصول إلى الصندوق داخل المتحف بمنتهي الدقة .. سأحاول ألاّ أخذلك أبدًا .. سأرسل إليك العنوان الذي سترسل إليه الشريحة من الأفضل كما قلت أنت .. ألاّ نتقابل حتى ينتهي الأمر ..لا أعرف لماذا تعاودني جمل من رسالة سابقة منذ زمن لك عندما عرفت أوليجا وبدأت العلاقة بينكما لقد قلت لك وقتها متسائلا " لنقل ليّ صراحة هل هناك علاقة حدثت بينك وبين أوليجا .. الفتاة مغرمة بالفعل بك لقد حدثتني كثيرًا عن ميلها إليك .. أعرف أن أوليجا مجنونة واهتمامها بالسحر العجيب وانضمامها لهذا الطائفة من المشعوذين قد تثير خيالك .. لكن من واجبي أن أحذرك منها أنها ثرثارة أكثر من اللازم أتمنى أن لا تكون قد أخبرتها بشيء .. وإلا ستمثل عقبة في طريقنا بثرثرتها الحمقاء .. سأقول لها إنك ذهبت لإجازة وستعود قريبا " إني أتذكر الرسالة وكأني كتبتها لك بالأمس ...أعرف أنك تتألم كثيرًا، ولكن العمل شيء والعواطف شيء آخر .. دعنا ننتهي من الأمر بسرعة .. صحيح أحب أن أطمئنك أن المصنع قد أعد بالكامل وأنهم ينتظرون منك التصميمات لبداية العمل .. والموارد كلها متوفرة ..الممولون لا يبخلون علينا ..

العنوان الذي سترسل إليه الشريحة ستجده مكتوبًا في آخر المحادثة .. انتظر منك أيضًا ما وعدتني به، لا تتأخر كثيرا عليّ .."

تحياتي صديقك ديفيد

أخذ فتحي يقرأ أخر سطر الذي حمل العنوان " سانتا مونيكا فندق نائب الملك .. غرفة ١٣ "

ولم يعرف فتحي لماذا قرر أن يبحث عن الفندق على صفحات الإنترنت .. حتى وجد وصفًا للفندق .

« يقع هذا الفندق الذي يبعث على الاسترخاء في سانتا مونيكا على بعد حوالي ٢٥,٨ كم فقط من لوس أنجلس، ويبعد مربع سكني واحد عن المحيط ويتميز بمسبحين في الهواء الطلق مع وحدات كابانا. كما يحصل الضيوف على كأس من الشمبانيا الترحيبية عند الوصول.

يمكن للضيوف لعب ألعاب الفيديو على شاشة التليفزيون المسطحة أو الاستماع إلى الموسيقى على قاعدة الآي بود في جميع الغرف بفندق Viceroy Santa Monica. كما توفر بعض الغرف إطلالة على المحيط الهادئ.

يحتوي فندق Viceroy Santa Monica على Cast، حيث يمكن للضيوف تجربة قائمة مأكولات بتأثيرات عالمية مصدرها المزارع والأسواق المحلية. ويقوم بار Cameo بتدليل الضيوف بالخدمة بجانب المسبح وقائمة مأكولات خفيفة.

يتميز الفندق بمكتبة ومركز لرجال الأعمال مع الاستفادة بكمبيوتر للضيوف. ويضم فندق Viceroy Santa Monica أيضاً مركز للياقة البدنية متاح على مدار ٢٤ ساعة يشمل فصول وتأجير الدراجات. كما تتوافر خدمات سبا في الغرف.

يبعد فندق Viceroy حوالي ٦,٤ كم عن متحف هامر للفنون. كما يقع الفندق على بعد ١٤,٥ كم من مطار لوس أنجلس الدولي.»

شيئان بدأ لافتان للنظر في وصف الفندق بالنسبة لفتحي .. الأول قربه من متحف هامر الذي لا يعرف عنه شيئًا ولكن كلمة متحف شدته؛ لأنها تكررت كثيرًا في خطاب ديفيد . وقربه من مطار لوس أنجلس ...إذن ديفيد كان في أمريكا .. ولكن الأستاذ وجيه قال إن المرحوم عمر كان يدرس في أوربا على ما يتذكر أم قال في الخارج فقط : لهذا ذهب عقل فتحي لأوربا ..

شعر عمر بصداع في رأسه وألم في أسنانه فجأة .. فراح يريح ظهره للوراء على كرسي المسرح ويتطلع لوائل الذي كان ما يزال يزيد ويعيد في مونولوج طويل بلا داعي سوى جذب الأنظار إليه ..

سانتا مونيكا .. اسم البلدة مثير هو الآخر فراح يبحث عنها على شبكة الإنترنت أول معلومة قفزت في وجه فتحي وجعلته ينتفض أن سانتا مونيكا تعتبر مركزًا لليهود ..

الأمر إذن كما تصور شبكة ضخمة من الجاسوسية تعمل في مجال شديدة الغرابة .. وكلمات ديفيد عن المدعوة أوليجا والسحر الذي تمارسه جعل عقله يذهب إلى مناطق شائكة في التفكير .. كل هذا بجوار الرؤى الكابوسية التي تطارده الآن طوال الوقت ..

لدرجة أنه أصبح يخاف النوم .

يهود، وسحر أسود، وديفيد ..أشياء تجعل عقله يشتعل بالتفكير هذا بالإضافة إلى هذا الكمبيوتر المحمول العجيب الذي أصبح لا يستطيع التخلي

عنه .. واللعبة العجيبة .. عاد يقرأ رسالة ديفيد بتمعن أكثر ربما يعثر على شيء ..

لم يشعر فتحي بقرب نرمين منه ووقوفه وراءه لدقائق وهي تتطلع إلى ما يفعله .. قبل أن تقول بصوت بدا كالفحيح :

- ما هذا ؟ ما الذي تفعله بالضبط ؟!

أغلق فتحي شاشة جهازه وهو يتطلع إليها دهشًا :

- ماذا تقصدين ؟

ظهرت ملامح وجهها مقبضة في عينيه وهي تقول :

- من هو ديفيد ؟ أتراسل يهوديًا ؟

انتفض جسد فتحي وهو يهبّ في مكانه وبنظر لعينيها بغيظ وهو يقول بعنف :

- كيف تسمحين لنفسك بالتدخل في خصوصياتي وقراءة رسائلي ؟!

- لم أقرأ شيئًا .. أنني رأيت اسم ديفيد فقط .

كان صوت فتحي مرتفعًا للغاية ، فانتبه كل من في المسرح ، وتوقف وائل عن التمثيل ، وران الصمت لوهلة قبل أن تقترب وفاء منهما وهي تقول :

- ماذا هنالك ؟ صوتك مرتفع للغاية !

تمتم فتحي وهو يكتم غيظه :

- الأنسة تصمم دومًا على التدخل في خصوصياتي .. والآن أجدها تتلصص على رسائلي ..

قالت نرمين في تحفز :

- رسائلك .. رسائلك ما الذي تحويه رسائلك ليغضبك الأمر هكذا إلاّ لو كان ما قلته حقيقة !

تكورت قبضة يد فتحي وشعر لوهلة أنه سيلكم وجهها ولكنه تراجع عندما رأى نظرة وفاء المتسائلة بالمثل .. ووائل الذي ترك المسرح واقترب والفضول يجذبه فقال :

- من الواضح أن أعصابي متعبة اليوم.. عن أذنكم ..

ووضع الكمبيوتر المحمول في حقيبته ، وبعد ثوان خرج فتحي من باب المسرح تلاحقه النظرات حتى غادر .. وعاد السكون يرين على القاعة .

لماذا غضبتُ هكذا ؟ أخذ فتحي يسأل نفسه وهو يقطع الطريق إلى بوابة الخروج ..

التدخل في خصوصيات الآخرين وقراءة نرمين لعنوان رسالة من الرسائل ..

إذن ما الذي يفعله هو بقراءة رسائل المرحوم عمر..

******

(٩)

يقترب فتحي من الفيلا ، راحت أضواء كثيرة تضوي في وجهه من بعيد كلما زاد اقترابه ..

إنه عيد ميلاد وفاء ، لم يكن يتأخر عن عيد ميلادها قط ـ حلق شعره وهذب ذقنه ، وطلب من كمال بذلة على مقاسه ، فجلبها كمال من صديق له . يبدو فتحي أنيقًا للغاية وهو يقترب من الفيلا ..

كان قد طلب من كمال هدية لوفاء وسيدفع ثمنها له بعد مدة قليلة .. جلب كمال الهدية ولفها في علبه أنيقة .. كانت عبارة عن سلسلة ذهبية صغيرة تنتهي بفص صغير..

قال كمال وقتها إن الهدية ستعجب وفاء كثيرًا ، فهو يعرف ذوقها ..

يمشي فتحي بتؤدة وقلبه يرتجف إنه يعشق وفاء بالفعل، ولكن ليس في استطاعته أن يقدم على أية خطوة الآن أو حتى في المستقبل أنه عشق محكوم عليه بالإعدام ..

كان يعرف هذا ولكنه في نفس الوقت لا يستطيع الاستغناء عن حلمه ..

دخل الممر المؤدي إلى داخل الفيلا .. غريب هل وصل مبكرًا أنه لا يسمع صوت الموسيقى المصاحب للحفل..

تنبه بعد لحظات على خطوات مهرولة هنا وهناك .. أصوات زاعقة مرتفعه .. يصل إلى مسامعه كلمة حادثة .. انتحار وهو يقترب من باب الفيلا .. كان الباب

مفتوحًا على مصراعيه وهناك عدة أشخاص في ملابس السهرة يقفون وقد بدا الانزعاج الكامل على ملامحهم ..

الخطوات كلها تجري إلى مكان واحد .. وجد فتحي نفسه مندفعا وراء البعض ، لا يعرف إيلام سيقوده الأمر .. بعد عدة خطوات رآها .. وقفر فاه في ذهول .. فأمام عينيه ارتمى جسد نرمين مسجى على الأرض .. وقد تحطمت رأسها تمامًا إثر انسحاق رأسها بالأرض بعد ارتطام عنيف .. من الواضح أنها سقطت من مكان مرتفع .. رفع فتحي عينيه لأعلى وألقى نظرة على سطح الفيلا وبدا واجما لا يستطيع التحرك .. نرمين .. انتحرت !!

ظل فتحي على وقفته وهو يتطلع لجسد نرمين والدماء التي تغرق الأرض أسفلها .. اللعنة !

أتنتحر نرمين في يوم كهذا ؟! لماذا؟!!

نرمين تلك الفتاة المثيرة للغيظ ، القابضة على الحياة بشراهة تنتحر .. هناك شيء غير منطقي في الحادثة .. هذا ما قاله لنفسه .. والبعض يغطي الجسد المسجى بملاءة سرير .. الوجوه كلها ضاعت ملامحها بين عينيه ، لا يفهم ولا يستطيع التحرك ..

انتفض جسده بشدة عندما لاحظ يدا تربت على كتفه وصوت أجش يقول :

- متى أتيت ؟

كان الذي يحدثه في هذه اللحظة هو صديقه كمال الذي كان يقف خلفه تقريبا فقال فتحي في شرود ذهن :

- منذ دقائق .. ما الذي حدث ؟

قال كمال وهو يرى الناس حولهم ونظراتهم الذاهلة، بينما لم يكن هناك أثرا لوفاء :

- لا أحد يعرف .. نرمين كانت سعيدة ومنطلقة في الحفلة وتلقى بنكاتها ولذعاتها في وجوه الجميع لا تفرق بين أحد وآخر .. والحفلة كانت جميلة في البداية .. وفاء كانت نجمة الحفل بلا منازع .. وائل أيضا كان يبدو أقل سخافة ..وبدا سعيدا بالحفل هو الآخر ..آخر مرة رأيت فيها نرمين كانت واقفة بجوار وائل تقول شيئًا ما لم يصل إلى أذني بسبب الموسيقى .. وراحت ملامح وجهها تتغير فجأة .. لاحظت نظرة الشرود في عينيها قبل أن تنسحب من أمام وائل، وأظن أنني لمحت بداية دموع في عينيها وهي تمر من جواري مسرعة في اتجاه الحمام .. لكن بعد دقائق عادت لتقترب من وائل وعلى شفتيها ابتسامة ..وانشغلت بعدها أنا في متابعة الحفل .. حتى سمعنا ذلك الصوت الذي يشبه انفجار قنبلة .. وتوقفت الموسيقى وارتفعت صرخات بعض النساء وهن يرين جسد نرمين والدماء تنطلق من رأسها وتغرق الأرض من نافذة الفيلا بجوار رؤوسهن ..انطلقنا لهنا لنفاجئ بهذا المنظر الذي أمامك ..

لماذا أصبح الموت يطارده هذه الأيام هذا ما حدث فتحي نفسه به وهو يهزّ رأسه ويلقى نظرة أخيرة على جسد نرمين الذي أصبح مغطى الآن بملاءة كبيرة ..

قال فتحي وهو يتراجع للخلف :

- أين وفاء الآن ؟

قال كمال وهو يزفر بعمق:

- إنها في غرفتها تبكي بشدة .. لا تنس أن نرمين صديقتها ..

مرّر فتحي على أسنانه وهو يقول:

- صديقتها التي قررت أن تحول عيد ميلادها لجحيم وتنتحر أثناء الحفل .. أية صديقة هذه ؟!

قال كمال وهو يسحب فتحي من يده ليقفا بجوار إحدى الأشجار:

- أحقًا تصدق أن نرمين انتحرت ؟

بدا التفكير على ملامح فتحي وهو يقول :

- ما الذي تقصده ؟

همس كمال في صوت يشوبه الغموض :

- نرمين مستحيل أن تنتحر .. أظن أنها قتلت !

- قتلت؟ مستحيل ! من له مصلحة في قتل نرمين .. فهي برغم شخصيتها العجيبة ولكنها في نفس الوقت ليس هناك دافع لقتلها ..فهي رحمها الله كانت تؤذي بلسانها فقط وهذا كان مقدورا عليه .

- شيء بداخلي يقول إنها قتلت .. ببني وبينك أنني أشك في وائل .. في الفترة الأخيرة كان ملاحظ شغف نرمين بوائل .. ربما حدث بينهما شيء فقرر التخلص منها ..

- وائل .. أصبح خيالك مثيرًا لا تخبر أحدا بهذه الأفكار المجنونة أنت في غنى عن مشاكل وخصوصا مع وائل .. لن ينساه لك قط .

- إذن سنتركه يفر بفعلته ..

- ليس هناك أي دليل على قولك هذا ..

- حتى لو قلت لك إنني لمحت وائل هابطًا من الدور العلوي بعد أن سمعنا ارتطام جسد نرمين بالأرض بثوان ..

- إنه حديثك هذا .. ولا تفتح علينا أبواب الجحيم ..

ران الصمت عليهما لدقائق قبل أن يقطعه صوت نفير سيارات البوليس التي دخلت الفيلا في تلك اللحظة وسيارة الإسعاف التي أطفأت أنوارها وهبط منها مسعفان واتجها إلى جسد نرمين المسجى .. قبل أن يقول أحدهم: إنها فارقت الحياة منذ فترة ..

وكأنه يقول مفاجأة برغم أن الجميع يعلمها الآن..

طلب ضابط البوليس ألاّ يتحرك أحد أو يغادر الفيلا الآن من الحضور...

وبدا لفتحي أنها ستكون ليلة طويلة وغير منتظرة ..

وبده تداعب الهدية الملفوفة في جيبه ..

*****

الشوارع تمتد أمام عيني فتحي في تلك اللحظة من الليل وبدت أنها شوارع لا نهاية له .. كانت الساعة تقارب على الثالثة صباحًا .. انتحار نرمين وأسئلة ضابط المباحث المتعددة أخذت الكثير من الليل .. نرمين لماذا فعلتها ؟!

وفاء رآها بعد مجيء الشرطة .. كانت عيناها حمراوين ومنتفختين من تأثير البكاء .. حاول أن يهدأ من مشاعرها ، ولكنها كانت كجمرة من النار.. الاقتراب كثيرا منها في تلك اللحظة قد يكون مرده خطرًا .. ولكنه أخذ يبادلها من حين لآخر نظرة متفهمة .. أمها أيضًا كان يبدو عليها الغضب الشديد وهي لا تفهم كيف يحدث هذا الأمر في عيد ميلاد ابنتها الوحيدة .. ملامح وجه وفاء الشاحبة تقول إنها لن تفكر أن تحتفل بعيد ميلادها مرة أخرى مدى الحياة ..

كمال طوال الوقت كان ينظر لوائل نظرة غريبة .. ويكاد أن يتهمه مباشرة بقتل نرمين .. لكن شيء بداخل فتحي كان يقول له إن ذلك لم يحدث .. مستحيل أن يقتل وائل نرمين .. لا دافع لهذا الأمر .. راح يقلب الفكرة في ذهنه عدة مرات وكل مرة يرفض تصديق الأمر..

لم يعرف لماذا تذكر انتحار الدكتور عصام في تلك اللحظة .. هل هناك رابط بين انتحار الدكتور عصام وانتحار نرمين .. إنه الوحيد الذي رأى مشهد مختلف لمقتل الدكتور عصام .. ولكن برغم رؤيته لذلك المشهد العجيب ولكنه رفضه بداخله .. مستحيل أن يكون له دخل في مقتل الدكتور عصام .. إنه أبدًا لم يكن ذلك الشخص الذي رآه آنذاك ..

ضوء سيارة ساطع ضرب عينيه في تلك اللحظة وهو ينتقل من رصيف لرصيف .. فغطى وجهه بيده وسمع نفير السيارة يرتفع عاليًا وصوت صرير الفرامل المزعج قبل أن تقف السيارة على بعد ياردات قليلة منه والسائق

يسبه بأقذع الألفاظ وهو يعنفه عن شرود ذهنه الذي كان سيجلبه له مصيبة في تلك اللحظة .

تحرك مبتعدًا عن السيارة والسائق يواصل السباب وهو ينطلق بسيارته، شعور بالخواء هو ما يسيطر على فتحي الآن يشعر كأنه أصبح مجرد كرة مفرغة من الهواء.. وكأن جسده من الداخل قد أفرغ من أعضائه الداخلية .. لا يشعر بجسده وهو يتحرك تاركًا تحديد الاتجاه للصدفة .يمينا يتجه وهو ينظر للسماء فوقه .. لا يشعر بالبرد برغم الصقيع في تلك اللحظة التي بدت السماء على وشك أن تمطر .. دقائق وهو يسير وينظر لأعلى كل فترة .. وفجأة بدأت الأمطار مدرارا .. فوقف أسفل الأمطار في منتصف الطريق تقريبًا وهو يتطلع لأعلى وكأنه يريد أن يغتسل بمياه الأمطار من ذنوب لا يعرفها ولا يستطيع تحديد هل هو فعلها أم لا .

كانت صورة نرمين وهي ملقاة أسفل الفيلا على الأرض ، والدماء التي تنزف من رأسها المحطم تضرب مخيلته بشدة وعنف .. يحاول طردها عن ذهنه ولكنه تعاود إصرارها على الظهور .

لم يعرف فتحي متى دخل إلى شقته، كانت الشقة تعوم في الظلام.. أضاء نور الصالة وهو يدخل لغرفته ، يخلع ملابسه المبتلة من المطر ويعلقها على مشجب بجوار الباب .. يرتدي منامته ويتخذ مكانه على السرير .. كان جهاز الكمبيوتر المحمول في مكانه كما تركه .. منذ أيام جلب قفل لحجرته وراح يغلقها من الخارج حتى لا يدخل أحد دون علمه، أمه استغربت الأمر بشدة، ولكنها كتمت استغرابها وتعجبها بداخلها وقالت لنفسها إن ابنها يمر بمرحلة حرجة من حياته ولا يريد لأحد أن يتطلع إلى خصوصياته ..

لا يعرف كيف لم تنتبه أمه إلى أن أباه الفقيد يغادر فراشه يوميًا ويتجول في الشقة قبل أن يعود مرة أخرى للنوم .

لم تكن تحركات أبيه في الشقة هي المثيرة لحيرته أكثر من الحوادث التي أصبحت تتكرر بشدة ، وآخرها انتحار نرمين الغريب .

يفتح الجهاز ويمر بنفس الخطوات المعتادة والبصمة ونقطة الدماء ، ويقرب شاشته من وجهه ويتطلع إلى صورة المنظر الطبيعي الذي لم تتغير منذ فترة ، ويتنفس ارتياح .. اللعبة في المرحلة الثالثة لم يكتمل تحميلها بعد، ولا يستطيع أن يغلقها، تظل أيقونتها مضيئة أسفل الشاشة بلون أحمر قان .

عندما يتحول هذا اللون الأحمر إلى الأزرق ستكون اللعبة جاهزة .

أصبح فتحي لا يأكل تقريبًا إلا ما يقيم أوده.. يفتح البريد الالكتروني ..

ما زال هناك عشرات الرسائل لم يقرأها .. ولا يريد قرأتها الآن .. ولكنه أصبح مجبرًا أن يتابع الحكاية للنهاية .. شيء أصبح ينمو بداخله ولا يستطيع الرجوع عنه .. وكأن الجهاز أصبح هو المحرك لحياته الآن .

أخيرا استقرت عيناه على أيقونة اللعبة التي تحولت للون الأزرق والصوت المصاحب لها يعلن انطلاق المرحلة الثالثة .

ضغط على الأيقونة وتسمرت عيناه على الشاشة التي تحول لونها إلى اللون الأسود لثوان قبل أن تضيء بلون مختلف .

إنه يرى ديفيد يقترب من مبنى مرتفع مكتوب فوقه مركز أبحاث الفضاء .. كان قد ضغط على زر البداية، فرأى ديفيد كما حفظ شكله يقترب من المبنى وهو يتلفت حوله يمينًا ويسارًا ثم يسرع في اتجاه بوابة الدخول .. هناك حارس أمن يرى صورته عبر الزجاج يجلس على مقعد جلدي وأمامه العديد من الشاشات ولكن الحارس لا يتطلع للشاشة فقد أرجع ظهره للخلف ومد قدميه أمامه ساندها على الكونتر وهو يمسك هاتف محمول ، ويبدو أمام فتحي على الشاشة أن الحارس يجري مكالمة مع حبيبته .. يمرر ديفيد في تلك اللحظة كارتا ممغنطًا على ماكينة صغيرة ملتصقة بالباب فيضيء اللون الأخضر ويدخل .. الحارس يسمع صوتًا يعلن عن دخول شخص ما ، ولكن ما دام صفارات الإنذار لم تنطلق فهو أحد العلماء التابعين للمؤسسة ؛ فيظل على وضعه وهو يلقى نظرة سريعة على الشاشة؛ فيرى ديفيد منحنيًا يربط خيوط حذائه .. قال لنفسه وهو يكم حبيبته إن كل العلماء مجانين بالتأكيد .. وعاد الحارس ليغوص في المكالمة بكيانه كله وترتفع ضحكاته من وقت لآخر.

يقطع ديفيد الممشى الصغير من البوابة إلى ممرّ طويل مضيء ، ثم يرى أمامه سلالم تهبط لأسفل ، فيلقي نظرة للوراء وهو يهبط الدرج وعلى شفتيه ابتسامة غريبة .

بعد دقائق أخرى كان ديفيد يقطع ممرًا طويلا ينتهي بباب زجاجي ضخم .. ما جعل فتحي يرتد بجسده للوراء هو هذا الشخص الذي رآه فتحي يشير لديفيد بالدخول ..

اللعبة مجنونة قررت أن تشاركه في أمر لم يعيشه قط . لقد كان ديفيد يقف أمام شبيه لفتحي يرتدي بالطو أبيض طويلاً، وهو يحدث ديفيد أن عليهم

الانتهاء سريعًا ، فالقمر سينطلق بالغد .. فهزّ ديفيد رأسه ويتحرك خلف فتحي الذي بدا أنه يعرف طريقه جيدًا وبعد لحظات كان هناك سلالم صاعدة للأعلى وهناك منصة كبيرة تحمل قمرًا صناعيا حديثًا ..

فقال شبيه فتحي داخل اللعبة :

- أخر ما توصل إليه العلم .. يستطيع أن يدور في الفضاء لمئات السنوات دون أن يغادر مداره .. إنه المستقبل الكامل ..هل معك الشريحة .

يضع ديفيد يده في جيبه ويخرج علبة صغيرة يفتحها بحرص ، ويمد يده لشبيه فتحي الذي يمد إصبعين السبابة والإبهام ويلتقط الشريحة وينظر لها بتأمل شديد قبل أن يقترب من القمر الصناعي الذي كان أحد جوانبه مفتوحًا ويطل من داخله شاشة الكترونية دقيقة والكثير من الشرائح الالكترونية الضخمة .. يمد شبيه فتحي يده وديفيد يتابعه بحرص ويخرج شريحة الكترونية دقيقة شبيه بالشريحة التي بين إصبعيه .. قبل أن يضع الأخرى مكانها ويقدم القديمة لديفيد فيضعها داخل العلبة الصغيرة ويبتسم .. بعد دقائق كان شبيه فتحي يغلق الفتحة بمنتهى البساطة وكأنه عمل قام به مئات المرات .. ويشير لديفيد أنه انتهى وعليه المغادرة الآن ..

اللعبة ليست خطرة هذه المرة برغم أن فتحي يرى نفسه تقريبًا بداخلها ، ولكن لا دماء للآن وهذا أراحه كثيرًا .. على باب الحجرة سلم شبيه فتحي على ديفيد الذي انصرف وعلى شفتيه ابتسامة ذئب انتهى من التهام فريسته ، دار شبيه فتحي ليلقى نظرة على ديفيد المغادر .. ولكن هذه المرة اختلف الوجه بشدة .. وعاد الرجل يحمل ملامح شاهدها فتحي من فترة وحفظها .. إنها معالم وجه هوفمان صديق المرحوم عمر .. اللعبة تربه أجزاء مما حدث ولا

يعرف السبب .. ولكنه ارتاح برغم هذا أنه خارج الموضوع وأن اللعبة كانت تداعبه لا أكثر .. هذا ما تصوره وهو يشاهد هوفمان ومجموعة من العلماء بعد أن أظلمت اللعبة لثوان ومن الجليّ أنه مرت أيام كما يشير العداد الزمني داخل اللعبة .. العلماء واقفون يتابعون انطلاق صاروخ يحمل قمرًا صناعيًا شديد التطور .. ولكن ما لم يدركه العلماء أن بداخل القمر هناك شريحة صغيرة قد تجلب الجحيم للجميع .. جحيم لا يستطيع أحد الوقوف في وجهه..

هنا العلماء أنفسهم وهم يشاهدون انطلاق الصاروخ مغادرًا الكرة الأرضية .. وتتابعت الصور على الشاشات حتى استقر القمر الصناعي في مكانه .. في تلك اللحظة كان هوفمان يكتب رسالة خاصة من كلمات قليلة تظهر على شاشة هاتفه المحمول

" لقد تم الأمر .. عليك أن تضغط زر البداية "

ثم اختفت الصور من أمام عيني فتحي مع ضغط هوفمان على زر إرسال الرسالة . وجاء صوت بسيط من داخل اللعبة يقول إن هذه المرحلة تمت بنجاح وجاري تحميل المرحلة اللاحقة .

ضحك فتحي بصوت مرتفع وهو يتطلع للجهاز ويفرد جسده على فراشه .. أي شبكة جاسوسة هذه التي تدس شريحة غريبة داخل قمر أمريكي ..وكيف أصبح هو فجأة عالم فضاء مشارك في صناعة قمر صناعي .

من يحرك هذه اللعبة كلها هل هو عمر؟ الأمر يفوق عمر بالتأكيد ..

ديفيد .. وعمر .. وهوفمان .. وهو .. ونرمين والدكتور عصام .. وأوليجا .. وميرنا .. ووائل وكمال وهو ..ما هذا الجنون .. أي شخص من هؤلاء حقيقي وأيهم مزيف ..

الجهاز الملعون يواصل ألعابه العجيبة ..وهو لا يستطيع التخلص منه برغم هذا .. يشعر أن حياته ستنتهي إذا قرر التخلص من الجهاز .. الأيقونة تتحول للأحمر مرة أخرى وتضوي أسفل الشاشة .. معلنة إن الجهاز يحمل مرحلة أخرى من اللعبة .. ومن الواضح إنها لن تكون الأخيرة .

******

(١٠)

لم ينم فتحي منذ يومين . يغادر حجرته ليأكل لقمات صغيرة ويعود .. تفتح أمه الغرفة وتسأله إن كان يريد شيئًا ، فهزّ رأسه بصمت ولا ينبس بحرف .. فتنسحب من الغرفة لأعمال البيت .. شيء بداخلها ينمو باطراد أن ابنها أصبح مختلفًا ، بدأت تشك أنه يتعاطى المخدرات ، ستحاول أن تفتش غرفته عندما يغادرها ، بالتأكيد ستعرف سر ذلك الشحوب عندما تجد تلك الأقراص اللعينة في درجه ، هذا ما كانت تحدث به نفسها ، ولكنها كلما حاولت دخول الغرفة في عدم وجوده تصطدم عيناها بذلك القفل على الباب .. لا تريد أن تخبر أباه بالأمر .. بالتأكيد هو أيضا يشعر بالاختلاف الذي يطرأ على ابنه .. ولكن من أين له بنقود المخدرات .. فتحي منذ فترة انقطع عن العمل ، يتحجج دوما أنه مريض . وبظل طوال الوقت في غرفته يجلس إلى جهاز الكمبيوتر الذي اشتراه يلعب عليه .. هل يكون الأمر كما سمعت من البعض أن الجلوس إلى الكمبيوتر يسبب الإدمان للجهاز.

تحاول أن تستعيد تصرفات ابنها القريبة ، لقد كان شابًا نموذجيًا .. كانت تدعو له كل صباح ومساء .. لم يغضبها قطّ .. لا يدخن ..لا يرتفع صوته في البيت أبدًا ..

أحيانا تشعر أنها تشم رائحة دخان من غرفته .. هل يدخن الحشيش .. راحت تقلب الأمر في عقلها مئات المرات ولا تصل لحل .. انتهت عندما رأت فتحي يقف وراءها في المطبخ يطلب كوبًا من الشاي .. ثم يدخل الحمام .. وضعت البراد على النار .. وتأكدت من صوت مياه الدش في الحمام ..أنه سيتأخر .. فتسللت على أطراف أصابعها إلى غرفته .. كان جهاز الكمبيوتر المحمول على

المكتب شاشته مظلمة .. فتحت أدراج المكتب .. لا شيء .. أوراق .. وأقلام .. وآلة حاسبة صغيرة يحتفظ بها فتحي منذ جلبها له أبوه هدية عند نجاحه في أول ثانوي هي وتلك الساعة التي في عليها ويحتفظ بها فتحي برغم أنها تحتاج لتصليح منذ زمن .. رفعت مرتبة السرير من الجوانب ومدت يدها تتحسس الجوانب .. لا شيء.. فتحت الدولاب وراحت تفتش في ملابس فتحي .. لا شيء .. تذكرت الحادثة التي عرفتها عن موت نرمين زميلة فتحي في الكلية .. كانت تعرف تلك الفتاة ورأتها عدة مرات من قبل ، هل لانتحارها علاقة بالتغيير الذي يحدث لأبنها هل كان يحبها ..فجأة وقعت عيناها على أحد القمصان الخاصة بفتحي وتلك البقعة من الدماء التي تبدو واضحة أمام عينها المتسعتين، وجف ريقها وهي تنظر للقميص بدهشة . هل تعرض فتحي لحادثة ولم يخبرها؟! أخرجت القميص ونظرت للدماء عليه وراحت تتشممه وهي غير فاهمة .. سمعت صوت الدش يغلق ففادرت الغرفة مسرعة وهي تعيد القميص إلى مكانه .. صبت الشاي واتخذت طريقها للغرفة، ستستغل الفرصة التي يرتدي فيها ملابسه لتفتش أكثر في الغرفة .. كانت قد انتهت من تفتيش الغرفة ولم تجد شيئًا من المخدرات.. كانت قرب الباب عندما فُتح الباب ورأت أمامها فتحي الذي راح ينظر إليها نظرة غريبة كادت تقسم أن تلك العينين لا تخصان ابنها ولكنها هزّت رأسها وهي تتمتم :

- كوب الشاي وضعته لك على المكتب ..

وغادرت الغرفة مسرعة وكأنها تهرب من شبح يطاردها ..

بعد لحظة سمع فتحي صوت الباب الخارجي يفتح ويغلق ، بالتأكيد أمه غادرت البيت لسبب ما.

تطلع لكوب الشاي الموضوع بجانب الكمبيوتر المحمول على المكتب، ومد يده ورفعه إلى شفتيه وراح يرتشف الشاي الذي أصبح بلا طعم تقريبًا .. يكاد يشك أنه فقد حاسة التذوق .. وأنه لم يعد يستطعم أي شيء .

أطمأن على جهاز الكمبيوتر، أمه لم تعبث به .. فتعليمها المحدود لا يسمح لها بفهم تشغيل جهاز كهذا .. لم يكن يستطيع أن يخبر أمه بكل تلك الرؤى المجنونة التي تطارده وتحطم أعصابه .

فتح الجهاز وتطلع لشاشته وبرنامج التشغيل لثوان قبل أن تصطدم عيناه بتلك الصورة الجديدة التي تحتل سطح المكتب كخلفية ، كانت الصورة قد تغيرت .. وظهرت صورة لميرنا صديقة المرحوم عمر واقفة وعلى وجهها اتسم رعب بلا حدود .

جفل لمرأى الصورة وملامح ميرنا الفزعة .. أي جنون آخر يحمله الجهاز له ..

منذ موت نرمين وهو لا يستطيع أن يذهب للجامعة يخيل إليه أنه سيرى صورتها تطارده في كل مكان مثلما يحدث الآن في أحلامه .. أيقونة اللعبة العجيبة ما زالت باللون الأحمر ..

فتح حساب البريد الالكتروني لعمر.. وضغط على زر فتح إحدى الرسائل المقروءة من قبل وموقعة باسم ديفيد ..

كان هناك ملف ملحق بالرسالة .. ضغط على زر تنزيل الملف .. الرسالة كلها كان عنوانها " ديفيد .. عزيزي عمر إليك الدليل "

لم تمر وهلة حتى وجد الملف قد نزل على الجهاز فقام بفتحه .. كان الملف يحوي عشرات الصور لشخصين رجل وامرأة يعرفهما فتحي الآن جيدًا .. كانت الصور تجمع بين هوفمان وميرنا في أوضاع شديدة الحميمية .. وقد تكون أوضاع مبتذلة .. راح يقلب الصور والسعادة التي تنطلق من ملامح ميرنا وهوفمان بها ويقارنها بتلك الصورة التي تحتل سطح المكتب وملامح ميرنا المفزعة ..

إذن ديفيد أرسل هذا الدليل الذي يوضح خيانة ميرنا للمرحوم عمر... هل تخلص عمر من ميرنا وهوفمان .. رسالة سابقة تقول إن هوفمان وميرنا اختفيا ولم يعثر عليهما أحد .. هل قتلهما عمر..

اللعبة نقلت له من قبل اختطاف ميرنا من قبل عمر.. هل قتلها ؟!

الأسئلة التي أصبح الإجابة عنها عبئًا جديدًا يضاف إلى العبئ الموجود فعلاً .

شعر فتحي وكأن هناك مطرقة من الحديد تضرب رأسه وهو يتطلع للجهاز..التي أخذت أضاءته ترتعش .. قبل أن يسقط فاقدا الوعي ..

ظلام مقبض ، لا يستطيع أن ينطق .. يريد أن يقف لا يستطيع .. دماء حوله في كل مكان .. يشعر كأنه جسده مسجى على ظهره داخل بركة من الدماء وجسده مخشب ولكنه يطفو .. يشعر بمذاق الدم بين شفتيه .. ويغطي جسده بالكامل .. بينما هناك عدة أنابيب موصلة بجسده للخارج .. كان بالفعل جسده مربوطًا على لوح طفو .. ونصفه الأعلى عاريًا ، بينما تخرج عده أنابيب من صدره .. يرى دماءه تسحب من جسده .. يريد أن يتحرك، لا يستطيع فهو مقيد للوح الطفو العجيب .. وفوق رأسه وقف ثلاثة أشخاص بملابس شديدة

السواد بنفس الطول ونفس ملامح الوجوه .. ونفس نظرة العين التي يعرفها، اتسعت عيناه وهو يرى جسدًا أقل حجمًا بكثير بجوارهم ووجه محطم ولكنه يعرف صاحبته برغم تشوه الوجه تقريبًا .. لقد كانت نرمين واقفة تنظر إليه وعلى وجهها نظرة متسائلة ..

هناك صوت راح يخترق عقله :

- لماذا لم تتراجع عندما كان الأمر ممكنًا .. أننا نحاول الوصول إليك ولكنهم يمنعوننا .. تماسك قدر استطاعتك .. تماسك ..

وصوت آخر يعرف نبرته جيدًا يخترق عقله بالمثل صوت نرمين وهي تقول : لماذا فعلتها ؟ لماذا ؟

بدأ الصوت ينسحب من داخل عقله وهم يقفون فوق رأسه والألم يضرب رأسه بشدة، وكأن هناك من يضغط على رأسه بمكبس ضخم ويحاول تحطيمه .. حاول أن يصرخ ولم يستطع .. الألم يزداد بعنف غير مسبوق .. ودماء جسده تنسحب منه .. انتفض جسده بعنف وهو يغلق عينيه من الألم، وخرجت من بين شفتيه صرخة ضعيفة، وارتعش جسده ، قبل أن يعود إليه وعيه .. ليجد نفسه في غرفته وهو ملقى على الأرض .. تحسس صدره كان يشعر بألم حقيقي .. وما زال يشعر بمذاق دماء بين شفتيه .. تمالك وهو يستند على فراشه ليقف ..هل هو مصاب بالصرع ؟!

لقد سمع عن مرض الصرع من قبل كثيرًا، ربما ما يصيبه هو نوع من الصرع يجلب له تلك الرؤى المجنونة .. ولكن هل هناك رؤية بهذا الوضوح أنه يشعر بملمس كل شيء تقريبًا أثناء غيبوبته ؟

من هؤلاء ، نرمين ما زالت تطارده هي الأخرى .. ولكن لماذا يسأل شبح نرمين لماذا فعلها ؟ ما الذي فعله تحديدًا .. أنه يحتاج بشدة أن يرى وفاء، وفي نفس الوقت يشعر أن رؤيته لها الآن خطر عليها ولا يعرف لهذا سببًا !

الأيقونة الخاصة باللعبة تضيء باللون الأزرق .. إذن هناك مرحلة جديدة من اللعبة سيشاهدها ، بالطبع هو لا يلعب اللعبة بقدر أنه يشاهدها فقط . أنه يضغط زر بدء اللعبة العجيبة .. تظلم الشاشة لثوان ثم تظهر المشاهد أمام عينيه ..

على الشاشة كان يرى عمر يجلس في سيارته وبجواره أمه مبتسمة .. يقطع شوارع القاهرة .. بالطبع أنها شوارع القاهرة التي يعرفها فتحي جيدًا، الطريق مزدحم .. وإشارة مغلقة .. كان الجو صحوًا من الواضح والشمس مشرقة .. تفتح الإشارة فينطلق عمر بسيارته .. يقف عمر أمام باب مبنى حكومي .. تغادر أمه السيارة وهي تحييه، وتقول إن يعود ليقلها في الخامسة مساء فهناك عمل متأخر عليها إنجازه.. يغادر عمر الشارع ثم يضغط على فرامل السيارة بعد بضع شوارع ، ويمسك رأسه من الجلي أنه يشعر بألم في رأسه ويتّضح ذلك في عينيه الجاحظتين .. يهدأ بعد لحظة ويدير السيارة ليمشي في الطريق المعاكس .

تظلم اللعبة لثوان ثم تضيء .. يرى عمر في غرفته أمامه جهاز كمبيوتر محمول، بل الأصح أن أمامه نفس الكمبيوتر المحمول الذي أمام فتحي الآن .. يغلق عمر الجهاز ويغادر حجرته، في الصالة كانت أمه جالسة بجوار امرأة أربعينية .. عمر ينظر للمرأة نظرة عجيبة ، فتبتسم المرأة في وجهه وأمه تقول له إن يأتي ليسلم على صديقتها .. يسلم عمر وهو ينظر لعيني المرأة، ويضغط

على يدها بعنف، وكأنه يخبرها أنه يعرف أنها موجودة منذ فترة.. ثم تسحب المرأة يدها .. بينما يغادر هو الصالة متجهًا للمطبخ .. يفتح الثلاجة ويخرج زجاجة عصير .. يجرعها على دفعة واحدة ويضع العبوة الفارغة في صندوق القمامة .. يستأذن من أمه وهو يقول إنه سيهبط للسيارة فقد نسى شيئًا بها سيجلبها .. يغيب عمر عن الصورة وهو يخرج من الشقة .. يعود بعد فترة ويدخل بهدوء .. بعد دقائق يرى المرأة تستأذن من أمه وتهمّ بالخروج .. يقف بجوار أمه وهي تودع صديقتها على باب الخروج، وهو يضع يده في جيبه يعبث بشيء ما بالداخل .. مبتسما وهو يرى المرأة تضغط على زر استدعاء المصعد .. لم تمر وهلة حتى يفتح باب المصعد، والمرأة تنظر لعمر وأمه مودعة بينما تتقد عينا عمر شررًا وتلمعان.. ويكاد فتحي يجزم أن عيني عمر كانتا شديدتي السواد بدرجة مفزعة .. المرأة تخطو داخل المصعد، ثم ترتفع صرخاتها بعنف رهيب وهي تسقط من حالق .. فلم يكن هناك مصعد.. الباب مفتوح على فراغ، ولم تنتبه المرأة إلاّ وجسدها يسقط من عل .. وتصرخ أمه في فزع وهي تجري لتنظر من فتحة المصعد ولا ترى غير الظلام .. بينما يقف عمر بجانبها وعلى شفتيه شبح ابتسامة قبل أن تختفي ..وأمه ترتمي في حضنه وجسدها يرتعش بعنف .

تختفي الصورة لثوان وتعود، فيرى فتحي سكان العمارة والشرطة وهم يخرجون جسد المرأة صديقة أم عمر التي التوى عنقها بعنف .. والدماء تغرق ملابسها ، بينما وضع ساقها يقول إنهما تحطمتا تمامًا من عنف الاصطدام .. ينسحب السكان وسط ذهولهم من الحادثة ..وأم عمر تقف بجواره وجسدها يرتعش بعنف.. من كان يتصور أن صديقتها التي كانت تحدثها منذ وقت قليل

أصبحت مجرد جثة محطمة الأعضاء بهذه الصورة البشعة التي لن تغادر مخيلتها بسهولة .

تختفي الصورة بغتة .. ثم تعود .. عمر يقف أمام باب عمارتهم .. يبدو مجهدًا .. يتجه إلى المصعد ويركبه وهو يضغط على زر الدور الذي يريده .. بعد هنيهة يغادر المصعد ويقف أمام باب شقته .. يفتح باب الشقة ويدخل بتؤدة .. يسمع صوتًا صادرًا من غرفة نوم أبيه .. يتساءل هل عادت أمه .. لا لقد قالت إن يعود لها في الخامسة .. الصوت الصادر من غرفة أبيه ليس صوت أمه .. باب الغرفة مواربٍ .. يدخل متسللاً ويلقي نظرة ويرتد جسده للخلف فعلى فراش أمه كان أبوه عاريًا وبجواره امرأة يعرفها.. إنها صديقة أمه عارية بالمثل .. فتح باب الغرفة بعنف وهو يلقي نظر عليهما.. غطت المرأة جسدها بالملاءة ..وبدا الغضب واضحًا في عيني عمر قبل أن ينسحب لغرفته.. ويغلق بابه عليها بعنف .. لم تمر دقائق حتى يسمع صوت باب الشقة الخارجي يغلق، لقد غادرت المرأة ..

يتأمل فتحي المشهد بذهول .. لقد كانت نفس المرأة التي سقطت في فراغ المصعد ..

تختفي الصورة لثوان ثم تعود .. يرى عمر واقفًا أمام المصعد بيده مفك صغيرة يفك به لوحة التحكم في المصعد وبعد وهلة يوصل جهاز دقيق بالشريحة الداخلية .. ويعيد كل شيء لمكانه، ثم يقف أمام المصعد وبيده جهاز صغير في حجم كف اليد يضغط على زر فيه فيفتح باب المصعد ثم يضغط ضغطة أخرى فيغلق .. يجربه عدة مرات وهو يتطلع للممشى بين الشقق ويتأكد من خلوه من أي شخص .. ثم يتجه لباب شقتهم ليفتحه ..

ما هذه اللعبة المجنونة .. هل انتقم عمر لأمه من خيانة صديقتها، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يقول في خطاب سابق أنه سيتخلص من أمه ؟! هل كان يقصد المرأة وقتها وهي التي تغيرت وعرفت ولاحظت تغيره لذا قرر التخلص منها . لا إجابة لجنون جديد .. لقد كان عمر عبقريًا ومجنونًا بحق، ولكنه قاتل بشع أيضًا.

اللعبة مستمرة ..الضوء الأزرق يقول إن المرحلة لم تنته بعد .. تغيب الصورة لثوان ثم تعود .. وجد فتحي نفسه يقبض على مسند مقعده بعنف .. فهذه المرة اللعبة كانت تنقل صورة له هو.. راح يتابع الشاشة وعيناه السوداوان تلمعان بشدة، فأمامه كانت هناك صورة لفيلا وفاء .. وكانت الأضواء تضوي .. إنه في يوم عيد ميلادها .. كان يقف بجوار السور الخلفي للفيلا .. ثم بعد لحظات كان يعتلي السور قافزا للداخل ويتطلع حوله .. لا أثر لأحد في هذا الجانب من الفيلا .. الكل مشغول في الحفلة .. صوت الموسيقى مرتفع للغاية والأغاني تتلاحق وهو يقترب من باب المطبخ الخلفي الذي كان مفتوحًا يلقي نظرة للداخل . الخادمة مشغولة بتجهيز طلبات .. يتسحب هو بعد مغادرة الخادمة للمطبخ ويدخل .. يخفي جسده بعد لحظات وراء عمود رخامي ضخم ويتطلع بعينيه في وجوه المدعوين .. وتتسمر عيناه لفترة على نرمين التي كانت تقف بجوار وائل .. يرى نرمين تغادر البهو وتأخذ طريقها إلى الحمام .. وقد بدت دموع في عينيها .. بعد دقائق نراه يقف منتظرًا أمام الحمام خروج نرمين التي تفاجئ به أمامها...يقف قبالتها ويبتسم بغموض فتبادله ابتسامة مغتصبة.. صوت الموسيقى مرتفع، فيشير إليها أن تقرب أذنها منه، يهمس لها فتتسع ابتسامتها .. ما الذي يقوله فتحي لها الآن ؟ ويجعلها تبتسم .. نجدها بعد ثوان تغادر مكانها بجواره لداخل الحفل بينما هو يختفي وراء العمود

الرخامي .. ويراها تقول شيئًا لوائل الذي يستمع لدقيقة، ويهزّ رأسه .. بينما هي تنسحب من وسط الضوضاء لتعود لفتحي وتمشي وراءه مغادرين الفيلا من باب الخدم ..وراحا بعد وهلة يرتقيان سلم الخدم إلى أعلى الفيلا..النجوم فوقهما في السماء .. الظلام فوقهما سادر والأضواء تلمع في الأسفل .. يقتربان من السطح .. تلتفت نرمين للخلف تريد أن تقول شيئًا ما . تفاجئ بفتحي وراء ظهرها ويده تندفع بقوة ليدفعها بعنف .. تتسع عيناها رعبًا للمرة الأخيرة قبل أن يسمع صوت ارتطام جسدها بالأرض .. وصوت المهرولين ينسحب بسرعة عائدًا من حيث أتى .. ثم يعود ليقفز سور الفيلا الخلفي لخارج الفيلا .. يسوي من وضع ملابسه وترتسم ابتسامة على شفتيه وتغيم الرؤية أمام عينيه لثوان وهو يقطع الطريق في اتجاه باب الفيلا الأمامي في هدوء ..

تختفي الصورة السينمائية للعبة من على الشاشة وتعود الأيقونة للون الأحمر..

تعلن عن تخطيه هذا الجزء من اللعبة وجاري تحميل المرحلة اللاحقة !!

******

(١١)

الساعة الواحدة صباحًا كما تعلن تلك الساعة الضخمة التي تحتل ردهة تلك القاعة الواسعة من فيلا في منطقة غرب أمريكا ..

موسيقى صاخبة لدرجة مفزعة .. أصوات كأنها تصدر من عمق الجحيم .. تنسج الشاشة لترى مجموعة من الموجودين بعضهم يرتدي ملابس فراعنة .. وآخرون في لبس من العصور الوسيطة، عرب ويابانيون وأفارقة ، صينيون ، وهنود ، وأوربيون ، كتل من البشر المتزاحم .. البعض لا يكاد يرتدي شيئًا تقريبًا .. آخرون يرتدون قطع صغيرة من الجلد تداري بالكاد المناطق الحساسة من الجسد .. في الخلفية صورة كبيرة لنجمة سداسية بها حروف من لغات لا تستطيع تحديدها .. في الوسط وعلى الأرضية مرسوم صورة لكائن وحشي غريب بقرنين وأنياب ضخمة .. النساء تضع أوشام على أجسادهن تكاد تغطي كل تفاصيل أجسامهن .. علامة كبيرة للصليب المعقوف .. تتعجب لاجتماع الصليب المعقود مع نجمة اليهود المعروفة.. وهناك نجمة أخرى خماسية تحتل السقف بالكامل .

شخص ذو صوت عميق يقف على منصة يصرخ بأغنية مجنونة ..خليط عجيب من جنسيات مختلفة ..

بوتقة في الوسط ترتفع منها النيران ، والبعض يدور حولها ، شخص يجرح معصمه ويمسك كأس يصفي فيه دماءه .. أي جنون الذي يحدث في تلك الفيلا المنعزلة ..

كانت هناك شخص يعرفه فتحي تقريبًا يدخل القاعة .. إنه عمر وبصحبته فتاة ترتدي زيًا شديد السواد ولونت شفتها بطلاء شفاه بنفس لون ملابسها .. ترتدي حذاء برقبة ذي كعب مرتفع .. بيضاء .. طويلة الجسد .. عيناها سوداوان لامعتان في بريق جنون ..

عمر يتحرك وسط الحشد مع الفتاة التي تفوقه طولاً بذلك الحذاء المرتفع ، ويتوقف بعد دقائق متأملاً ما حوله قبل أن يأتي صوته قائلاً :

- أوليجا .. ما هذا ؟

تضحك أوليجا وترفع من صوتها حتى لا يضيع وسط الضجيج :

- الحفلة التي وعدتك بها .. حفلة أبناء الشيطان ..

تلمع عينا عمر وهو يقول :

- أبناء الشيطان ؟! أنتِ مجنونة كما عهدتك ..

قالت أوليجا وهي تسحبه من يده ويغوصان وسط الموجودين :

- وما الذي كنت تعتقد أنك ستراه في تجمع للسحرة ..

وقف عمر وهو يتطلع في عينيها قائلاً :

- إنني لا أصدق في السحر .. العلم يفوق السحر قوة .

ارتفعت ضحكة عالية من بين شفتي أوليجا :

-لا تقل هذا وسطهم سيقتلونك .. وربما طاردك كل واحد منهم بلعنة ليثبت لك إن السحر موجود .. من تراهم أمامك الآن هم أمهر السحرة على وجه الكرة الأرضية من كل الجنسيات والشعوب .

ابتسم عمر في وجهها وهو يقول :

- بل قولي بعض المشعوذين والمغفلين من أمثالي الذين يحضرون حفل كتلك .. ولكن لماذا تسمينهم أبناء الشيطان .

قال أوليجا وهي تقترب من وجهه بعينيها الواسعتين اللامعتين :

- لأنهم بالفعل يصدقون أنهم أبناء الشيطان ..ويقدمون الولاء الأكبر له .. يمجدون معصيته وتحديه أمام الرب.. هل سمعت عن أحد غيره وقف متحديًا للرب سواه..

لم ينبس عمر بحرف وبدا مفكرًا وصوت الموسيقى يعلو من حوله بعنف .. اصطدم ساحر يبدو إفريقيا بكتف عمر، وتطلع في عين عمر وهو يقدم اعتذاره .. وبغتة راح الساحر يصرخ في وجه عمر مرددًا كلمات كثيرة بلغة غير مفهومة لعمر وهو يشير لأوليجا معيدًا كلامه.. والكلمات تضيع وسط صخب الموسيقى .. ولكن الغريب أن الساحر ابتعد وهو يرتجف من أمام عمر..

انتظر عمر ابتعاد الرجل ليقول لأوليجا :

- مجنون آخر .. ما الذي كان يقوله وبأي لغة يتحدث ..

قالت أوليجا بهدوء وهي تنظر لعين عمر:

- إنه يقول لك .. لا تفعلها .. الشيطان نفسه لم يفكر أن يفعلها .. أنك تفوق الشيطان ذاته .. ولكنه كرر محذرًا ألاّ تفعلها ..

ابتسم عمر وهو يحدق في أوليجا قائلا :

- إذن صديقك الغريب هذا قرر أنني أقوى من الشيطان نفسه ..

بدا الغموض على عيني أوليجا وهي تقول :

- إن إبراهام نادرًا ما يخطئ ..غريب هذا الأمر .. عمر بك شيء غريب فعلا .. شيء قد لا تنتبه أنت إليه ويلاحظه الآخرون .. ألم تمارس السحر من قبل !

قال عمر وهو يقرب وجهه منها :

- بالطبع مارست السحر .. فكيف كان لي أن أوقع بساحرة مثلك لو لم أمارس السحر..

ابتسمت أوليجا فظهرت شفتها القرمزيتين رائعتين وهي تقول :

- هيا لنرقص !

كؤوس من الخمر تدور بين الحاضرين .. أجساد تتمايل بعنف مع الموسيقى .. عمر وأوليجا يرقصان على الموسيقى الصاخبة .. عمر يحاول أن يجاري اندفاع أوليجا وحماسها .. الرجل ذو الصوت الأجش ما زال يصرخ بتلك الأغنية العجيبة .. والراقصون حول بوتقة النار يفعلونها في نشوة مجنونة.

كل شيء حول عمر كان يقول إنه وقع في خليه مجانين ولكنه كان يجاري أوليجا .. فعلاقتهما في بدايتها تقريبًا وهو قد عشقها حقًا وعشق جنونها الساحر.. أوليجا شخصية مجنونة أيضا غريبة تستحق الدراسة ..

وسط كل هذا الصخب المميت .. كان إبراهام يقف في الحمام أمام مرآة ضخمة .. يحدث نفسه بصوت مرتفع قبل أن يخرج من أحد جيوبه قلمًا أسود ضخما "فلوماستر".. راح يخطط به على المرآة ويشخبط ، ويعود ليكتب على الجدران حوله جمل عجيبة .. ويصرخ وكأنه يرى الجحيم حوله ..

بعد لحظات كان يخرج من الحمام وفي عينيه نظرة غريبة وهو يتحرك وسط الحشود ..يتأمل الوجوه يلمح أوليجا تراقص عمر .. يقترب .. عيناه متحفزتان لشيء ، يبدو مترنحًا جسده يتخبط بين البعض .. بعد وهلة كان يقف أمام عمر وهو يصرخ ويضيع صوته وسط عنف الموسيقى .يخرج إبراهام شيئًا كان يخفيه أسفل ردائه، قبل أن تنتبه أوليجا أنه يرفع سكينًا ويهبط به بقوة على صدر عمر..فتدور بجسدها لتضعه بالكامل في مقابلة سكينة إبراهام ..ويقف عمر ذاهلاً لمرأى السكينة التي انغرست حتى المقبض في صدر أوليجا، فيدفع إبراهام بعنف وهو يصرخ .. تتوقف الموسيقى ويتطلع الجميع لجسد أوليجا الذي ينتفض بين يدي عمر.. بينما يفر إبراهام صارخًا وهو يشير لعمر .. لم تمرّ دقيقة حتى أخذ المدعوون يفرون .. معظمهم بلا إقامات .. ولا يريدون أن تتواجد أسماؤهم وسط جريمة كهذه ..

راح عمر يصرخ في البعض الذي لم يفر أن يطلبوا الإسعاف حالاً .. والشرطة .. الخوف يطل من عيونهم عند ذكر الشرطة ..ويشيحون بأيديهم أنهم لا يستطيعون .

بعد دقائق قليلة عمر يخرج من الفيلا وهو يحمل أوليجا والدماء تغرق ملابسه وهو يضعها في عربته وينطلق في اتجاه المستشفى ..

كان عمر غاضبًا بشدة .. ولو قابل إبراهام الآن لقتله ..

ما الذي جعل هذا المجنون يريد قتله .. ما الذي أفزعه من عمر لهذه الدرجة..

سرخات عمر وهو يقترب من المستشفى من باب المستشفى أن معه مصابة .. ثلاثة من الممرضين جروا اتجاهه .

أوليجا ضغطت على يده وهم يرفعونها على ترويلى المستشفى وهي تهمس بضعف:

- لا تخبر أحدًا بالحفل .. أرجوك.

راح عمر يقطع الممر أمام حجرة العمليات جيئة وذهابا وعيناه متقدتان بعنف وغضب بلا حدود ..وهو يقسم بأنه سيجد إبراهام هذا بأي طريقة ..

بدأت الصورة تختفي وتظلم على الشاشة أمام فتحي .. واللعبة تعلن أنها تخطت مرحلة جديدة ..

أصبح فتحي يدرك نظام اللعبة .. وأصبحت لا تثيره المفاجآت المتتالية وكأنما تعود عليها .. أحيانا تعطيه اللعبة بعض النقط من الماضي الخاص بعمر .. وعليه أن يصدقها أو يكذبها وإذا صدقها فحينذاك عليه أن يصدق أنه قتل الدكتور عصام وقتل نرمين وهذا بالنسبة له غير حقيقي بالمرة ..

لقد سمع عن أوليجا من قبل في رسالة لديفيد .. ديفيد كان يخبر عمر وقتها إن أوليجا تسأل عنه دومًا .. وما الذي فعله عمر ليسحر تلك الساحرة أوليجا..

السؤال الآن الذي لم تجيبه اللعبة بعد : هل ماتت أوليجا ؟ومبرنا وهوفمان هل قتلا أيضا ؟!

أسئلة على فتحي أن ينتظر حتى تجيب عنها اللعبة وقتما تقرر .

وكان من الجلي أن عليه الانتظار..

وربما أطول مما يتخيل .

******

قاعة مسرح الجامعة ، انتهى وائل من وضع اللمسات النهائية للديكور فقد أشرف بنفسه عليه حتى انتهى العمال من تركيبه وانصرفوا .. اقتربت الساعة من الحادية عشر ليلاً .. عليه أن يكون الافتتاح مبهرًا .. منذ انتحار نرمين وهو في دوامة أسئلة .. أنه لا يعرف كيف حدث ما حدث .. لقد قالت له نرمين قبل انتحارها بدقائق أنها تعد مفاجأة لوفاء بمناسبة عيد ميلادها ، وأن عليه أن يساعدها .. ستصعد لوفاء وبعد عشر دقائق يحصلها ليساعدها في المفاجأة .. كاد ينسى وقتها وسط الموسيقى والحفل ، ولكنه تذكر وصعد للدور العلوي حيث غرفة وفاء وقبل وصوله للغرفة سمع الارتطام العنيف، فارتد بظهره ليرى ما حدث .. ورأى الجميع يندفعون للخارج .. عيناه وقتها التقت بعيني كمال .. كانت نظرات كمال مخيفة وقتها ومتهمة .. لا يهم منذ متى وهو يهتم بنظرات كمال أو غيره من الحاقدين .. حتى فتحي ذلك الغريب الذي يظن أنه في يوم سيقنع وفاء بشخصيته، تقريبا كلنا نعلم أنه يحب وفاء .. ولكنه أبدًا لن يفوز في المسابقة التي بيني وبينه .. هكذا راح يحدث وائل نفسه وهو يتأمل الديكور .. أشياء كثيرة كادت تعطل هذا العرض المسرحي ولكن العرض سيقام بأية صورة الآن .. أنه جهز البانوراما .. سيكون استعراض البداية قويًا .. ثم يأتي دوره .. ستهبط البانوراما من أعلى بينما يدخل هو ليلقي أول منولوج طويل .. لقد تمرن كثيرًا ، ويعرف أنه سيجذب الأنظار إليه ..

منذ أيام اختفى فتحي تقريبًا .. لا يظهر إلاّ قليلا وفي النادر، هل تخلى فتحي عن حلمه الساذج بارتباطه بوفاء .. لقد اتصل هو بوفاء وأخبرها عن ميعاد المسرحية إنه نبه على الجميع أن يرتاحوا وألا يهتموا إلاّ بأدوارهم .. وحدد ميعاد حضورهم قبل العرض بنصف ساعة فقط ... ولا يقلقوا لو تأخر هو

قليلاً عنهم، فقد قرر أن يركز تفكيره فلا يرى أي شخص من الفرقة إلاّ على خشبة المسرح .. هناك مخرج كبير سيحضر العرض، وهي فرصة لتحقيق حلمه بالانضمام إلى فيلم المخرج الجديد؛ لذا لن يشغله أحد الآن عن التفكير في العرض والدور.. سيرمي كل شيء الآن خلف ظهره ، حتى موت نرمين لن يكون حجر عثر في طريق خطوات نجاحه أنه أمر عرضي مرّ وانتهى..

أين ذهب عامل المسرح " لقد " تأخر هذا الرجل ، لقد أعطاه خمسين جنيهًا ليشتري له علبة سجائر .. لماذا تأخر كل هذا .. ليكن سينتظره هنا ..

لم يكمل وائل تفكيره في عامل المسرح لدقيقة حتى انطفأ نور المسرح فجأة .. من في غرفة الإضاءة ؟

تسأل وائل وهو يرفع صوته مناديًا عامل المسرح ، ولكنه لم يتلق أية إجابة .. فجأة وجد كشافا كبيرًا موجه إلى عينيه .. وضع يديه أمام عينيه وهو يسب من يفعل هذا ويطلب منه التوقف .. بدأت البؤر على المسرح تضيء من حوله .. ما هذا العبث .. أي جنون هذا؟ صرخ في الفاعل أن يتوقف ويضيء صالة المسرح .. ولكن المسرح بالكامل انطفأ وساد ظلام سادر..

تلفت وائل حوله لا يرى شيئًا تقريبًا .. شعر بأنفاس قريبة منه وصوت أقدام على خشبة المسرح ولكنه لا يرى أحدًا .. تساءل بصوت مرتفع :

- من أنت ؟

لم يجبه صوت .. لماذا شعر بالخوف والاضطراب، هل هو الظلام أم ذلك العابث الذي يريد أخافته .. أنه مقلب أكيد من الفرقة .. بعد وهلة وهو يريد

النزول للصالة امتدت يد إليه .. حاول أن يتكلم ولكن شيئًا كتم أنفاسه، وشعر بضغط على فمه خرج صوته على هيئة حشرجة وهمهمة ..

مرت مدة قبل أن تعود الإضاءة مرة أخرى.. لا أثر لوائل على المسرح .. دخل بعدها بدقائق عامل المسرح، وراح يتطلع لخشبة المسرح وهو ينادي على وائل، لقد تأخر عليه بعض الوقت فقد قابل صديقًا قرب البوابة، وأصرّ أن يشرب منه كوبًا من الشاي .ناد مرة أخرى على وائل وعندما لم يتلق إجابة، وضع علبة السجائر والباقي في جيبه وهو يقول لنفسه إن الفنانين مجانين .. لا بدّ أنه نسى أمر السجائر والفلوس وانصرف..

صعد العامل إلى غرفة الإضاءة .. وأغلق نور الصالة والمسرح .. ثم أغلق الباب الرئيسي وهو ينصرف ..ما زال هناك مشوار طويل حتى يصل لبيته .. يتمنى أن يحصل على مواصلة سريعة..

فأمامه غدا يوم طويل ..

فالمسرحيون أشد الناس إزعاجًا ..

*****

ليلة شديدة الظلام .. سيارة سوداء تقطع الطريق .. الثلج منتشر على الطريق .. الطريق زلج .. السيارة تترنح قليلا ولكنها تمضي بسرعتها ... سور حديقة طويل والعديد من الأشجار التي تغطت أوراقها بالثلوج فبدأت وكأنها ترتدي عباءة كبيرة بيضاء .. السيارة تقترب بسرعة .. الليل يفرش أسداله على كل شيء .. يبدو الطريق خاليًا من المارين أو أي سيارة أخرى في تلك الساعة ..

كشافان يضيئان الطريق الذي يبدو وكأنه في تلك اللحظة سيخرج أشباحه لتهاجم من في السيارة ..ينتهي سور الحديقة.. فتدلف السيارة من ورائه إلى ممشى جبلي غير ممهد ... بعد نصف ساعة تقريبًا تأخذ السيارة طريقها صعودًا .. تنتهي عند منزل خشبي سقفه مرتفع وأمامه حديقة صغيرة بسور تنتشر بها أشجار متوسطة الارتفاع ، ويبدو أنه منزل معد للصيد .. السيارة تتوقف أمام الباب .. يفتح الباب الخلفي ويهبط شخص ينظر حوله ، قبل أن يهبط السائق ويأخذ الشخص الأول مكانه على عجلة القيادة .. الظلام شديد لا نرى وجهي الشخصين .. يفتح السائق الباب الخلفي على اتساعه وينظر للداخل ثم يمد يديه؛ ليسحب فتاة مكممة ومقيدة اليدين يرميها على الأرض بجوار السيارة .. ثم يخرج كشافًا من جيبه يوجهه في وجه الفتاة الذي يبدو الرعب على ملامحها في أوضح صوره .. تغادر السيارة بسائقها الجديد .. ثم ينحني السائق ليحمل الفتاة المقيدة على كتفه ويتحرك في اتجاه باب المنزل .. يضع الفتاة بعنف على دكة خشبية بجوار الباب .. قبل أن يفتحه ، ثم يعود لحمل الفتاة التي تحاول أن تتخلص من قيودها دون جدوى ويدخل داخل المنزل ويرميها على الأرض..

. عدد من الشمعدانات موجود بالداخل على مائدة تتوسط المكان يتجه إليها ويشعل أحدها .. تبدو معالم الوجه تنعكس مع الظل الذي يرتمي خلفه .. أنه عمر .. بينما الفتاة هي ميرنا .. حبيبته التي خانته مع صديقه هوفمان .. تبدو ملامح وجه عمر منقبضة بشدة وهو يتطلع للمكان .. كان المكان مخصصًا للصيد فعلاً.. عدد من بنادق الصيد معلق على الجدران مع المشهد المعتاد لرأس غزال محنط على الحائط .. يتحرك عمر في الداخل ليصل إلى سجادة في منتصف الردهة .. يزيحها فيظهر أسفلها مقبض باب خشبي من الجلي أنه

يؤدي إلى قبو .. يمسك المقبض ويرفعه فيبدو أسفل قدميه سلم خشبي هابطًا لأسفل .. يهبط السلم وحده، وبعد دقائق يرتفع صوت موتور من داخل القبو .. من المؤكد أنه مولد كهربائي . وأخذ يرتقي السلم الخشبي صاعدًا للأعلى عندما غادر القبو وهو يطفئ الشمعدان الذي كان يحمله .. أصبح المكان مضيئًا بنور أصفر شاحب، أخذ يتحول للأبيض بعد دقائق .. عاد ينظر للفتاة التي كانت تحاول أن تتحرك وتخلص نفسها دون فائدة .. فمد يديه وانحنى وهو يحملها على ظهره ويتجه مرة ثانية إلى القبو ويهبط بحمله .. بعد دقيقة كان يضع جسد الفتاة على منضدة طويلة داخل القبو .. وبثبت جسدها للطاولة بقيود معدنية قبل أن يرفع الشريط اللاصق عن شفتها .. لتنطلق صرخة عنيفة منها وهو يقف عاقدًا ساعديه مبتسمًا قائلاً :

- فرغي شحنة أعصابك .. اصرخي كما تريدين فأقرب مكان لهنا على بعد عدة كيلومترات .. لا أحد سيسمعك ..

واصلت الفتاة صراخها لعدة ثوان وهو على وضعه قبل أن يتجه لمقعد هزاز خشبي يجلس عليه، ويتطلع إليها بغموض عجيب وعلى شفتيه تلك الابتسامة المتشفية ...

بعد فترة هدأت حدة صرخات الفتاة وهي تتطلع حولها قبل أن تقول :

- ما الذي تريده مني ؟

أجابها وهو يدفع قدميه للأرض ويترك الكرسي الهزاز يتحرك مصدرًا صريرًا مزعجًا :

- ما أريده ؟! أتتساءلين حقًا ..

قالت الفتاة والدموع تغرق وجنتيها :

- إنه هوفمان .. أنا لم أفعل أي شيء .. هوفمان صاحب الفكرة ..هو من أصر أن يخبر التحرية عن كل شيء ..

ابتسم عمر وهو يقف ويقترب منها ويملس على شعرها ناظرًا في عينيها وهو يقول :

- التحرية ؟ عزيزتي ميرنا .. ذكرتيني ما كان اسمها هذه التحرية ..أظن أن اسمها كان جوليان ..

قالت الفتاة ووجهها ممتقع بشدة :

- هل أنت من قتلها ؟!

واصل عمر النظر في عين ميرنا وهو يقول :

- قتلتها ! لقد انتحرت عزيزتي .. عندما لم تستطع أن تقاوم وسامتي .. ألا ترينني وسيمًا .. لعلمك لم يشغلني لجوء هوفمان إلى التحرية بقدر ما شغلني خيانتك لي ..

قالت الفتاة بلهفة وكأنها تبحث عن قشة تحميها من الغرق :

- إنني لم أخنك قطّ .. ولم أفكر في خيانتك .. ديفيد هو من يريد أن يوقع بيننا صدقني ..

ارتفعت ضحكة عمر وهو يضغط على شفتها بيده ويحرك رأسها يسارا ويمينا:

- العزيز ديفيد!! كاذبة كالعادة عزيزتي .. كان من الممكن أن تدخلي التاريخ معي .. ولكن دعينا من الماضي الآن . لا داعي للنبش فيه .. عزيزتي ميرنا .. أنك ستظلين هنا حتى أنهي ما بدأته .. بعدها يأتي وقت الحساب .. والآن أظن أنك تحتاجين للنوم ..

تطلعت ميرنا لعمر الذي أخرج محقن من جيبه قبل أن يكشف عن ساعدها ويدفع المحقن بعنف مقصود وهو يقول :

- نوم هادئ عزيزتي ..

حاولت الفتاة المقاومة ولكنها اكتشفت قوة قيودها وتأثير المخدر يتوغل في عقلها .. والرؤية تضيع من أمام عينها، ولكن خيل إليها وهي تذهب في غيبوبة لا تعلم متى تفيق منها أن الذي يقف أمامها ليس عمر الذي عرفته وأحبته وأقامت معه علاقة .. شيء فيه مختلف بالتأكيد .. أنه ليس هو .. قالتها بهمس وهي تغرق في سبات عميق لا إرادي ..

تطلع لها عمر قبل أن يبعد عن الطاولة ويتجه إلى ركن مظلم في القبو، فيرفع غطاء يبدو كغطاء سيارة قديمة .. ليظهر أسفله عدد من أجهزة الكمبيوتر المحمول .. ذات لون واحد تقريبًا .. وعلى شاشتها ارتسمت صورة عجيبة .. صورة يبثها قمر صناعي يدور خارج الأرض .. وينطلق منه خط يشبه خيوط الليزر الجراحية في اتجاه بقعة محددة على الأرض .. بقعة لو تتبعتها لوجدتها تنتهي على ثلاثة أهرامات في صحراء مصر..

وراحت أصابع عمر تضغط على أزرار كيبورد أحد الأجهزة التي من الواضح أنه الجهاز الرئيسي بسرعة وهو يقول بصوت غامض :

- لن يستطيع أحد أن يمنع حلمي مهما كان ... ومهما كلفني الأمر .. حتى لو كان أنتِ عزيزتي ميرنا .

وانطلقت من بين شفتي عمر ضحكة تدل على أنه وصل لدرجة من الجنون لا نهاية له .

****

الساعة السابعة مساء تقريبًا .. منذ نصف ساعة اتصل فتحي بوفاء وسألها إن كانت ستحضر العرض المسرحي لوائل .. كانت وفاء قد مرت بأزمة نفسية حادة بعد وفاة نرمين صديقتها ولزمت البيت فترة .. أراد فتحي أن يخرجها من هذه الحالة باتصاله وتأكيده أن نرمين كانت ستفرح لرؤية العرض المسرحي الجديد لوائل.

العرض سيبدأ في الثامنة تقريبًا، فتحي برغم كل ما يمر به من جنون كان يريد أن يجدد حبه للحياة ويعود كما كان .. اللعبة العجيبة التي كان ينقلها له جهازه كانت تثيره وتحبطه بشكل رهيب ولكنه أصر على أن يخرج اليوم. لقاؤه بوفاء قد يعيد الثقة له وبعقله ..

كان يقف على باب الكلية بعيدًا عن مسرح الجامعة بمئات الأمتار منتظرًا رؤية وفاء الذي وعدته بالحضور .. وراح يقطع الممشى المؤدي للمسرح جيئة وذهابًا، وعيناه السوداوان على الداخلين .. أتوبيس المدينة الجامعية يحضر بعض الطالبات اللاتي سيحضرن العرض .. المخرج الكبير الذي سيحكم العروض جاء منذ دقائق، لقد شاهد سيارته وهي تركن بجوار الباب الخلفي للمسرح، وشاهد الأستاذة هناء مديرة الرعاية تستقبله، وتصعد به إلى الاستراحة الصغيرة بجوار المسرح .. وبعد دقائق رأى فتحي أعضاء هيئة التحكيم يأتون تباعًا .. عرفهم من استقبال الأستاذة هناء لهم .. الطلبة يحتشدون على باب المسرح الرئيسي ينتظرون أن تفتح الأبواب ..

مرت دقائق وفتحي لا يكف عن الحركة يلقي التحية والسلامات على بعض أفراد دفعته الذين يربطهم به صداقة أقرب للزمالة ..

وفي السابعة والنصف شاهد وفاء تقطع الممشى في اتجاهه .. كانت ترتدي فستانًا أسود بأكمام طويلة .. وتمشي بتؤدة ناظرة للأمام .. لمحها فتحي فارتسمت على شفتيه ابتسامة مرحبة وهو يتجه إليها قائلاً :

- لماذا تأخرتِ ؟ العرض سيبدأ بعد قليل .

قالت وفاء وهي تسلم عليه بصوت هامس ضعيف :

- ترددت كثيرًا في الحضور .. خصوصًا أن وائل لم يكلمني أو يدعوني .. أليس هذا غريبًا؟

قال فتحي وهو يمشي بجوارها :

- بالتأكيد أنشغل بالعرض فنسى أن يدعونا .. أنه يعتمد على أننا نعرف ميعاد العرض منذ فترة ..

أومأت وفاء برأسها وهي تقول :

- لا يهم .. أنني بالفعل أحتاج لأي شيء يخرجني من حالتي تلك .. انتحار نرمين كان ضربة قاضية لي حقًا .

هزّ فتحي كتفه وهو يقول :

- بالفعل .. انتحارها أثر علينا جميعًا .. أنا أيضا تغيبت عن الكلية لفترة بعدها وأحاول الآن أن أعود لحياتي الطبيعية .. وأفكر قريبًا أن أعود للعمل ..فالحياة يجب أن تسير برغم كل شيء ..

كانا قد اقتربا من باب المسرح ووقفا وسط الجمهور الذي كان ينتظر أن تفتح الأبواب ...

مرت فترة وهما واقفين تلتقي أعينهما كل فترة وهما يتطلعان للبوستر الضخم المعلق باسم العرض وصورة وائل التي تحتل نصف البوستر تقريبًا ، وخلفه باقي أعضاء الفرقة ..

كانت الصورة توضح الاهتمام الزائد من وائل بنفسه ، ومن يراها يدرك الغرور الملازم لصاحب البوستر والواضح من تفاصيل التقاط الصورة ..

في الثامنة إلاّ عشر دقائق فتح باب المسرح .. وبدأ الجمهور بالدخول .. طلبة ينظمون جلوس الجمهور الذي معظمه طلبة مثلهم ... اتجه فتحي ووراءه وفاء إلى الكراسي التي تقع في وسط المسرح في الصف السابع تقريبًا جلسا، وراحا يتطلعان لستارة المسرح المغلقة .. هناك توتر ملحوظ على خشبة المسرح، وهناك من ينزل ويهبط ليهمس في أذن الأستاذة هناء التي تهزّ رأسه وتبتسم .. اللجنة في أول صف أمامهم علب من المياه الغازية وقطع جاتوه .. أصوات مرتفعة من الصالة .. الجميع يتكلم تقريبًا لتمضية الوقت حتى يفتح الستار.. بعض الطلبة حضروا لتمضية أمسية مع عرض مسرحي بعيدًا عن ملل المدينة الجامعية ..

الثامنة بالضبط تم إطفاء نور الصالة وسمعوا الخبطات الثلاثة على خشبة المسرح التي تعلن بداية العرض ..

اتجهت العيون للستارة التي فتحت أمامهم .. صور الديكور مبهرة .. وائل اهتم بالتفاصيل كثيرًا خصوصا لأنه أول عرض من إخراجه في الكلية التي وضعت ثقتها في طالب ..

الأضواء تكون ثلاث بؤر على الخشب يدخل من الكالوس اليمين للمسرح ثلاثة ممثلين ومن الكالوس المقابل نفس العدد .. ترتفع صوت دقات طبول مع تحرك الممثلين على المسرح ليؤدوا استعراض البداية ..ولكن ملامح الممثلين كانت تقول إن ثمة شيئًا ناقصًا، وبرغم هذا كان الاستعراض مبهرًا بحق .. وارتفع التصفيق عند انتهائه .. كانت تلك اللحظة من المفترض هي لحظة نزول البانوراما الكبيرة من سكينة المسرح الخلفية..

ثلاثة ممثلين يقفون على يمين المسرح وممثلهم على يسار المسرح .. والبانوراما بدأت تنزل في إبهار مع الأضواء المصاحبة من أعلى .. منفذ الإضاءة من المؤكد أنه شخص محترف .. فجأة ظهر وائل في الصورة، كان يهبط من أعلى مع البانوراما .. وبدأ التصفيق يتصاعد .. جسد وائل مدلى بحبل من الوسط ويترنح يسارًا ويمينًا .. ملابسه مبهرة .. هناك حبال تربط أطراف جسده الأربعة .. ولكن شيئا غريبا يبدو للعيون.. أن جسده في وضع تشريحي عجيب وقدماه معلقتان في الهواء بصورة عجيبة ..والماكياج الصارخ على ملامحه لا تستطيع أن تتبين منه تفاصيل وجهه .. هناك حبل آخر تكاد تقسم وفاء أنه ملتف حول رقبته كأنشوطة إعدام .. فجأة قُطع الحبل الذي يربط وسطه وسمع الجميع صوت قرقعة فقرات عنق رقبته . قبل أن يسقط جسده ليرتطم بأرض المسرح ..

صفق الجمهور بعنف وهما يرون المشهد .. ولكن حركة الممثلين ناحية وائل أفزعت الجميع .. وهم يحركون جسده يمينًا ويسارًا ..قبل أن تصرخ ممثلة أن وائل قد مات ..

وجوم غريب ساد القاعة .. لا أحد يفهم حقيقة ما يحدث ..الستارة تغلق .. فتحي ووفاء يغادران مقاعدهما ويجريان اتجاه خشبة المسرح خلف الأستاذة هناء التي امتد الذعر ليشمل جميع حركات جسدها ، وهي تهرول مُروعة صاعدة الدرجات القليلة المؤدية للخشبة ..

الممثلون ملتفون حول جسد وائل ، وممثلة تبكي وتخبط أقدامها في الأرض، وهي تقول :

- قلت لكم إن تأخيره غير طبيعي ..

بينما يجيبها ممثل آخر في ذهول :

- هو الذي قال إنه يجهز دخلة مرعبة للمسرحية وعلينا أن ننتظر مفاجأته لنا.

وفاء وفتحي يقتربان من جسد وائل المسجى على خشبة المسرح .. من الجلي أن وائل أخطأ في تقدير وزن جسده فقُطع الحبل الذي كان يربط وسط جسده بالبانوراما .. مستحيل !

إنه تقريبا شنق نفسه .. شنق نفسه أمام مئات الطلاب ولجنة التحكيم وأعضاء هيئة التدريس .. أية نهاية مجنونة لحياته تلك ؟!

راح جسد وفاء يرتجف بشدة وهي تضع يديها على شفتيها لمنع صرخة عنيفة تريد أن تغادر حلقها ..

بينما وقف فتحي فوق جسد وائل المتخشب ناظرًا إليه في ذهول تام .. بعد دقائق كان عميد الكلية على خشبة المسرح ، تطلع للجمع من الطلبة الملتفين من ممثلين وزملاء لوائل وصرخ فيهم مطالبهم بالنزول عن خشبة المسرح ..

بعد دقائق أخرى كان هناك اعتذار يذاع أن ثمة مشكلة في العرض وعلى الجميع مغادرة المسرح ..

خرج الجمهور وهو يتساءل هل ما حدث أمامهم حقيقي .. هل صوت القرقعة الذي وصل إلى مسامعهم هو بالفعل تحطم لفقرات عنق وائل أم أن الأمر خدعة ما .. معظمهم لا يفهم حقيقة ما حدث ..

كانت وفاء ترتجف بشدة وفتحي يسندها مغادرين المسرح .. الذهول على ملامح وجيهما في أقصى صوره .. ما الذي يحدث لحياتهما في الفترة الأخيرة .. هناك لعنة تطارد مجموعته بالتأكيد .. منذ فترة انتحرت نرمين في عيد ميلاد وفاء .. واليوم يموت وائل أمامهما في أهم عرض مسرحي له .. مستحيل هناك شيء خطأ .. شيء غير طبيعي ..شيء شيطاني بكل تأكيد ..

الدموع تغرق مقلتي عيني وفاء .. بينما فتحي يشعر بأن ما رآه يفوق أي تصور أو جنون حدث .. ما الذي فعله وائل تحديدًا ليهر الجمهور .. هل كان من الجنون ليدبر حادثة لانتحاره أمام المئات، ليصبح حديث الجامعة لفترة .. مستحيل! وائل لا ينتحر .. هذا ما أخذ يكرره فتحي لنفسه كل دقيقة تقريبًا وهو يوصل وفاء لبيتها .. كان من المستحيل أن يتركها في تلك الحالة ...

وفاء ساهمة مستندة على كتفه وهو يضغط زر جرس باب الفيلا .. فتفتح الخادمة وتتطلع لوجه وفاء والدموع المتحجرة في عينها في دهشة.. ترتمي وفاء في حضن الخادمة وتطلق لدموعها العنان ..

الخادمة تحضن وفاء بشدة متسائلة ما الذي حدث ..فأنها تقربها من ربت وفاء مع أمها .. الأم كانت في الصالة فتأتي مسرعة على صوت الخادمة ، وهي تسأل : ما الذي يجري بالضبط .

قال فتحي لوالدة وفاء إنه سيخبرها بكل شيء، ولكن على وفاء أن ترتاح الآن .

صعدت الخادمة بوفاء إلى غرفتها في الدور الثاني .. بينما جلس فتحي في الردهة مع والدة وفاء وراح يخبرها بكل شيء حدث وسط نظرات الدهشة العجيبة من الأم، وهي تنصت ..وتتحرك في الردهة جيئة وذهابًا وهي تقول :

- أية لعنة أصابت ابنتي .. كلاَ .. لو تركتها هكذا ستضيع مني وسط هذا الجنون .. كلاَ يجب أن نسافر للخارج .. مستحيل في شهر تقريبًا تفقد صديقين من أصدقائها .. وفاء لن تتحمل هذا .. يجب أن نسافر .. البنت كادت تصاب بالجنون منذ انتحار صديقتها في عيد ميلادها، ومن وقتها وهي تحبس نفسها في غرفتها لا تأكل تقريبًا .. وأول يوم تحاول أن تعود لطبيعتها تفقد صديقًا آخر.. واليوم .. لا .. لا .. لو تركتها هنا ربما انتحرت هي الأخرى.. كلاَ..

راحت والدة وفاء تقول كلمة كلاَ تقريبًا مئات المرات في وجه فتحي وهو يحاول أن يهدأ فيها بكل الطرق الممكنة.. ولكنها بدت عصبية للغاية ، وهي تودع فتحي على باب الخروج وعلى شفتيها جملة واحدة تحطم كل أمال فتحي وحلم ارتباطه بوفاء ..

" لا بد أن نغادر مصر الآن "

****

إبراهام يتلفت حوله في تلك الليلة الطويلة، لم يكن يتصور قطّ أنه قد يفعل ما فعله .. شيء عجيب كان يتحكم فيه .. شيء يفوق مداركه ، أنه رآه في عين ذلك الشاب عمر .. مستحيل أن يخطئ .. راح يصعد الدرج سريعًا .. شقته مؤمنة جيدًا بنظام الكتروني خاص الباب يفتح بأرقام سرية ومفتاح خاص ليس مع أحد غيره، وهذا كان يطمئنه وهو يدخل للشقة ..

إبراهام الذي تجاوز الخامسة والأربعين قضى أكثر من نصف عمره تقريبًا في البحث في كتب السحر .. ودوما كانت تصدمه تلك النبوءة.. الهرمجدون .. المعركة الأخيرة بين الخير والشر .. إن ذلك الشاب الذي رآه اليوم هو من سيفتح الطريق إلى الحرب العالمية الثالثة حيث يفنى العالم .. أنها بداية النهاية .. لقد حسبها مئات المرات وهو في الحمام في تلك الفيلا المنعزلة التي يجتمعون فيها كل فترة لمناقشة مستحدثات السحر .. كتب الرموز وحللها كما رآها في عيني عمر مئات المرات .. وتأكد أنه هو مفتاح البداية .. كان يجب أن يتأكد من أن السكينة ستفرس بالكامل في صدره .. كيف أخطأ ولم يصبه ؟ يكاد يقسم أن الشاب شعر بقربه ونزول السكينة على صدره، فدفع جسد الفتاة أوليجا ناحيته .. كلاّ مستحيل أن يتركه .. دخل إلى شقته وفتح النور وهو يتجه لغرفة المكتب .. مجلدات كتب السحر في كل مكان .. يخرج بعضها يقلب فيها .. الأسفار السبعة للسحرة .. حيث كل شيء يدور من سبعة، الأيام سبعة ، والسماوات سبع والأرضين سبع ..والخطايا سبع

ينظر في الكتب القديمة كلها .. ويعيد النظر إلى فترات المجاعات والحروب والقتل . كلها بسيطة أمام ما قد يجلبه هذا الفتى .. الفتى بأوصافه كاملة موجود في كتاب الساحر اريك تويلد .. أنه متأكد الآن من كل شيء .. يجب أن يخبر الجميع قبل أن يتفاقم الأمر .. يجب أن يتخلص من الفتى قبل أن تحدث النهاية وتدمر الأرض كلها .. راحت صور عجيبة تتراءى إلى مخيلته .. أبواب من الجحيم تفتح ، الشياطين تغادر مكانها لترتع في الأرض .. الدول الكبرى تضغط على أزار الصواريخ العابرة للقارات .. ملايين الملايين من البشر يتمزقون ويتحولون إلى غبار.. الأرض تخسف .. الشياطين تواصل معركتها الأخيرة وهي تظفر كل ثانية بملايين الموتى .. الناس في الشوارع يأكلون لحم الموتى بعد انتشار الأوبئة والجوع .. الطاعون ينتشر بشدة ، ولا أحد يستطيع أن يقف أمامه .. أجيال جديدة من الأمراض تفترس الجميع .. أجساد عبارة عن هياكل عظمية مغطاة بالجلد تمشي في الشوارع .. التلوث في كل مكان .. النيران والحرائق في كل شبر على سطح الكرة الأرضية .. الفتى يقف مبتسمًا والشياطين حوله تحرسه .. الشياطين تظهر وتتجول وسط الناس تقايضهم على أرواحهم مقابل كسرة خبز وشربة ماء .. الجحيم يفتح أبوابه لاستقبال الوافدين الجدد .. الشيطان يفتح ذراعيه مرحبًا بهم .. أي جحيم تنقله له كتب السحر وعلومها .. أكثر من عشرين سنة وهو عاكف على دراسة كل الكتب الذي ذكرت نبوءة المعركة الكبرى الهرمجدون .. هناك شفرات فك طلاسمها بين الإشارات للمعركة .. الفتى بالتأكيد يحمل لعنة البداية .. أنه لا يعرف كيف سيفعلها الفتى .. ولكن عليه أن يمنع هذا بأية صورة .. لم يكتف إبراهام بكتب السحر .. دخل على صفحات الإنترنت وراح يقرأ الصفحات التي ذكرت الهرمجدون بكل تفاصيلها، برغم أنها لا تساوي شيئا لما ذكرته كتب السحر فهي نقطة في بحر الشرور..

أرمجدون

من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة .. راح يقرأ ..

« أرمجدون أو هرمجدون هي كلمة جاءت من عبرية هار-مجدون أو جبل مجدو، بحسب المفهوم التوراتي هي المعركة الفاصلة بين الخير والشر أو بين الله والشيطان وتكون على إثرها نهاية العالم. وتقع هضبة "مجيدو" في منطقة فلسطين على بعد ٩٠ كلم شمال القدس و ٣٠ كلم جنوب شرق مدينة حيفا وكانت مسرحًا لحروب ضارية في الماضي كما تعتبر موقعًا أثريًا هامًا أيضًا.

و هي عقيدة مسيحية ويهودية مشتركة، تؤمن بمجيء يوم يحدث فيه صدام بين قوى الخير والشر، وسوف تقوم تلك المعركة في أرض فلسطين في منطقة مجدو أو وادي مجدو، متكونة من مائتي مليون جندي يأتون لوادي مجدو لخوض حرب نهائية.

و يذكر أنه في عام ١٩٨٤م أجرت مؤسسة يانكلوفينش استفتاء أظهر أن ٣٩% من الشعب الأمريكي أي حوالي ٨٥ مليون يعتقدون أن حديث الإنجيل عن تدمير الأرض بالنار- قبل قيام الساعة - بحرب نووية فاصلة.

وعند المسلمين فإن هناك إيمان بمعركة كبرى في آخر الزمان تقع بين المسلمين واليهود دون الإشارة إلى اسم هرمجدون تحديداً، وينتهي الأمر بانتصار المسلمين في المعركة.

مجدون، شمال فلسطين.

جاء في كتاب قاموس الكتاب المقدس[١]:

تقع مجدون في مرج ابن عامر، بالقرب من مدينة جنين، وزاد في قيمتها الإستراتيجية أنها تقع على خط المواصلات بين القسمين الشمالي والجنوبي من فلسطين.

وهرمجدون: كلمة عبرية مكونة من مقطعين، هر أو هار: بمعنى جبل، مجدون: اسم وادٍ في فلسطين يقع في مرج ابن عامر على بعد ٥٥ ميلاً شمال تل أبيب و٢٠ ميلاً جنوب شرق حيفا وعلى بعد ١٥ ميل من شاطيء البحر المتوسط، وتعرف مجدون الآن باسم (تل المتسلم) وكلمة هرمجدون: بمعنى جبل مجدون.

وجاء في قاموس يانج للكتاب المقدس[٢]:

هذه الكلمة لموقع معركة اليوم الأعظم للرب القادر حسب النص (في اليوم العظيم، يوم الرب القدير، فجمعهم في المكان الذي يدعى بالعبرية هرمجدون وهذه الكلمة تعني جبال مجدون في الوادي الكبير بمدينة مجدون القديمة حيث دارت معارك الأزمنة الغابرة، وهي تشير إلى معركة شرسة مدمرة ستدور رحاها في ذلك الوادي (وادي يزرعيل)).

وتوضح خارطة فلسطين، أن سهل يزرعيل عبارة عن وادٍ مسطح ممتد من جميع طرق حيفا على البحر المتوسط مروراً بمجدو في طريقه إلى يزرعيل حيث ينحدر بعد ذلك إلى أسفل (بيت شان) التي تقع تحت مستوى سطح البحر في وادي الأردن حيث يفصل هذا الوادي منطقة الجليل الجبلية في الشمال عن منطقة الريف بالهضبة المركزية في الجنوب).

الموقع التاريخي للمدينة...

جاء في سفر الرؤيا:١٦ ما يلي: (لقد شهد هذا المكان عدة حروب وقد دمرت المدينة وأعيد بناؤها في غضون عشرين عامًا، وتوجد هذه المدينة حاليًا التي كانت إحدى أهم مدن سليمان والملك آخاب على أنقاض المدينة القديمة وتحمل نفس الاسم (هرمجدون) والتي كما يقول البعض ستشهد يوم حساب الرب لهذا العالم)[٣].

ويضيف الكاتب مال لنديسي في كتابه كوكب الأرض العظيم الراحل:

(هناك في تاريخ الكتاب المقدس معارك دامية لا تعد، دارت رحاها بهذه المنطقة ويقال: إن نابليون قد وقف بهضبة مجدو ناظرًا إلى الوادي متذكرًا هذه النبوءة وقال: جميع جيوش العالم باستطاعتها أن تتدرب على المناورات للمعركة التي ستقع هنا).

المعركة عند اليهود والنصارى

يستند اليهود إلى النص العبري الوارد في سفر الرؤيا:١٦ بأن المعركة المسماة معركة هرمجدون ستقع في الوادي الفسيح المحيط بجبل مجدون في أرض فلسطين وأن المسيح سوف ينزل من السماء ويقود جيوشهم ويحققون النصر على الكفار، والنص كما يلي:

(ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير. الفرات. فنشف ماؤه لكي يُعدَّ طريق الملوك الذين من مشرق الشمس، ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش ومن فم النبي الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شيء. ها أنا آت كمختلس. طوبى

لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عرياناً، فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون)[٤].

وصرح القس (بيلي جراهام) عام ١٩٧٧م: (بأن يوم مجدو على المشارف، وأن العالم يتحرك بسرعة نحو معركة مجدو، وأن الجيل الحالي يكون آخر جيل في التاريخ، وأن هذه المعركة ستقع في الشرق الأوسط).

وبهذا المعنى قال رئيس القساوسة الانجليكانيين: (سيدمر الملك المسيح تمامًا القوى المحتشدة بالملايين للدكتاتور الفوضوي الشيطاني).

وكان اليهود أكثر تشوقًا لهذا اليوم الموعود الذين يسمونه يوم الله، فقد نقلت وكالة الصحافة الفرنسية نبأ من القدس المحتلة أثناء حرب الخليج عام ١٩٩١م للحاخام مناحيم سيزمون الزعيم الروحي لحركة حياد اليهودية يقول: (إن أزمة الخليج تشكل مقدمة لمجيء المسيح المنتظر).

وهذه الاعتقادات ظهرت عند السياسي اليهودي تيودور هرتزل حيث يقول: (إنه ظهر لي في عالم الرؤيا. المسيّا. المسيح. الملك على صورة شيخ حسن وخاطبني قائلاً: اذهب وأعلم اليهود بأني سوف آتي عما قريب لأجترح المعجزات العظيمة وأسدي عظائم الأعمال لشعبي وللعالم كله).

كما قال النبي يونيل عن هذا اليوم: (انفخوا في البوق في صهيون، اهتفوا في جبلي المقدس، ارتعدوا يا جميع سكان العالم، يوم الرب مقبل، وهو قريب، يوم ظلمة وغروب، يوم غيم وضباب).

هرمجدون لدى السياسيين

يتسابق الساسة الاستعماريون إلى تثبيت فكرة المعركة بتفسيرها اليهودي لدى الشعوب للحصول على مكاسب سياسية، وتنفيذاً لمآرب الصهيونية العالمية وإرضاءً لدولة إسرائيل العنصرية، وبهذا الصدد تقول الكاتبة الأمريكية جريس هالسل في كتابها النبوءة والسياسة: (إن النبوءات التوراتية تحولت في الولايات المتحدة الأمريكية إلى مصدر يستمد منه عشرات الملايين من الناس نسق معتقداتهم ومن بينهم أناس يرشحون أنفسهم لانتخابات الرئاسة الأمريكية وكلهم يعتقدون قرب نهاية العالم ووقوع معركة هرمجدون، ولهذا فهم يشجعون التسلح النووي ويستعجلون وقوع هذه المعركة باعتبار أن ذلك سيقرب مجيء المسيح).

وفي هذا المعنى تحدث الرئيس الأمريكي ريغن عام ١٩٨٠م مع المذيع الإنجيلي جيم بيكر في مقابلة متلفزة أجريت معه قال: (إننا قد نكون الجيل الذي سيشهد معركة هرمجدون).

وفي تصريح آخر له: (إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيرى هرمجدون).

أما الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش عام ٢٠٠٨م قد نقلت عنه مجلة دير شبيغل الألمانية ما يلي: (منذ ذلك الوقت أصبح بوش واحدًا من الستين مليون أمريكي الذين يؤمنون بالولادة الثانية للمسيح وهذا ما دعاه إلى القول: بأن المسيح هو أهم الفلاسفة السياسيين في جميع الأزمنة لأنه ساعدني على التوقف عن شرب الخمر[٥]).

وشارك في هذا التوجه تقرير لمنظمة حقوق الإنسان صدر في قبرص عام ١٩٩٠م يقول: (توجد هيئات وجمعيات سياسية وأصولية في الولايات المتحدة

وكل دول العالم تتفق في أن نهاية العالم قد اقتربت، وأننا نعيش الآن في الأيام الأخيرة التي ستقع فيها معركة هرمجدون، وهي المعركة الفاصلة التي ستبدأ بقيام العالم بشن حرب ضد دولة إسرائيل، وبعد أن ينهزم اليهود يأتي المسيح ليحاسب أعداءهم ويحقق النصر، ثم يحكم المسيح العالم لمدة ألف عام يعيش العالم في حب وسلام كاملين).

الملحمة الكبرى عند البهائية

وللبهائية رأي في معركة هرمجدون يخالف ما ذهب إليه أصحاب الديانات الثلاث، ففي كتاب "معركة هرمجدون" للبهائي كارلوتاجزين يقول:

(يدعي اليهود السامريون والعبرانيون أن النبي المنتظر الملقب بالمسيح الرئيس (المسيّا) إلى الآن لم يظهر)، وهو يفسر العبارات التي وردت في سفر الرؤيا إصحاح/ ١٦ بقوله: (إن الوحوش الثلاثة هي: الذي يخرج من فم التنين: صدام حسين، وإن الذي يخرج من فم الوحش: الرئيس الأمريكي، والنبي الكذاب هو الباب)[٦].

كما يربط بين أحداث العراق عام ١٩٩١م عند غزو صدام حسين للكويت وما بعدها من حروب وبين هذه المعركة فيقول: (إن معركة هرمجدون هي معركة دينية بين الإسرائيليين والمسيحيين والمسلمين، والأحداث التي تدور في العالم وبصفة خاصة منذ عام ١٩٩١م تمهد المسرح الدولي لمعركة هرمجدون، كما أن المسائل والقضايا الراهنة تشير بوضوح إلى أن هذه المعركة ستحدث عما قريب).

كل هذه الأفكار يرجعها إلى تصور البهائيين الذي يفسرونها كما يلي: (قبل معركة هرمجدون سيكون هناك ١٤٤ ألف فرد على معرفة بالله وفهم ميثاقه، وسيأتي هؤلاء الأفراد من المجموعة التي أقرت الميثاق البهائي وخالفوا في سنة ١٩٥٧م خطة الرب وألقوا بميثاقه بعيدًا وسيستطيع هؤلاء القوم أن يتغلبوا على الكذبة التي آمنوا بها وستطولهم فيها أحكام الميثاق وسيجتمع هؤلاء ال ١٤٤ ألف مؤمن بعد تفجير نيويورك، وبعدها ستبدأ معركة هرمجدون الكبرى وعند نهايتها سيكون ثلثا العالم قد دمر وهلك).

ويخلص كارلوتا إلى القول:

(وبعد انتهاء معركة هرمجدون معركة آخر الزمان، سيدخل هذا المجلس الذي أسس في كانون الثاني ١٩٩١ (المجلس البهائي الدولي الثاني) مرحلة جديدة كمحكمة عالمية، وفي هذا الحين ستصبح الدول الوحوش الأربعة وهي: (إنجلترا . فرنسا . روسيا . الولايات المتحدة) وهي أولى الدول البهائية، وعندما تعتنق جميع دول العالم المذهب البهائي ستتولد محكمة الرب من جديد في هذا العالم).

نظرة المسلمين لهذه المعركة

وفق رؤية أهل السنة الحرب التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن المسلمين يقاتلون فيها اليهود ويسلطون عليهم تكون في آخر الزمان، والظاهر أنها تكون عند خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم وظهور المهدي، ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أرمجدون لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه يهودي: تعال يا مسلم هذا يهودي وراي فاقتله[٧].

وفي لفظ مسلم:

أرمجدون لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد[٨].

قال الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري: وفي رواية لأحمد من طريق أخرى عن سالم عن أبيه:

أرمجدون ينزل الدجال هذه السبخة -أي خارج المدينة- ثم يسلط الله عليه المسلمين فيقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجر والحجر، فيقول الحجر والشجر للمسلم: هذا يهودي فاقتله[٩].

وعلى هذا، فالمراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى ابن مريم، وكما وقع صريحاً في حديث أبي أمامة في قصة خروج الدجال ونزول عيسى، وفيه: (وراء الدجال سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى، فيدركه عيسى عند باب لد فيقتله وينهزم اليهود، فلا يبقى شيء مما يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء فيقول: يا عبد الله -للمسلم- هذا يهودي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنها من شجرهم" أخرجه ابن ماجة[١٠]

فهذه الأحاديث تدل على أن هذا القتال للهود سيكون في آخر الزمان، وليس بالضرورة أن تكون حرباً عالمية، وإذا كانت كذلك، فلا يلزم أن تكون هي الحرب العالمية الثالثة، بل يمكن أن تقع حرب عالمية ثالثة قبلها، وقد لا تقع.

وفق رؤية الشيعة

يرى أتباع الشيعة أنه قد ورد ذكر لهذه المعركة والمعركة التي تسبقها وهي معركة تحرير القدس في أحاديث مسندة إلى الرسول محمد (ص) وإلى أهل البيت عليهم الصلاة والسلام والتي تذكر المراحل النهائية لحركة الإمام المهدي المنتظر في آخر الزمان، يقول الشيخ علي الكوراني: (بعد هلاك قوات السفياني في الحجاز والهزيمة التي تمنى بها على يد رايات الشرق في العراق تعود المعركة إلى ساحتها الأساسية بلاد الشام استعدادا لأكبر معارك المنطقة في أحداث الظهور، معركة تحرير القدس، التي يمتد محورها من دمشق إلى طبرية فالقدس).

ويستدل المحقق علي الكوراني في استنتاجه هذا بالآيات الكريمة من سورة الإسراء: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرا) والايات اللاحقة لها. فالأولى أرسل الله عليهم عباده المسلمين خلال الفتح الإسلامي سنة ١٦هـ، والثانية أو العقوبة الثانية ستكون هزيمتهم على يد المسلمين أيضاً عندما يعود المسلمون إلى رشدهم).

وقد أوردت مصادر الشيعة أحاديث معركة المهدي الكبرى هذه (وأن طرفها المباشر السفياني وخلفه اليهود ودول أوروبا، ويمتد محورها من أنطاكية إلى عكا أي طول الساحل السوري اللبناني الفلسطيني ثم إلى طبرية ودمشق والقدس وفيها تحصل هزيمتهم الكبرى الموعودة)، وتورد الروايات أن المهدي

المنتظر يعقد بعد هذه المعركة هدنة مع الروم مدتها سبع سنين ويبدو أن عيسى يكون وسيطاً فيها فيغدر الروم وينقضونها ويأتون بثمانين فرقة (راية) في كل فرقة اثنا عشر ألفا، وتكون هذه هي المعركة الكبرى التي يقتل فيها كثير من أعداء الله تعالى، وقد وصفت بأنها الملحمة العظمى أو مأدبة مرج عكا أي مأدبة السباع وطيور السماء من لحوم الجبارين).

كما أثر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبنائه أقوال تشير إلى مكان الملحمة في مرج ابن عامر من عكا ويافا على الساحل حتى القدس في السهل الفلسطيني ويشيرون إلى زمانها أنها بعد ظهور المهدي المنتظر وتحريره القدس من قبضة اليهود ونقض الروم الهدنة معه التي توسط فيها عيسى بعد نزوله، وكلها حوادث لم تحدث بعد ولا حدثت في التاريخ البعيد حيث يظهر الله دينه وينصر عباده ويسود الإسلام في أمم الأرض. ومن هذه الأقوال:

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: ثم يأمر المهدي بإنشاء المراكب، فينشئ أربعمائة سفينة في ساحل عكا، وتخرج الروم في مئة صليب تحت كل صليب عشرة آلاف فيقيمون على طرطوس ويفتحونها بأسنة الرماح وبوافيهم المهدي فيقتل من الروم حتى يتغير ماء الفرات بالدم، وتسلتئن حافتاه بالجيف، وينهزم الروم فيلتحقون بانطاكية(٣٦) وهل هناك ملحمة أقوى من هذه وهذا إخبار عن قوته - أي المهدي - وفتوحاته بعد أن يتم له فتح بيت المقدس ودحر اليهود والصليب في المعركة الكبرى.

صفحات كثيرة جدًا تتحدث عن المعركة ولكنها لا تعرف الحقيقة التي رآها إبراهام بعينيه ...

ولكن قبل كل شيء يجب عليه أن يفكر في الهرب .. أنه الآن سيكون مطاردًا من الشرطة لقتله أوليجا .. ولكن هل سيعترف عليه أحد أنه يشك أن يعترف عليه أصدقاؤه من السحرة ...يجب أن يرسل رسائل تحذيرية لعدد من أصدقائه السحرة .. يجب أن يدعوهم للاتحاد معًا حتى يوقفون الأمر .. ولكن هل سيصدقونه .. بعضهم يقول أحيانا إنه يشطح في خيالاته .. الأمر ليس خيالاً الآن .. كل شيء يدل على أن النهاية أقرب مما يتصورون ..

أخذ يرسل الرسائل تباعًا بعد أن كتب تقريرًا مفصلا عن كل شيء .. نفس النسخة يرسلها للجميع .. مع ملف صور التقطه من كتب السحر القديمة لتأكيد وجهة نظره .. ولكن حتى لو لم يتحرك السحرة ..سيبحث هو عن الفتى ويقتله قبل أن يسبب تلك الكارثة الكبرى .. هو قادر على ذلك ..

نظر إلى ملابسه وهو يغلق جهاز الكمبيوتر .. هناك دماء عليها .. يجب أن يتخلص من تلك الملابس ..

بعد دقائق كان في طريقه للحمام خلع ملابسه بعد أن ملأ المغطس الصغير وهبط بداخله .. المياه الساخنة تغمر جسده بالكامل، يشعر بالارتياح قليلاً .. يحاول أن يفرغ رأسه من الأفكار المجنونة .. ظل فترة في مكانه، وعيناه مغمضتان مستمتعًا بدفء المياه ..

عندما انتهى من الاستحمام مد يده ليسحب المنشفة لينشف جسده ليخرج من الحمام .. ولكنه لم يجدها في مكانه ..فتح الستارة البلاستيكي وهو ينظر لمكان المنشفة .. ولكن عينيه توقفتا على شخص يقف في مقابلته مبتسمًا .. أراد أن يصرخ، ولكن الصرخة لم تغادر شفتيه عندما رأى سكينة يعرفها جيدًا تنغرس في قلبه مباشرة .. قبل أن يدفعه الشخص الواقف أمامه بيده

لتصطدم رأسه بالمغطس أسفل قدميه وتتحول المياه إلى اللون الأحمر في دقائق، والواقف يسحب السكينة ليغرسها في جسد إبراهام المسجى أمامه عدة مرات ..

بعد دقائق كان من المؤكد أن إبراهام قد فارق الحياة .. وعلى ملامحه ارتسمت أبشع مظاهر الرعب ..

موته يعلن البداية .. بداية النهاية .. ليس له فقط .. ربما للأرض كلها كما تقول كتب السحر.

اللعبة تعلن نهاية مرحلة جديدة أمام عيني فتحي، وتعود الأيقونة أسفل الشاشة للون الأحمر.. تتسع عينا فتحي في ذهول كل مرة وهو يتساءل هل أصبح الجنون حليفه هذه الأيام ؟!

نرمين تنتحر في عيد ميلاد وفاء ، وواائل يشنق نفسه على المسرح أنه بالتأكيد لم يكن يريد تلك النهاية له ..وأم وفاء تقرر أن عليها أن تأخذ ابنتها وتفر خارج مصر .. والدكتور عصام مات مشنوقًا .. وفي النهاية ديفيد وعمر وأوليجا وإبراهام وميرنا ولوجيان .. ورسائل يرسلها شخص لرجل ميت وهو يقرأها .. ولعبة دموية تصوره في مشاهد قتل مستحيل أن تكون حدثت حقيقة، وكلام عن نهاية العالم وحرب عالمية ثالثة.. ما كل هذا العبث الذي لوكتب في قصة من قصص الرعب ما صدقه أحد ..

******

(١٤)

جلس فتحي في غرفته .. أمامه ذلك الكمبيوتر المحمول الذي بدأت من عنده كل الكوارث التي تحدث له في الفترة الأخيرة .. أصبح ملما نوعا ما بما حدث لعمر .. ولكنه لا يفهم ولا يصدق ..

أمه كالمعتاد في المطبخ ، تعد وجبة صحية له ، تقول إنه أصبح شاحبًا للغاية وأصبح وجهه من قلة الأكل أقرب للموتى .. الذي لم تفهمه أمه أن الموتى أصبحوا كثيرين حوله هذه الأيام .. لقد فتشت غرفته عدة مرات واطمأنت أنه لا يتعاطى المخدرات .. هذا ما دار في خيالها حتى أنها راحت تحدثه في موضوع شغله وتدعوه للعودة للعمل .. فتحي للآن لم يعد للعمل .. شيء غامض يدعوه أن يظل بعيدًا عن العمل هذه الأيام.

اتصل بوفاء على هاتفها الخلوي عدة مرات أنها لا ترد .. بالطبع تعيش أفظع كوابيسها الآن .. لقد رأت صديقًا لها ينتحر أمام مئات الأشخاص على خشبة مسرح الجامعة ..

اتصل على التليفون الداخلي .. الخادمة تخبره أنها لا تريد أن تكلم أحدًا ، حتى أمها تجد صعوبة في التعامل معها هذه الأيام .. يسأل فتحي الخادمة عن الأم وإصرارها على سفر ابنتها .. تؤكد الخادمة أن الأم بالفعل تجهز نفسها لهذا، ولكنها تحتاج لوقت لبيع الفيلا .. والأرض الملحقة بها وتصفية بعض الأمور قبل السفر ..

فتحي لا يستطيع أن يسيطر على شعوره الآن .. هل تغادر وفاء مصر .. مستحيل !

إنها الحلم الذي يعيش لأجله .. أنه يفعل كل شيء من أجل وفاء ..

يتذكر فتحي فجأة ذاك الجزء من اللعبة الذي يحكي عن نهاية العالم وضحكه .. كم مغفل تنبأ بنهاية العالم ولم يحدث شيء .. بدء من نوسترادموس إلى عم عوض صاحب كشك السجائر في نهاية الشارع .. الذي يقابله دوما بعبارة " القيامة قامت يا ولاد " ويضحك فتحي آنذاك .. كيف تكون قامت وأنت ما تزال تبيع السجائر الأجنبي المضروبة في الكشك الخشبي وترشي موظف الحي وأمين الشرطة ليكفا عن إزعاجك .. ولكنهما دوما يعودان لك ولم يكفا يومًا عن إزعاجك .

الحقيقة الوحيدة الآن بالنسبة لفتحي أن أصدقاءه المقربين قرروا مغادرة الحياة منتحرين ... أية حياة تلك التي يعيشها دون أصدقاء .. كمال أنه يحتاج لأن يكلم كمال اليوم بأية صورة ... تقريبًا هو لم ير كمال منذ انتحار نرمين .. كمال كان يشك أن لوائل دخل في الأمر .. ولهذا لم يحضر عرض المسرحية .. تليفون كمال مغلق طوال الوقت .. يجب أن يعثر عليه ..

والدة فتحي تفتح الباب تنظر لابنها الجالس فاغر الفم أمام جاهز الكمبيوتر المحمول .. تضع الأكل أمامه وهي تربت على كتفه .. ينظر فتحي إلها شاكرا ..فتهزّ رأسها وهي تدعوله . وتغادر الغرفة ..

فتحي يحاول مرة أخرى الاتصال بكمال يصدمه دومًا الصوت النسائي الرتيب هذا التليفون قد يكون مغلقا أو خارج الخدمة ..

ما زال ذلك القميص الذي عثر عليه بالصدفة بدمه المتخثر في دولابه ..هل جرح نفسه ؟! لقد بحث عدة مرات في أنحاء جسده لم يجد أي جرح .. لقد

فوجئ بالقميص والدماء التي عليه .. أخفاه وهو لا يفهم .. شيء يقول له إن عليه أن يخفي هذا القميص .. أمه رأت القميص هو يعرف هذا ، وبرغم أنها لم تسأله، ولم تحاول أن تأخذه لتغسله، فقد كان يعرف فتحي أنها تتجنبه وكأنه شيء غير موجود وهي ترتب الدولاب والغيارات.. فتحي حاول أن يعيد العلاقة مع أمه لصورتها الطبيعية .. لقد ضحك بشدة عندما وجد حجابًا تحت مرتبة سريره .. أمه لجأت للشيء الوحيد الذي تفهمه أن هناك من عمل له عملا شيطانيا وأن ذاك الحجاب سيحرسه .. وسأل فتحي نفسه عن أي مشعوذ كتب له هذا الحجاب .. هل هي الحاجة عيشة تلك المرأة الغريبة التي تسكن في أول الشارع في غرفة فوق السطوح، تلك العجوز التي لا يتذكر فتحي أنه رأها مرة شابة .. منذ طفولته وهو يراها امرأة عجوز شمطاء، معروقة اليدين وينطلق الشرر من عينها .. يتذكر فتحي الخوف الذي كان يشعر به عندما يشاهدها في الشارع أو تطلب منه أن يساعدها لتصعد لغرفتها ، وبرغم خوفه صعد معها عدة مرات، فقد كان يخاف في طفولته أن تلقى عليه تعويذة من تعاويذها .. أنه يتذكر شكل الغرفة الخشبية وطاسة البخور العجيبة الكبيرة .. كم كان يشعر بالرهبة والخوف ولا يحاول أن يبقى لدقائق بعد أن تستقر جالسة على الكنبة القديمة داخل غرفتها .. فكان يفر فزعًا .. هل هذا الحجاب منها ؟!

قطع تفكيره رنين الهاتف .. كان كمال المتصل .. ضغط زر استقبال المكالمة في لهفة وهو يقول :

- أين أنت يا رجل .. اتصلت بك مئات المرات .

أجابه كمال بصوت مخنوق :

- كنت مريضًا .. لازمت الفراش لفترة .. ولم أغادر البيت منذ أيام .

قال فتحي بهدوء :

- حمد لله على سلامتك .. واضح أننا كلنا نمر بفترة عصيبة وكأن هناك من ألقى لعنة علينا ..

جاءه صوت كمال متنمرا:

- بالفعل .. ما يحدث هذه الأيام شيء جنوني .. لم يتبق من الشلة سواي وسواك والعزيزة وفاء .. وفكرتُ لفترة أن الدور سيأتي علينا ، ربما هذا ما جعلني مريضا..التفكير قاتل !

ارتعد جسد فتحي وهو يقول :

- الأمر جنوني بالفعل .. أنك كنت تشك في وائل في أنه قتل نرمين .

قال كمال في غموض :

- وما زلتُ متأكدًا أنه من فعلها .. ومتأكد أيضًا أن نرمين وجدت طريقة للوصول إليه.. فكيف تبرر انتحاره على المسرح كما سمعت من الناس ووصفوه لي ..

- أنك تقرأ قصص الأشباح كثيرا هذه الأيام .. ما تقوله لا يصدقه عقل .

- وهل انتحار نرمين، ثم وائل بعدها شيء يصدقه عقل ؟! هل عرفت ما الذي قاله المعمل الجنائي ..

- إنني لم أغادر المنزل تقريبًا منذ الحادثة .. ولم أسمع أي شيء .

- خذ عندك يا سيّدي .. الحبل الذي كان يربط وسط وائل كان شبه معلق في الهواء ومربوط بطريقة بدائية أية حركة قوية تنبي الأمر .. بخلاف الحبل الملفوف حول رقبته كان مربوطا بشدة في أعلى المسرح .. الغريب ما وجدوه في جسد وائل وفي جوفه عند تشريح الجثة .. لقد شرب وائل كمية من الخمور تكفي لأن يغرق فيل في النوم لساعات ..

قاطعه فتحي متسائلاً :

- خمور ؟ لم أظن يومًا أن وائل يشرب خمورًا .

- وائل لم يكن يشرب أية خمور ..ألم أقل لك إن شيح نرمين قتله .. لا أعرف كيف .. ولكنني أعرف نرمين جيدًا لن تترك حقها مهما حدث حتى بعد موتها.

- تعود مرة أخرى لتتكلم عن الأشباح .. أي وهم هذا ؟

- ليس وهمًا .. التحريات كلها قالت إن وائل تقريبًا كان يعد مفاجأة للفريق وبالغ في شرب الخمر فلم ينتبه للعقدة التي عقدها وقوتها تحت تأثير الخمر .. وهكذا جاء موته رومانتيكيا ..ودراميا .. وأنا وأنت نعرف أن وائل لم يضع في فمه قطرة خمر في يوم من الأيام .. هل تملك تفسيرًا لهذا ؟

ران الصمت وهلة قبل أن يقول فتحي :

- لا ينقصني تخريفك وأشباحك .. المهم أريد أن أراك ..أريد أن نخرج من تلك الحالة الغريبة التي أصابتنا .. وأتمنى أن تستطيع أن تقنع وفاء بالمجيء معنا لأي مكان لتروح عن نفسها .

جاءه صوت كمال هامسًا في خفوت :

- ألا زال الحلم بداخلك تجاهها .. لا تجيب أنني أعرف .. سأحاول جهدي وسوف اتصل بك .. سلام الآن فأنا أحتاج للراحة قليلا .

أنهى كمال المكالمة ، فتطلع فتحي لهاتفه المحمول لثوان قبل أن يضعه على المكتب ، وعقلة يشتعل بالأفكار .. أشباح ؟! .. وحجاب وضعته أمه .. وشيح نرمين عاد لينتقم .. ينتقم من وائل ؟ كيف ؟!

تطلع فتحي لشاشة الكمبيوتر المحمول أمامه وارتد بظهره للخلف بعنف حتى كاد يسقط عن مقعده.. يكاد يقسم أنه خيل إليه مشاهدة صورة لوجه نرمين تخرج له لسانها على الشاشة وعيناها تشعان شررًا لأقل من ثوان، وبمجرد أن طرفت عيناه اختفت الصورة .. اللعنة ! كلام كمال جعل خيالات مجنونة جديدة تضاف إلى ذهنه المتعب.. هذا ما كان ينقصه حقًا !

أيقونة اللعبة تتحول إلى اللون الأزرق وهذا يعني أنه سيشاهد جزءً جديدًا من اللعبة ..

جزء قد يحمل له مفاجآت أخرى ..

فالمفاجآت أصبح طابعا لحياته هذه الأيام ..

فضغط على زر اللعبة وأنتظر شارة البداية

أو شارة النهاية ..

فاللعبة الآن هي من تتحكم ..

اللعبة أصبحت تظهر تقريرا تفصيلا لكل من يتحرك خلالها ..

وعلى فتحي أن ينتظر ليفهم أو يقوم لينتحر مثل أصدقائه، ليريني ذاك الفصل المزعج من حياته للأبد ..

****

هوفمان يتلفت حوله في خوف.. كان يهبط إلى محطة المترو وهو يترقب الوجوه في تلك الساعة المتأخرة من الليل .. منذ ثلاثة أيام وهو يختفي .. كان يشعر أنه مراقب ولا يستطيع أن يرى من يراقبه أو يلمحه، ولكن حاسته السادسة تقول له إنه مراقب .. اختفت ميرنا، فتش عليها كثيرًا بعدما غادر فيلا التحرية لوجيان التي وجدها مقتولة في مغطس الحمام ..

إنه عندما طلب منه ديفيد وعمر الانضمام إليهما لم يكن يظن أن الأمر سيتطور بهذه السرعة .. شغفه العلمي بالإضافة إلى المبلغ الضخم الذي عرضه عليه ديفيد وبالفعل وضعه في حسابه قبل التنفيذ .. كل هذا جعله ينفذ الخطة ببساطة .. كل ما ظنه وقتها أنه سيضع شريحة في القمر الصناعي تجعلهم يكونون شركة خاصة للانترنت الفائق بلا حدود من خلال جعل القمر الصناعي محطة بث ..الأمر مغرٍ .. والأموال ستتدفق عليه بلا حساب .. وميرنا التي كانت تميل لعمر وصديقته شعر بميل نحوها .. لم يعرف متى انجذب

بالكامل إليها وراحا يقضيان أوقات سعيدة في شقته .. تهديد ديفيد له أنه سيخبر زوجته بالعلاقة أزعجه.. ولكن الذي أزعجه أكثر أن يخبر ديفيد صديقه عمر، وقتها ربما يتحول عمر تجاهه كليًا .. لقد تعرف على عمر منذ سنة ونصف تقريبًا.. قابله أول مرة في مركز بحوث الفضاء هو وميرنا .. كان عمر شخصا لافتا للانتباه، أنه مهندس ملم بكل ما يخص الكمبيوتر وتطويره بدرجة مدهشة .. لدرجة خيل إليه حين ذاك أنه لا يقل موهبة عن بيل جيتس .. كيف لهذا المصري كل هذا العلم .. ميرنا كانت مرحة عندما كانت تتجول في القاعات الكبرى .. فهي بصحبة صديقها الجديد المصري عمر .. وكانت سعيدة بالفعل وهما يتحركان في المكان وزادت سعادتها عندما لاحظت اهتمام الآخرين بعمر..

هوفمان انجذب لعمر بسرعة لحنينه إلى المصريين ، فجدته لأمه تزوجت من طبيب مصري كان يعيش في أمريكا ، بل إن جدته قبل موتها كانت تقول دومًا إنه نسخة طبق الأصل من المرحوم زوجها الذي لم يشاهده هوفمان ..

بعد أيام قليلة كان هوفمان يتلقى دعوة على العشاء من عمر.. فقبل الدعوة يومها عرفه عمر على ديفيد وراحت أواصر الصداقة تنمو بينهم حتى أخبره ديفيد بالفكرة المجنونة .. لماذا لم يرفض وقتها .. سؤال إجابته واضحة أمامه .. الذي لم يدر بخلده ما أخبرته به ميرنا بعد ما نشأت بينهما تلك العلاقة التي بالتأكيد رآها عمر علاقة آثمة .. لقد سمعت ذلك الحوار العجيب الذي دار بين ديفيد وعمر بالصدفة .. كانت نائمة آنذاك عندما سمعت الهمس الدائر في ردهة الشقة، قامت بهدوء ولكن لفت نظرها تكرر اسمها وقتها .. كان ديفيد يمرر صورًا إلى عمر وهو يقول له إن ميرنا تخونه مع هوفمان .. كانت عينا عمر وقتها تشعان بريقًا يكاد يكون ملحوظًا وسط نور الردهة الضعيف

.. سمعتهما وهما يتفقان عندما ينتهي الأمر سيكون هناك ردًا على هوفمان وميرنا .. أن الموعد المحدد قد اقترب .. وهوفمان قدم المساعدة كاملة .. وعليهما الآن الانتظار حتى ينتهي عمر من تنفيذ جهاز الكمبيوتر المحمول الذي سيبدأ من عنده كل شيء.. أيام قليلة فقط ويصبح الجهاز جاهزا لاستقبال النبضات .. لم تفهم معنى كل شيء ولكنها شعرت أن من يقف الآن في مقابلة ديفيد هو شخص مختلف عن عمر الذي عرفته وانهرت به ..

قال عمر في همس إنه سيفتح الطريق الجديد أمام علوم ستجعل البشرية تتقدم ملايين السنوات دفعة واحدة ، عندما يأتون من عالمهم .. سمعت أشياء لم تفهمها عن أبعاد مختلفة يسكنها مخلوقات أخرى أشد ذكاء وقوة .. وأنه يدرك يقينًا أن أمامه أيام قليلة قبل أن يضغط زر البداية ..وبعدها عليهم الانتظار حتى ينفتح الباب على المنطقة التي يعرفونها جيدًا ..

ديفيد انسحب من الردهة واتجه للباب وغادر وهو يغلقه في هدوء .. عادت هي إلى الفراش وادعت النوم .. رأت عمر وهو يدخل الغرفة يتطلع لها لثوان وعيناه تلمعان بصورة مزعجة ..

لقد حكت لهوفمان كل شيء في أول مقابلة .. وقال إنه سيتصرف .. أنه ارتكب خرقًا رهيبًا ويجب عليه تصليحه ، إنه أصبح لا يفهم ما الذي يحدث تحديدًا وقتها .. وكان عليه الاتصال بصديق دله على التحرية جوليان ..

تلك التحرية التي قابلها وجه لوجه وهي مقتولة ..

سمع صوت المترو وهو يدخل المحطة .. عاد من بحر الذكريات وعقله ما زال مشتتًا ..

انفتحت أبواب المترو فدخل مسرعًا لقد أجر غرفة في فندق منعزل بعيد ليفكر في الأمر .. أن حياته في خطر هذا ما يدركه .. أن الشخص الذي يقدم على قتل تحرية مثل جوليان لقادر على فعل أشياء أكثر جنونًا.

عربة المترو غير مزدحمة في ذاك الوقت من الليل ، راح يتطلع لوجوه الجالسين وهو يقترب من أقرب مقعد للباب ويجلس .. يحدق شارد الذهن في العربة وشعور عجيب مقبض يقتحم صدره ويلف كيانه كله ..

الخطأ الذي فعله كان فوق أي تصور وعليه الآن أن يدفع ثمنه .. ما كان له أن يتوغل في تلك العلاقة مع ميرنا ، وما كان له أن يخون ثقة رؤسائه به ..المترو يهدأ من سرعة ويفتح الباب يدخل فتى وفتاة في مقتبل العمر وخلفهما رجل ضخم الجثة أسود البشرة .. وقفا الفتى والفتاة يتحدثان قرب الباب وهو يغلق وينطلق المترو مرة أخرى، بينما جلس الرجل الضخم في مقابلته .. شعر بالخوف وهو ينظر في عيني الرجل المحدقتين للأمام .. شيء في عين الرجل أخافه بشدة ولم يعرف السبب، ربما بسبب ضخامة جسده، وتلك النظرة المتنمرة جعلته يشعر بخوف لا حدود له .. راح يزحزح جسده ليصل إلى نهاية المقعد الشاغر وعيناه مسلطتان على الرجل الذي لم يبرح مكانه منذ جلس للحظة .. ثلاث محطات ويصل إلى وجهته .. سيكون يقظًا فهو لا يعرف ما الذي يدور بالضبط، فقد يكون قد وصل إليه .. من الجلي أن ديفيد وعمر لا يعملان وحدهما .. هناك من يساعدهم .. اختفاء ميرنا الغامض يقول هذا بالإضافة لمقتل جوليان ..

لا شيء مطمئن هذه الأيام .. قالها لنفسه وهو يسمع صوت عجلات المترو التي تجلد القضبان بشدة .. محطة أخرى تمر .. يحاول أن يحافظ على تركيزه

.. الفتى والفتاة مستمران في الضحك والمغازلة مستغلين خلو المترو من الركاب .. كم بدا له منظرهما رائعًا .. إنهما يشهان علاقته بميرنا في البداية ..

ميرنا قالت له إن عمر يخصص غرفة في الشقة لا يدخلها أحد غيره، وعندما سمعت حديثه مع ديفيد .. حاولت التنصت عليه وهو بالداخل ، وكادت تقسم أنها سمعت أصوات أفزعتها وكأنها أصوات صادرة من عمق الجحيم .. شيء في هذه الغرفة مزعج وغير مفهوم .. شيء يخيفها بشدة .. هذا المصري الذي أحبته وقررت الارتباط به تغير كثيرًا، هذا ما أخذت تؤكده له .. ولكنه لم يجد دليلاً على كلامها، وعندما سألت عمر عن تلك الأصوات العجيبة .. تهرب من الإجابة عنها وقال ربما كان صوت التلفاز بالغرفة .. خافت أن تلح في السؤال لتثير شكوكه .. ولكن نظرة في عينيه أدركت منها أنه يعرف كل ما يدور بداخلها، بل كادت تجزم أنه يقرأ أفكارها بصورة أو بأخرى .. فهو يمد يده لينادلها تقريبًا كأسا كانت ترغب في تناوله .. يفتح تلفزيون الردهة حينما تفكر هي أن تمد يدها لتلتقط ريموت التلفاز .. الأصعب من هذا والذي أكد أن به شيء غير طبيعي هي مباريات الكرة التي كانت يتابعها والتي كان يتوقع فيها عدد الأهداف ومن يسجلها، بل بلغت دقة توقعاته إلى أنه أصبح يحدد الدقيقة التي يدخل فيها الهدف ..قالت إنه وصل لدرجة قراءة المستقبل وهذا ما رفض هو تصديقه ، وقال إن ميرنا تبالغ كثيرًا في الأمر .. خيالها أصبح جامحًا للغاية بسبب انكشاف علاقتهما .

مرت محطة مترو أخرى ولم يزل الرجل الضخم أو يغادر موقعه .. والفتاة والفتى واقفان كما هما بجوار الباب يتحاوران في همس وتنطلق ضحكاتهما كل فترة ..

محطة أخرى ويزل هو ..سيترك كل الأفكار السيئة خلفه ، وكل هواجس ميرنا العجيبة .. دقائق قليلة وسيفتح باب المترو .. وقف واتجه إلى الباب .. انتبه الفتى والفتاة لقربه منهما فأعطياه ظهريهما وراحا يتكلمان في همس مليء بالحب .

أخيرا سمع صوت الباب يفتح ، فغادر مسرعًا.. نزل خلف بعض الركاب، لم ينظر للخلف ليرى إذا كان الرجل الضخم ذو البشرة السوداء نزل خلفه أم لا .. الهدوء يسود المحطة وهو يتجه إلى باب الخروج .. بعد دقيقة كان خارج المحطة، راح يتنفس بعمق وهو ينظر للسماء فوقه يسحبها الرمادية ..والنجوم التي اختفت تقريبًا .. كان هناك رذاذ مطر خفيف يتحول إلى ثلج بمجرد أن يلمس الأرض .. راحت خطواته تسرع وهو يقطع ممرًا مظلمًا بين عمارتين ، لقد سمع خطواتهما خلفه .. وقع الأقدام يصل إلى مسامعه .. يسرع في المشي .. والخطوات تقترب .. فجأة وجدهما أمامه على بعد أمتار .. شبحان يظهران في نهاية الممشى .. شحب وجهه بشدة وهو يتراجع للخلف .. اصطدم في تراجعه بالرجل ذي البشرة السوداء .. الذي قال له باستغراب :

- ماذا تريد ؟!

لم يكمل الرجل الجملة حتى كانا الشبحان يظهران أمامه واضحان أنهما الفتى والفتاة اللذان كانا يركبان معه المترو منذ دقائق..كيف قطعا تلك الأمتار في ثانية واحدة تقريبًا ..

لم يستطع هوفمان أن ينطق بسؤاله وهو يرى تلك المخالب التي امتدت إليه من يد الفتاة وهو يتراجع للخلف، في حين كانت ابتسامة مقيتة تنطلق من بين شفتي الفتى الذي برز له نابان واضحان يلمعان أمام عينيه.. بينما

استجمع الرجل ذو البشرة السوداء قوته وهو يرى تلك الأنياب القاتلة في اتجاهه، فدفع هوفمان جانبا وهو يضرب الفتاة بكل قوته .. ولكن الفتاة لم تتراجع سوى خطوة وعاودت الهجوم .. هوفمان لا يصدق ما يراه .. اللعنة هل هذه لعبة ما ؟!

الفتى الذي اقترب من الرجل ذي البشرة السوداء كان قويًا بالفعل فقد ضرب الرجل في صدره بيده فطار الرجل عدة أمتار واصطدم بالحائط .. ولكن الرجل وكأنما أثاره الأمر فوقف في قوة وهاجم الاثنين - الفتى والفتاة - في هذه اللحظة كان هوفمان قرر الهرب .. فراح يجري بكل طاقته وكأن كل شياطين الجن والأنس تطارده .. سمع صوت تلك الحشرجة العجيبة قبل أن يسمع صوت الرجل صارخًا بعنف وألم بلا حدود .. فالتفت للخلف وألقى نظرة أخيرة .. واتسعت عيناه رعبًا فأخر ما وصل لعينيه وهو ينحرف خارجًا من الممر المظلم هو جسد الرجل المسجى على الأرض وفوقه الفتى وقد مد يده في صدر الرجل وأخرج قلب الرجل بين يديه وراح ينهش فيه ..

لم يعرف هوفمان كم شارع قطعه وهو يجري .. ولكنه في النهاية وجد نفسه على باب الفندق فدخل مسرعًا وأنفاسه لاهثة .. تطلع له عامل الاستقبال بدهشة بالغة وهو يسأله :

- سيد هوفمان شكلك مرعب .. ماذا أصابك ؟

قال هوفمان بعد وهلة من وسط أنفاسه المضطربة :

- هاجمني لصان .

لصان .. بلدتنا هادئة ونادر أن يحدث هذا فيها ، هل تعرف أوصافهما .. يجب أن نبلغ الشرطة .

هز هوفمان كتفه وهو يقول بصوت لاهث :

كلاّ .. لقد انتهى الأمر .. لا أريد أن أضيع وقتي في أقسام الشرطة والتعرف على المجرمين .. مفتاح غرفتي لو سمحت.

ناوله عامل الاستقبال مفتاح الغرفة وهو يومئ برأسه متفهمًا .. اتجه هوفمان للمصعد وهو لا يصدق ما رآه .. هل خوفه صور له تلك الخيالات المميتة . بالتأكيد كلاّ .. أنه متأكد مما رأى . لقد طار الرجل الضخم بدفعة واحدة من يد فتى نحيف الجسد ..تلك الصورة المرعبة للفتى وهو يحمل قلب الرجل بين يديه غارقًا في الدماء لم يفارق ذهنه لثانية .

أغلق باب المصعد فلم يلاحظ تلك الابتسامة الغامضة التي ارتسمت على شفتي عامل الاستقبال .. ابتسامة لو رآها هوفمان لكان الفندق أخر مكان يفكر في اللجوء إليه الآن..

ضحك فتحي بشدة عندما أعلنت اللعبة انتهاء المرحلة وتحولت الأيقونة للأحمر كالمعتاد .. أغلق شاشة الكمبيوتر المحمول بعنف شديد .. وهو يجز على أسنانه ..

هذا الجهاز سوف يصيبه حقًا بالجنون .. مصاصي دماء !!

الأمر مضحك بالفعل أنه لن يصدق هذا الجهاز مرة أخرى .. ولكنه سيكمل اللعبة للنهاية .. ليعرف إلى أين تقوده في النهاية .

فرد فتحي جسده على فراشه ، وتعلقت عيناه بالسقف فوقه الذي تحول للون أسود التصق به خفاش ضخم للغاية ، ورأى الفك المفتوح ينقض عليه .. ويلف أجنحته حول جسده ليعتصرها ..

فأغمض عينيه وغاص في سبات عميق .

****

قبو مظلم شديد البرودة ..باب خشبي يفتح .. صوت أقدام تهبط الدرج لأسفل .. شخص طويل بعينين متقدتين بقوة . جسد ميرنا مسجى على نضد طويل مكتفة اليدين والقدمين .. تحاول أن تحرر نفسها دون جدوى وكان واضحًا أنها استعادت الوعي منذ فترة .. وظل ذهنه مشغولا بآلاف الأفكار المدمرة ..

لم يدر بخلدها قطّ يوم أن تعرفت على عمر أن تكون تلك نهاية علاقتهما في أبشع كوابيسها .

إنها تحاول الفهم .. عمر الذي رأته وتسمع صوت خطواته الهابطة الآن ليس هو الشخص الذي ارتبطت به بالتأكيد ..

كأنه تحول لشخص آخر أو أنه ممسوس ويسكنه شيطان رهيب .

علاقتها مع هوفمان كانت خطأ من البداية، كان يجب أن تنتبه إلى أن هذا المصري الذي ارتبطت به أنفا مختلف .

كان عمر قد نزل إلى القبو، وقف بجوارها، تطلع إليها وهو يرى أنها استعادت الوعي، وابتسم ابتسامة مقيتة غريبة جدًا، وهو يقترب من وجهها قائلاً :

- لا تقلقي عزيزتي ميرنا سينتهي كل شيء قريبًا وبأسرع مما تتخيلين .

لم تكن تفهم عن ماذا يتحدث، ولكن عينيه المتقدتين بالشر المتطلعتين إليها جعلتا قلبها يرتجف في رعب وهي تقول في خفوت :

- أرجوك يا عمر .. أطلق سراحي وسأكون طوع بنانك .. فك قيود يدي أنها تؤلمني حقًا .

قال عمر وهو يميل على أذنها هامسًا في صوت شيطاني :

- وهل خيانتك لعمر لم تؤلمك أو تؤلمه .. أنك خائنة عزيزتي وجاء وقت تسديد الحساب .

استغربت ميرنا وامتقع وجهها وهي تسمعه يتكلم عن نفسه وكأنه يتكلم عن شخص آخر فقالت بتوسل شديد :

- عمر .. أرجوك لا تفعل هذا بي .. إنني ميرنا حبيبتك أنسيت؟ .. أنسيت يوم اعترافي لك بحبي وأنني لن أستطيع أن أعيش دون قربك مني .. أنسيت رحلتنا الأخيرة لأوربا وكم كنت شغوفة أن أرضيك بكل الطرق .. أنسيت ميرنا حبيبتك؟

انطلقت ضحكة مرتفعة من بين شفتي عمر وهو يبتعد عنها متجهًا إلى نهاية القبو؛ ليضغط زرًا بجوار أحد الأعمدة .. فينتشر ضوء شديد في القبو، وكأن هناك مئات لمبات النيون اشتعلت فوق رأسها .. أية إضاءة هذه ؟!

ثم اقترب منها، وهي تغمض عينيها قائلاً :

- سأرسلك يا عزيزتي في رحلة أكثر إمتاعًا .. رحلة لن تنسيها أبدًا .

راحت تحاول أن تفتح عينيها؛ لتعتاد على الإضاءة القوية .. كان عمر يعدل من وضعها على النضد قبل أن يحملها كطفلة صغيرة وهي مقيدة ويضعها على كرسي معدني .. شبيه بكراسي الإعدام الكهربائي .. راحت تتطلع للقبو من جديد وسط الإضاءة القوية ومساحة الرؤية الجديدة التي لم تكن ممنوحة لها من قبل .. زاد استغرابها وجف حلقها وهي ترى تلك الجماجم البشرية الموضوعة على طاولة بعيدة .. وتلك الثلاجة الضخمة التي كانت مليئة بأوان زجاجية تحوي أجزاء بشرية في محلول من نوع ما .. بدت أنها أعضاء بشرية حقًا.. أي جنون هذا ؟!

إنها ترى كف مقطوع في مرطبان زجاجي ..ورأس مقطوعة بعينين مقتلعتين من مكانهما موضوعة في إناء ضخم .. وعدد آخر من الأواني تحمل ما يشبه أمخاخ بشرية محفوظة .. إنها شبه متأكد من هذا .. هذه أمخاخ بشر، لقد رأت شيئًا كهذا في أفلام الرعب التي كانت مغرمة بها .إذا مرت من هذه التجربة القاسية وخرجت سليمة ستقسم أنها لن تشاهد أيًا من هذه الأفلام مرة أخرى .

أي شيطان هذا الذي يجلس قبالتها على كهذا كمبيوتر محمول .. هل هذا عمر حبيبها ؟! مستحيل !

شهقت بعنف ودموعها راحت تنحدر على وجنتها وهي تجهش بالبكاء ، لم تكن بكاءة في يوم من الأيام وكانت تظن أنها قوية .. راح قلبها يرتجف بخوف ورعب وعمر يقترب منها وفي يده عده أقطاب عجيبة الشكل يقربها من رأسها .. راحت تهزّ رأسها في عنف رافض وهو يوصل الأقطاب العجيبة إلى رأسها .. ويقول باسمًا :

- لا تقلقي عزيزتي كما قلت لك .. ستكون رحلة ممتعة لك .. إنها تجربة جديدة ستساعدين حبيبك فيها، ولا أظن أنك تبخلين عليّ بمساعدتك .. لقد حانت الوقت لمعركة العلم أن تنتصر .. توقفي عن هزّ رأسك فلن يفيدك هذا بشيء ..

لم تستطع أن تنبس بحرف، وكأنها ابتلعت لسانها، ولكنها راحت تصرخ بعنف ورعب .. وهو لا يعبئ بها ولا بصرخاتها المرتفعة، كان قد قارب عن الانتهاء مما يفعله برأسه، وهدأت صرخاتها وهي تنظر إليه، وهو يعود لمقعده أمام جهاز الكمبيوتر المحمول ويضغط أزرار الكيبورد بسرعة .

شعرت .. تكاد تقول إنها شعرت بالنهاية قريبة جدًا .. تيار كهربائي شديد القوة يضرب عقلها .. ارتجف جسدها وانتفض بالكامل على المقعد المعدني .. كان الألم لا يطاق .. ألم يفوق أي تصور بشري، وكأن هناك من ينشر عقلها وجسدها بمنشار كهربائي وهي واعية لكل هذا .. وارتفعت صوت اصطكاك أسنانها ببعض بعنف شديد.. الألم يزداد كل ثانية وعيناها تكادان أن تغادر مكانهما تساقط رأسها على صدرها.. ثم فقدت الوعي .

اقترب عمر منها وراح يتحسس نبضها.. وتطلع إلى جهازه الذي ارتسمت عليه إشارات تشبه الإشارات التي نراها على شاشة مراقبة العمليات الحيوية الذي يكون ملحقًا بجهاز التخدير في العمليات ..

كانت الإشارات تقول إن نبضات قلبها تتسارع بدرجة تفوق أي احتمال بشري.

ابتسم عمر وهو يراقب الإشارات وبدا مرتاحًا وهو يلتقط صورة لوجه ميرنا في تلك اللحظة وقد ارتسم عليه أقصى علامات الألم والرعب ..

لقد أرسل عقلها لهناك .. لذاك البعد الأخير .. سترى ما لم يره بشر من قبل قطّ . سترى عالم فريد وعجيب ..

وعندما تفيق بعد ساعات سيكون جهازه قد سجل رحلتها بالكامل خلال نبضات خاصة تحولها إلى صور ومشاهد ..الرهان الآن هل سيستوعب عقلها الرحلة العجيبة ويعود بطبيعته، هذا أمر يختلف من شخص لآخر وغير مؤكد بالنسبة لعمر الذي عاد إلى جهازه، وراح يكتب أشياء عديدة مختلفة، وهو يتأكد أنه يتلقى تلك النبضات الخاصة من عقل ميرنا وكذلك النبضات المنبعثة من عمق الفضاء عبر شريحته الإلكترونية الفريدة المزروعة في القمر الصناعي ..

وبدا سعيدًا حتى هذه اللحظة ..

سعادة قاتل بشع، وعالم مجنون ..

******

ممر المستشفى المضيء في ليلة شتوية .. أوليجا قد خرجت من العمليات منذ قليل .. حالتها ليست مستقرة بعد . قد تعيش كما قال الأطباء إذا مرت عليها ٧٢ ساعة ..

كان هناك شبح لشخص يقترب من غرفتها بعدما سأل الممرضة وأخبرته بخروجها منذ قليل .. هناك ضابط شرطة جاء وأخذ الأقوال من عمر، فأخبره أن ثمة شخصًا هاجمهما بغرض السرقة وفر.. طلب الضابط بعد أن بمر الأمر بخير أن يأتي عمر لمركز الشرطة لإكمال التحقيق وعرض بعض الصور للمشتبهين فقد يتعرف على المهاجم .

هزّ عمر رأسه وقتها والضابط ينسحب منصرفًا ..

وقف عمر أمام الزجاج الخارجي لغرفته في الممر.. كان جسد أوليجا مسجى على الفراش وبدت منكمشة ضعيفة . أدار مقبض الباب ببطء ودخل .. وقف بجوار الفراش.. يتطلع للجسد الذي كان يفيض حرارة منذ ساعات .. كان هناك عدة خراطيم ممتدة من الجسد متصلة بجهاز ضخم بجوارها ، شاشة مراقبة العلامات الحيوية تعلن إشارتها أن الحالة مستقرة وإنها ما زالت على قيد الحياة .

منذ عدة شهور ارتبط بأوليجا .. تلك الفتاة الموهومة والمصدقة للسحر وأنها ساحرة .. ولكن سحرها كان من نوع آخر .. سحر خلب لبه واستولى على قلبه . كانت شعلة من الحماس نادرًا ما تتوقف عن الحركة .. الآن هي بين الحياة

والموت وكله بسبب شخص مجنون يظن نفسه ساحرًا .. لماذا طاوعها وذهب معها إلى هذه الحفلة .. كان باستطاعته الرفض كما كان يفعل دائمًا.

يتطلع إلى وجهها، يرى اهتزاز جفنها وهو يمسك يدها في دفء .. أنها تشعر بوجوده هذا مؤكد .. حضن يدها وهو يضع قبلة على جبينها قائلاً في وله عاشق :

- عزيزتي .. قاومي الموت .. لا تتركيه يهزمك .. أنت قوية كفاية لأن تقاوميه .. لا تتركيني الآن .. لن أتحمل مثل هذه الضربة من الحياة .. أرجوكِ ظلي معي .. أرجوك.

لمعت الدموع في عينيه، كان الموقف عاطفيًا ودراميًا يشبه المشاهد الدرامية في الأفلام القديمة .. البطل وجهه قريب من رأس البطلة يدعوها أن تتمسك بالحياة بعد حادثة ، فتعود من أجل سواد عينيه للحياة . ولكن في الواقع الأمر كثيرًا ما يكون مختلفًا . فلم ترد أوليجا أو تفتح عينها .. بل ظل جسدها ثابتًا بلا حراك في الفراش، والجهاز ينقل نبضات قلبها الضعيفة .

لم يعرف عمر كيف غفا وهو يمسك يد أوليجا بعد سهره بجوارها لساعات .. ولكنه كان هناك في عالم الأحلام والكوابيس حيث يختفي المنطق . أوليجا ترتدي ثوبًا أبيض طويلاً بأكمام طويلة .. وعيناها تتطلعان إليه وهو يقف ناظرًا إليها من بعيد .. يشعر بالفراغ حوله .. إنه فراغ الأحلام .. عيناها مثبتتان على وجهه المبتسم وهي تقترب .. يقولون إن في حالة الاقتراب من الموت يكون الشخص أقرب ما يكون إلى حالة الشفافية الروحية .. هل تحاول أن توصل إليه أوليجا رسالة ما .. اقتربتْ أكثر، أخذ يقطع الفراغ

تجاهها .. بعد وهلة كان يقف أمامها ويحتضن يديها في لهفة وشوق وهو يقول:

- أأنتِ بخير ؟

يأتي صوتها إلى عقله دون أن تحرك شفتها تقريبًا :

- إنني بخير .. لم أكن في أحسن حال من وضعي الآن من قبل .. اسمعني جيدًا لا وقت أمامي كثير .. أنني أفهم الآن لماذا أراد إبراهام قتلك .. كنت أظنه ساحرًا مجنونا آخر ولكنني الآن أعرف الحقيقة كاملة .. أنه رأى المستقبل كما لم تره أنت أو أنا .. الجهاز الذي أخترعه وتعمل عليه الآن سيفتح البوابة الأخيرة .. أرجوك لا تفعلها .. عاود التفكير في الأمر .. تلك الرحلة التي كنت تقوم بها إلى ذلك العالم الغريب أثرت عليك .. كانت حقيقة ولم تكن خيالاً .أنت لا تفهم كيف تحقق هذا بهذه الصورة التي أبهرتك ..لكنك صرت شخصين لا يعرفان بعض تقريبًا .. عمر .. الأمر يشبه حالة الفصام والانفصال الكامل عن شخصيتك .. أنني رأيتك هناك وسط كل هذه الشياطين تقف مكبلاً بالقيود وهم حولك فرحين .. حاول أن تنهي كل شيء .. ربما لن تتذكر كلماتي تلك وتظن الأمر حلمًا وتنساه هذا ما يعتمدون عليه. لا تجعل الشخص الآخر يسيطر عليك . انتصر للحق وللإنسانية .. حطم كل شيء قبل أن تندم .. ستجد في كتب السحر التي امتلكها في بيتي الريفي كل ما يساعدك .. أرجوك فكر في الأمر فقد تكون النهاية للجميع ..

حاول عمر أن ينطق بحرف ولكنه لم يستطع ، وران صمت عجيب في ذلك الفراغ .. بينما راحت صورة أوليجا تهتز وتتراقص أما عينيه وتختفي .. أراد أن يصرخ عودي .. أرجوكِ ، ولكنه لم يستطع .

شعر عمر بعرق غزير يتسلل من بين مسام جلده برغم برودة الجو .. وجسده ينتفض قبل أن يفيق على صوت مؤلم من الجهاز الموجود بجانب الفراش يعلن رحيلها عن عالم الأحياء .. صرخ في عنف .. بعد وهلة كان هناك طبيب وثلاث من الممرضات يقتحمان الغرفة في سرعة .. أبعده الطبيب عن الفراش وراح يستعمل جهاز الصدمات الكهربائية لإنعاش القلب في محاولة أخيرة لاستعادة أوليجا . راحوا يوصلون جهاز الصدمات مرة أخرى بصدرها ويمررون التيار الكهربائي، ولكن شاشة مراقبة العلامات الحيوية كانت تعطي إشاراتها مع كل محاولة أن أوليجا قد قررت المغادرة وللأبد .

اغرورقت عينا عمر بالدموع والطبيب يحاول للمرة الأخيرة .. قبل أن يغطي وجه أوليجا معلنًا أنها غادرت الحياة ويسجل ساعة الوفاة ..

راح جسد عمر ينكمش وهو يسقط على الأرض بجوار الباب حاضنًا ركبتيه بيديه، دافنًا وجهه بينهما وهو يجهش بالبكاء وبشدة .

الممرضات واقفات يتأملن تلك الحالة من الوفاء بين محبوب ومحبوبته في حزن انطلق من أعينهن .

انسحبت الممرضات بإشارة من يد الطبيب الذي اقترب من عمر وراح يرفع جسده من على الأرض وهو يتمتم بعبارة مواساة .

هبّ عمر واقفا بعد لحظات .. وهو يزيح الطبيب جانبًا .. ويجري خارج الغرفة .. راح يقطع ممرات المستشفى جريا للخارج ..

بعد لحظات كان يقف خارج المستشفى يتطلع للسماء فوقه، وهو يصرخ في ألم بلا حدود .. ألم يفوق أي تصور ..

وهناك في عقله كان يشعر أن أوليجا ما زالت هناك بداخله تقول شيئًا ما ..

ولكنه لم يعد يسمع سوى صدى صرخاته التي تمزق نياط القلوب .

****

لم يصدق هوفمان ما رآه وهو يفتح باب غرفته في الفندق ويدخل ..كان جسده ما زال يرتجف بشدة .. دخل الحمام مسرعا أفرغ مثانته . وعاد ليقف في وسط الغرفة متلفتًا حوله .

الغرفة هادئة للغاية لا صوت سوى صوت أنفاسه المضطربة .. من أين يأتي هذا الصقيع ..شرفة الغرفة مفتوحة على اتساعها والهواء البارد يتسرب بشدة للداخل ..أنه لا يتذكر أنه فتح الشرفة قبل دخوله للحمام .. تطلع ووجهه ممتقع لكل شيء حوله، لا شيء زائد على الغرفة .. ولا أحد غيره بالداخل . اتجه إلى الشرفة وألقى نظرة على الخارج .. السيارات تقطع الطريق أسفل الشرفة ككل يوم ..أغلق باب الشرفة .. وتأكد من إغلاق باب الغرفة بالمفتاح من الداخل .. كان يحتاج للنوم بشدة بعد هذه الليلة الطويلة.

ارتمى على الفراش .. وراح يتقلب في الفراش قبل أن يغطي نفسه ويحاول النوم .. ما هذه اللوحة فوق العمود المواجه لعينيه .. أنه لم يرها من قبل بالتأكيد لم يلاحظ وجودها عندما أجر الغرفة .. الوهم يسيطر على عقله ..

أخذ يتطلع للوحة كانت صورة لشخص قوي يحمل بلطة ضخمة وأسفل قدميه كان هناك كلب يقف على ساقيه الخلفيتين واضعًا ساقيه الأماميتين على صدر الرجل ، بينما رأسه ملتفة في وضع غريب وكأنها معكوسة .. المدهش في الأمر أن من رسم اللوحة أعطى للوجه شكل وجه آدمي مرعب ..وفي أعلى الصورة كانت هناك مجموعة من الخفافيش تطير.. رؤوسها أقرب لمنقار طائر بحري ضخم ..

من المجنون الذي يرسم لوحة كهذه ويضعها في فندق ..لم يطل تساؤله كثيرًا فقد انتصر تعب جسده على تفكيره في الأمر وذهب في النوم .

لم يعرف متي شعر برفيف الأجنحة قرب وجهه ولكنه قام مفزوعًا .. اقشعر جسده.. ففوق رأسه مباشرة كانت هناك خفافيش بمناقير حادة تهاجمه ..رمى المخدة جانبًا وهو يقفز من السرير ويضرب بيديه في كل اتجاه ..على باب الغرفة لمحه واقفًا .. الرجل الضخم ببلطته الحادة ، كاد قلبه يتوقف وهو يرى ذلك الكلب ذا الوجه الآدمي يتطلع إليه بعينين تشعان شررًا .. كان باب الحمام أقرب شيء إليه؛ فاتجه إليه مسرعًا وهو ينظر للخلف .. كان الكلب يسير بطريقة عكسية في اتجاهه .. لم يكن قد وصل إلى باب الحمام عندما رأى الكلب يقطع عليه الطريق .. الخفافيش توقفت عن مهاجمته.. بينما راح الرجل الضخم ببلطته يتجه إليه .. متى سينتهي هذا الكابوس لا بد أنه يحلم .. بالتأكيد اللوحة أثرت عليه ..

الرجل يقترب بخطوات هادئة، بينما الكلب بوجهه البشري يقترب، وينظر إليه بعينين آدميتين لامعتين ميتيين..بدأ يتراجع .. الخوف يقتله.. ظهره يخبط بالشرفة .. يفتح بابها بسرعة ويتطلع للإفريز ..لا يعرف كيف أصبح يقف فوق

الإفريز .. والهواء البارد يضرب ظهره .. أي حلم هذا الذي يشعر فيه بهذا الصقيع .. الرجل على بعد ثلاث خطوات تقريبًا منه .. يمشي بمنتهي البطئ .. الخفافيش تخرج من الشرفة المفتوحة، وبمناقيرها الحادة تضرب جسده من الخارج .. شعر بألم حاد في ظهره.. راح يلوح بيده اليسرى وهو يحافظ على اتزانه ممسكًا بيده اليمنى حافة الشرفة.. المسافة أسفله بعيدة للغاية .. الرجل يقف ويرفع بلطته لأعلى يصرخ وهو يضع يده أمام وجهه .. يشعر بالمخالب تمسكه من ملابسه من الخلف وتسحبه بقوة .. ولا يستطيع أن ينطق ..

إنه الآن محمول من منامته وجسده يطفو خارج الإفريز.. لا يستطيع أن يتخيل المشهد وهو مفرود الجسد، وكأنه يسبح في الهواء يحمله مئات الخفافيش التي انطلقت من اللوحة اللعينة .. الخفافيش تهبط بحملها لتضع رأسه على حافة الشرفة .. بينما يلعق الكلب بلسان بشري وجهه، وهو يبتسم ابتسامة عجيبة، والبلطة تهوي نحو عنقه؛ لتضع نهاية لذاك الكابوس المرعب ..

لماذا فكر في ميرنا الآن وعلاقتهما وشغفه بها وتذكر كل كلامها لثانية ..لم يدرك ما شعر به في هذه اللحظة .. بدا له وكأن الزمن يتوقف .. لأنه بالفعل كان قد فارق الحياة وجسده يهوي من ارتفاع شاهق، ونفورة دماء تنبثق في الهواء، ولكن جسده لم يصل للأرض قط فالخفافيش حملت جسدًا بلا رأس وراحت تطير بعيدًا في اتجاه الغرب قبل أن تختفي بحملها .. بينما ترتمي رأسه متدحرجة داخل الغرفة أسفل قدمي الرجل الذي تلوثت بلطته بالدماء حمل الرجل الرأس في جوال وراء ظهره ولمعت عيناه بشدة ..

ثم اختفي كل شيء كما ظهر فجأة .

لم يعرف فتحي متى توقف عن التحديق في الشاشة التي أظلمت أمامه قبل أن تعود لتضيء وتظهر له الأيقونة الخاصة باللعبة بلونها الأحمر الذي يقول إن اللعبة في انتظاره لتحميل جزء آخر..

جزء بلون الدماء لو استمرت اللعبة بهذه الوحشية العجيبة ..

وكان عليه الانتظار..

****

الساعة الحادية عشر ليلاً . فتحي يقطع شوارع القاهرة بدراجته النارية .. لقد عاد للعمل اليوم بعد انقطاع عدة أسابيع ..

عندما دخل المطعم اليوم استقبله الجميع مرحبين .. كان هناك كاشير آخر يجلس مكان كريم الكاشير السابق .. لم يكن كريم من النوع الذي يتغيب عن العمل .. هل ترك المطعم .. سؤال لم يسأله فتحي في البداية .. ولكن بعد عدة دقائق ومع أول أوردر يستلمه من الكاشير الجديد الذي عرف أن اسمه رأفت ..جاءته إجابة أذهلته لقد هاجم كريم شخص ما منذ فترة وهو عائد إلى بيته .. وهو يقبع الآن في المستشفى العام بعد ما تلقى عدة طعنات من سكين كادت تؤدي بحياته .

الغريب أن كريم لا يتكلم عن الأمر عندما سألوه في تحقيقات النيابة قال : إنه لم ير أي شيء، فقد كانت ليلة مظلمة ولم يشعر سوى بالسكين ينغرس في لحمه .. ولم ير المهاجم بصورة واضحة، خيل إليه أن من هاجمه شبح يرتدي ملابس شديدة السواد .

سأل فتحي بعدها عن حركة العمل والزبائن، ووجد نفسه مضطرًا للسؤال عن الأستاذ وجيه .. قالوا إنه لم يعد يطلب الطلب المعتاد كل يوم ..

قرر فتحي أن يوصل الطلب للأستاذ وجيه اليوم كان يشعر أنه كان ينتظر عودته للعمل ليعود لعادته.. فقد كان هناك عدد كبير من الأسئلة بداخله تحتاج لإجابات .. أولها هل بالفعل ماتت صديقة لزوجته عندما سقطت في فراغ مصعد العمارة ..

سيحاول ألاّ يتطرق إلى خيانته لزوجته .. ولكن في نفس الوقت كان فتحي يريد دليلاً أن ما تنقله اللعب حقيقة . وإذا لم تكن هناك حادثة حدثت بالفعل، فستكون اللعبة مجرد لعبة وضعها شخص شاذ التفكير. قد يكون عمر ابنه نفسه . أسئلة .وأسئلة وحان الوقت ليعرف بعض الإجابات.. لذلك نرى فتحي يطلق العنان لدراجته النارية بعد أن أوصل أحد الطلبات . عائدًا في اتجاه المطعم ..

أوقف الدراجة أمام المطعم ودخل فقابله رأفت الكاشير الجديد بطلب آخر يصله لعنوان في مدينة نصر..

اللعنة في هذه الحالة قد لا يعود قبل أن يطلب الأستاذ وجيه طلبه .. لم يكمل عمر إقساط الجهاز كما اتفق مع الأستاذ وجيه . الحوادث المتتابعة التي راحت تطارده ، ومرضه وغيابه عن العمل أخر الأمر .. ولكنه في نفس الوقت يدرك أن الأمر بكامله كان دعابة من الرجل له ، ولم يعتب عليه الأستاذ وجيه من أجل هذا .. على باب المطعم وهو مغادر لمح أحد زملاء العمل يدخل بدراجته البخارية ليركنها أمام المحل .. فاقترب منه وسلم له الطلب الجديد وهو يترجاه أن يذهب بدلا منه، ودفع في يده جزء من بقشيش الطلب السابق، فابتسم زميل العمل وأخذ الطلب وانطلق ولكن عليه أن يخبر الكاشير رأفت بذهابه مكانه . فهزّ فتحي رأسه وصوت هدير محرك الدراجة الخاصة بزميله يصل إلى مسمعه وهو يعدها للانطلاق .

أخيرًا اقتربت الساعة من الثانية عشر ليلاً .. عقرب الدقائق يقترب من عقرب الساعات أمام عينيه في ساعة الحائط الموجودة بداخل المطعم .. رنين الهاتف يرتفع .. أنه الأستاذ وجيه .. الطلب المعتاد من جديد.

دقائق تمر ببطء على فتحي أثناء تجهيز الطلب .. وأخيرًا يتم تجهيز الطلب، فينطلق فتحي بدراجته النارية بسرعة عالية تاركًا كل شيء خلفه، هدفه الآن الوصول إلى الأستاذ وجيه .. الشوارع تبدو لا نهائية، والطريق يبدو لعينيه أنه لن ينتهي ، ولكنه يواصل زيادة سرعته مغازلا السيارات والمارة .. تساءل لماذا لم يذهب للأستاذ وجيه من قبل، ولماذا يصر أن يكون ذهابه إليه كعامل دليفري ؟! ولم يجد إجابة .

يركن دراجته أمام عمارة الأستاذ وجيه ويصعد الدرج مسرعًا .. ينظر ليده الفارغة فيكتشف أنه ترك الطلب في الدراجة بالأسفل .. فينزل السلالم بسرعة مرة أخرى ..ويأتي بالطلب ويعود ليصعد بسرعة وهو يلعن شرود ذهنه .

يرن الجرس .. يسمع صوت حركة وجيه في الداخل .. يفتح الباب فيرى الرجل في بذلته المعتادة .. الرجل بالفعل مصاب بمرض نفسي يجهز نفسه كل ليلة ليتناول العشاء مع شبحين .

يبتسم فتحي في وجه الأستاذ وجيه الذي يقول مرحبًا :

- أين كنت .. لقد سألت عليك أكثر من مرة وقالوا مريض .

يمد فتحي يده بالطلب وهو يقول :

- أشكر حضرتك .. بالفعل كنت مريضًا لفترة .

يداعب الأستاذ وجيه أرنبة أنفه بيده وهو يقول :

- ادخل ..تفضل.. تستطيع أن تضع ما بيدك على المائدة هناك .. ثوان سأجلب لك النقود .

يقول فتحي وهو يمسك يد الأستاذ وجيه قائلاً :

- الطلب مدفوع .. أنسيت اتفقنا يوم أن أعطيتني الكمبيوتر المحمول الخاص بابنك .

يضحك الأستاذ وجيه قائلاً :

- أما زلت متذكرًا .. المهم هل يعمل الجهاز معك بصورة جيدة ؟

يقول فتحي في هدوء مستريب :

- الحقيقة هذا ما جئت لأسأل حضرتك عنه ..

بدا الاستغراب واضحًا على وجه الأستاذ وجيه :

- تسألني في ماذا ؟ هل سرق منك الجهاز .. اجلس ..

جلس فتحي على أقرب مقعد وهو يقول :

- كلاّ لم يسرق بالطبع .. عليك أن تسمعني فالأمر بالفعل محير وعجيب .. أنني لا أستطيع أن أشرح لك كل شيء الآن ، وستبدو أسئلتي غريبة لحضرتك .. ولكن أرجوك لا تبخل بالإجابة مهما كانت .هل تعدني بذلك ؟

تقطب وجه الأستاذ وجيه وهو يقول بدهشة :

- إني لا أفهم أي شيء ! ما الذي تريده تحديدًا .

قال فتحي وهو يتطلع لعينيه وتقطيبة وجهه :

- إجابات .. أحتاج إجابات لأشياء كثيرة أظن معظمها عندك .

داعب الأستاذ وجيه شفتيه بلسانه وهو يقول ذاهلاً :

- إجابات !!..سل ما بدا لك.. وإذا كنت أملك الإجابة سوف أجيبك ..أعتبره وعدًا برغم أنني لا أفهم شيئا حقًا .. لكن لي رجاء أن تسأل أسئلتك كلها مرة واحدة وإن كان لدي إجابة سأجيبك بكل تأكيد .

بلع فتحي ريقه قبل أن يقول وكأنه وكيل نيابة محترف :

- هل ماتت صديقة لزوجتك هنا ؟ أقصد في العمارة عندما سقطت في فراغ المصعد ..هل كانت هناك علاقة من أي نوع تربطك بهذه الصديقة ؟ هل كان عمر ابنك يعرف ؟ متى سافر عمر لأول مرة ؟ هل لاحظت أية تصرفات غريبة في تصرفات عمر أو زوجتك قبل حادثة وفاتهما .. ابنك عمر هل رأك في موقف مشين هز ثقته بك ؟ ما الذي تعرفه عن أصدقاء ابنك في مصر وخارج مصر؟ اهتماماته كانت من أي نوع ؟ هل كان عمر يمر بأزمات نفسية ؟ هل شككت للحظة أن هناك دخلا لعمر في موت صديقة زوجتك ؟

هذا كل ما أريد معرفته في الوقت الحاضر..

دارت حدقتا عينا الأستاذ وجيه بسرعة شديدة، وارتفع حاجباه دهشة مع كل سؤال كان يخرج من بين شفتي فتحي .. أنهى فتحي أسئلته وصمت وهو يتطلع

لوجه الدكتور الذي بدا شاحبًا للغاية، وران صمت ثقيل لدقائق .. قبل أن يقول الأستاذ وجيه :

- من أنت ؟! كيف تعرف هذه التفاصيل ؟! هل شاهدتها ؟! بعض سكان العمارة يقولون إن شبحها يسكن المصعد وأحيانًا يرونها.. أقصد يرون شبحها ليلا إذا تجرأ أحد وفتح المصعد .. أنني لا أصدقهم بالطبع، ولكن ما تقوله أنت يعني أنك شاهدتها ..متى شاهدتها ؟ بالتأكيد عندما حُبست في المصعد في إحدى المرات أثناء انقطاع الكهرباء منه أليس كذلك ؟ أجبني أرجوك ..هي من أخبرتك ؟ لماذا أنت صامت تكلم ؟!

قال فتحي بتؤدة :

- إجابتي قد لا ترضيك .. صدقني من الأفضل ألاّ تعرفها .. هذه المرة على الأقل .

قام الأستاذ وجيه، وراح ينزع الغرفة جيئة وذهابًا وهو يشبك يديه خلف ظهره ويهزّ رأسه بطريقة بدت مضحكة لفتحي قبل أن يقول :

- سأقول لك كل شيء .. من الواضح أنك عرفت الكثير .. أنا لا أعرف كيف عرفت ولكنني وعدتك بأن أجيب.. اسمع ..

منذ ثلاثين عامًا تقريبًا كنت شابًا فقيرًا من أسرة متواضعة، كان كل حلمي أن أكمل دراستي بعد وفاة أبي .. كنت مثلك أعمل في مطعم ليلاً، وفي النهار أذهب إلى الجامعة.. ربما هذا سبب إعجابي الشديد بك أنك تفكرني بنفسي .. وفي الجامعة تعرفت بالمرحومة زوجتي .. كانت من أسرة عريقة ذات ثراء

واضح ، وكان تفكيري في الزواج منك لا يخضع لأي منطق أو حكمة ولكنها أحبتني بالفعل وأحببتها .. قاومت تسلط أبيها العنيف حتى سمح لنا في النهاية بالزواج بعد تجربة انتحار منها .. في زماننا كان يكفي أن تحاول البنت الانتحار لمرة لأب الخائف إلى تنفيذ طلباتها .. بالطبع الآن لو انتحرت فتاة كل يوم لن ينفذ أهلها ما ترغب فيه ..مرت أربع سنوات تقريبا ولم ننجب .. اتجهنا لكل الأطباء قالوا إن لدى زوجتي عيب خلقي في الرحم يمنعها من تنجب في أي يوم من الأيام . كانت الصدمة قوية بالنسبة لها، انزوت وبدأت تذبل .. كنت أراها تتحطم أمامي يوما بعد يوم .. حتى فكرت وقتها أن نتبنى طفلاً .. وكان عمر .. شغفنا به بمجرد رؤيتنا له .. كان مختلفًا .. طفل صامت بين أطفال الملجأ ولكنه شديد الذكاء .. كان في الخامسة من العمر تقريبًا عندما تبنيناه .. ملأ حياتنا صخبًا برغم هدوئه الواضح .. انشغلت بيه زوجتي طوال الوقت وتحسنت صحتها للغاية .. أحببت عمر بحق واعتبرته ابني الذي أنجبته من صلبي .. لم أبخل عليه يومًا بأي شيء، وكان هو دومًا متفوق في دراسته .. عقله يستوعب الأشياء بسرعة مدهشة . لفت نظر مدرسيه .. الشيء الوحيد الذي كان يزعجه هو الكوابيس التي تأتي له .. فعندما كان في الرابعة من العمر قبل سنة من تبنينا له شاهد أمه وهي تقتل أباه عندما رأته في حضن امرأة في فراشها، وكان هو بصحبة أمه عندما قامت بهذا .. ذلك الكابوس سيطر عليه طوال عمره تقريبًا.. لا أعرف كيف يتذكر الحادثة برغم سنه الصغير وقتها لكن عمر كان مختلفا .. القاضي حكم على الأم بالإعدام لدوافع غير مفهومة وقتها .. لن أطيل عليك كانت هذه الحادثة عقدة في حياة عمر .. ولكننا بذلنا جهدنا حتى نساها تقريبًا ولم يعد يتذكر سوى أنني أبوه وأن وفاء زوجتي أمه .

قاطعه فتحي قائلاً في حدة غير مبررة :

- ماذا قلت كان اسم زوجتك ؟!

تطلع له الأستاذ وجيه بعينين غير فاهمتين وهو يقول :

- وفاء .. ما الغريب في هذا ؟!

بلع فتحي ريقه وهو يقول :

- آسف .. خاطر غريب ضرب عقلي .. أكمل أرجوك .

داعب الأستاذ وجيه شفتيه بأصابع يده اليمني قبل أن يقول :

- ليكن .. مرت حياتنا بحالة استقرار لفترة طويلة حتى دخول عمر الجامعة وما بعدها وتفوقه المدهش في علوم الحاسب الآلي ..وسفره لفترة للخارج .. صدقني لم أفكر يومًا في خيانة وفاء .. عندما عاد عمر من الخارج كان هناك تغيير ما أصابه .. أنا شعرت بهذا ولكني لم أتكلم ، كان يكفيني فرح وفاء بعودته إليها، فقد كانت تشتاق إليه كثيرًا وأنا كذلك.. أصبح عمر يجلس في غرفته كثيرا .. كتب صفراء غريبة عاد يقتنيها.. تغير ملحوظ في تصرفاته .. صدقني حتى قبل أن يراني في ذلك الوضع المشين الذي لم أتصور قط أن يراني أحد فيه .. فقد كانت تلك المرأة الأربعينية صديقة زوجتي منذ سنوات ولم أفكر فيها قطّ. لا أعرف كيف أصبحت أرى نفسي معها في أحلامي مؤخرا قبل وفاتها في أوضاع حميمة غريبة .. خصوصًا بعد عودة عمر وانزوائه الدائم بعيدًا عني في غرفته وكأنه كان يتجنبني .. أخذت تلك الشهوة تزيد بداخلي والغريب أن صديقة زوجتي بدات وكأنها تفهم ما أريده منها بالضبط . وحدث

بيننا ما حدث ورأنا عمر للأسف . بالتأكيد اهتزت صورة الأب المثالي الذي كنت أمثلها بداخله ..

سألتني إن كان عمر يزور طبيبا نفسيًا .. في فترة مراهقته عندما كانت الكوابيس تنغص حياته لجأنا إلى طبيب نفسي لسنة ونصف تقريبًا حتى اختفت الكوابيس وعاد طبيعيًا .. وعندما سقطت صديقة زوجتي في فراغ المصعد قلت إنها دفعت جزءًا من خيانتها لصديقتها وأن القدر يعاقبني .. هذا العقاب الذي زاد بموت عمر ووفاء .. أنني أدفع ثمن خطيئتي .. أظن أن هذا كل شيء .

تنفس فتحي بعمق وهو يقول :

- أشكرك سيّدي ..وأشكر سعة صدرك أن تحملت الإجابة على أشياء لم يكن من حقي معرفتها .. أشكرك .

بدت الدموع ترقرق في عيني الأستاذ وجيه وهو يقول :

- لا شيء ..لقد تطهرت بالكلام معك .. كنت أحتاج لهذا أكثر منك صدقني .. وربما هذا ما دفعني للكلام .

ودع فتحي الأستاذ وجيه على باب شقته والرجل يحاول أن يبدو متماسكًا ولكن فتحي قال فجأة :

- سؤال أخير .. ماذا كان اسم صديقة زوجتك .

أجابه الأستاذ وجيه ببساطة :

- نرمين .. لماذا تسأل ؟!!

هزّ فتحي رأسه أن لا شيء ، وعيناه متسعتان بشدة قائلاً :

- للعلم فقط .. شكرًا .

أغلق الأستاذ وجيه الباب ، بينما راح فتحي يهبط السلالم وهو يقول لنفسه : إن لا شيء خاضع للصدفة .. هناك شيء مجنون جعل الأستاذ وجيه يهبه الجهاز .. شيء أكبر من تفكيره .. " وفاء " و" نرمين " .. نرمين صديقة زوج الأستاذ وجيه ماتت وهي تسقط من علو شاهق في بئر المصعد .. ونرمين صديقته في الجامعة انتحرت وهي ترمي نفسها من سطح فيلا صديقتها " وفاء " ومن علو مرتفع أيضًا .. الأمر لا يخضع للصدفة بالتأكيد ..

أدار محرك دراجته البخارية وانطلق وعقله يسبح في بحر من الأفكار المجنونة .. وبلا نهاية .. وأنوار الأعمدة تطارده عبر الشوارع. وبدا له إنه أصبح مطاردًا من كل شيء ..

حتى الأفكار المجنونة التي تضطرب عقلة بقوة وعنف .

*****

ميرنا تفتح عينيها، تشعر بإرهاق لا حدود له .. لقد عادت، لم تكن تتصور أن ترى ما رأته .. أنه الجحيم بكل صوره .. ما الذي فعله عمر بها .. الهو مظلم ومقبض ، قيودها قد فكت .. حركتْ يديها وقدميها ..

بالفعل تستطيع التحرك .

من حررها ، يجب أن تهرب .. الجنون أن تظل هنا في مكانها هذا ..

إن عمر هو الشيطان نفسه ، لقد رأت وعرفت ولكنها لا تصدق .. لا تعرف كيف تحمل عقلها ما رأته .

لقد كانت هناك هي متأكدة .. كانت تسير على ممشى والنيران من حولها في كل اتجاه .. أسفل قدميها بحر من الحمم .. نساء معلقات عاريات من أقدامهن وأرجلهن وهناك شخص يقف شيطاني الشكل بجناحين محترقين يمر أمامهن، وهو يحمل أناءً ضخما مليئًا بالحمم .. يسقهن منه فتنطلق من أفواههن صرخات رهيبة وقد ذابت شفاههن.. معركة دائرة فوق رأسها بين شياطين وملائكة .. الشياطين تحمل مقارع ضخمة جدًا يضربون كل ملاك يقترب منهم .. كان من الواضح أن المعركة في صالح الشياطين وأن الملائكة يتساقطون .. فتهجم عليهم غيلان مكبلة بقيود من نار وينهشون من يسقط من الطرفين .. رجال يمشون وهم يحملون على ظهورهم حجارة مشتعلة، وكأنها حجارة من سجيل .. تذيب الجلود والشحوم قبل أن تعود أجسادهم مرة أخرى لتغطى بالشحم واللحم، والأحجار تأكل أجسادهم من جديد والأمر يتكرر بصورة مدهشة.. نمور بأجساد ضخم ورءوس آدمية تتحرك في سرعة وتنهش في بشر يفرون رعبًا أمامها . ميرنا تقف ذاهلة العينين، ريقها جاف لا تشعر بحرارة الجحيم برغم أنه أمامها مباشرة .. معذبون مسجونون في أقفاص ضخمة ومكبلين وفوق رءوسهم طيور كبيرة الحجم تنهش أعلى رؤوسهم في تلذذ واضح بمناقير حادة طويلة .. شيطان يسقط من ضربة من يد ملاك طائر .. فتهجم عليه الغيلان لتنهش جسده وهو يصرخ متألمًا قبل أن تهمد حركة جسده .. ملاك يطير في الأفق وهو يركب حصانًا أبيض ضخمًا جدًا بجناحين .. وقد التف حوله جمع من الشياطين يقذفون في وجهه حجارة مشتعلة، يتجنبها الحصان الطائر في سرعة بالغة، وسيف عملاق بيد الملاك يقطع به رءوس

الشياطين التي بدأت تتراجع للحظة ، ثم تجمع نفسها لتعاود الهجوم .. غول بعينين جاحظتين يحمل ساطورًا ضخمًا في يده، وتمدد أمامه على طاولة ضخمة بشر كثيرون مكبلون .. يهبط بالساطور يقطع به الأجساد التي كانت لبشر في يوم ما .. يخرج القلوب ليضعها بقدر ضخم بجانبه مشتعل أسفله نار متأججة . بينما يمد يده كل لحظة بقطعة من لحم ممزق إلى الطيور التي تحوم حوله، فتهجم الطيور على القطع البشرية الممزقة وتلتهمها في سرعة.. يلحس أصابعه الغارقة في الدماء في تلذذ .. وهو مستمر في عمله في تقطيع الأجساد الممددة فوق بعضها على الطاولة ..

لماذا تفكر في عمر الآن.. وبداية علاقتهما ؟!

شيء يدفعها للتحرك على المشى العجيب ..أياد كثيرة تمتد تحاول أن تصل إليها ولكن من الواضح أن هناك من يمنعهم من الاقتراب .. في وسط كل هذا الجحيم . كان ثمة مقعد ضخم من نار يجلس عليه شخص تعرفه وأمامه عدد من الشياطين يقفون في طاعة غريبة .. أنه عمر .. مستحيل !

ثلاثة رجال ضخام الجسد في ملابس سوداء لا تصل إليهم النيران يشقون طريقهم في اتجاه عمر الجالس .. في أيديهم عصا طويلة تنتهي بشيء يشبه كرة ذهبية لامعة . تتراجع الشياطين في خوف مع اقترابهم .. يقفون أمام عمر هادئين .. يمدون أيديهم نحوه ولكنه يتراجع بخوف شديد .. ويشير للشياطين أن تهاجم الرجال الثلاثة .. فتستجيب الشياطين وهو يتراجع .. وتدور معركة شرسة بين الرجال والشياطين .. وهي تقف ناظرة في رعب وقد هيمن لها أن جسدها بالكامل قد تحول إلى عينين جاحظتين فقط تنظران إلى الأمام .. تتراجع بظهرها عندما تلاحظ أن الشياطين شعرت بوجودها، وراح أقربهم إليها ينظر باتجاهها بعينين واسعتين متقدتين بالشرر والنيران .. قبل أن ترى

أحدهم يقترب منها مسرعًا، فتصرخ في عنف وهي تتراجع ولكنها تشعر بقدمها مكبلتين بالأرض .. تصرخ وهي تضع يديها أمام رأسها في انتظار النهاية .

وارتجف جسدها بعنف رهيب .. وعندما فاقت وجدت نفسها في القبو وقد فكت قيودها ..

لا وقت لتسأل أي جحيم هذا .. ومن هؤلاء الرجال الثلاثة الذين أخافوا عمر وجعلوه يتراجع أمامهم خوفًا وسط جحيم من الشياطين لم يكن خائفًا منهم .

بالتأكيد هي حالة من الوهم! من غير المعقول أن يكون ما شاهدته واقعيًا..

تحسست طريقها في اتجاه السلم ، الظلام دامس ولكن يكفي أنها تستطيع التحرك .. تصعد درجات السلم إلى أعلى .. تدفع باب القبو لأعلى فيستجيب لها، أين ذهب عمر؟

أخذت تتلفت حولها بعدما خرجت للردهة .. البيت يعوم في ظلام دامس .. تتحرك ببطء متحسسة خطواتها وهي تستند بيدها على الجدران .. ألصقت ظهرها بجدار وهي تحاول أن تخترق الظلام بعينها ، لا تريد أن يفاجئها عمر بالهجوم عليها من الخلف .. الباب على بعد خطوات قليلة .. تفتح الباب بسرعة وتجري للخارج .. السماء فوقها رمادية اللون .. والليل يفرش عباءته على المكان ، تجري ولا تلتفت للخلف .. تسمع نباح كلاب خلفها ، الأرض ممتلئ بالثلوج ، تتعثر وتقف .. وتعاود الجري .. لا تعرف إلى أين تتجه ، تريد أن تصل إلى طريق أسفلت، ربما تجد سيارة تقلها بعيدا عن هنا، نباح الكلاب يخترق أذنها ، ارتعشت قدماها وهي ترى أمامها غابة من الأشجار.. تجري بكل لهفة داخل الغابة ، تريد الاقتراب .. أكثر شيء تخافه في حياتها هو الكلاب منذ

أن عضها كلب في طفولتها واضطرت أن تأخذ حقن التطعيم المزعجة. نباح الكلاب يصل إليها وكأنه فوق رأسها .. اللعنة!..

الظلام لا يجعلها تعرف طريقها جيدًا .. تصطدم بشجرة في سرعتها فتجرح رأسها، ولكنها تواصل الجري لا تلوي على شيء ..

وقفت تلتقط أنفاسها بعد فترة، وقد شعرت أن نباح الكلاب قد ابتعد .. تهزّ رأسها بعنف لتنفض بعض الثلوج التي علقت بشعرها ، جف ريقها بشدة عندما ارتفعت تلك الزمجرة العنيفة دارت على أعقابها ، كان هناك أمامها كلب ضخم يزمجر والزبد يتساقط من شدقيه ، تراجعت بظهرها وعادت للوراء خطوات وهو يقترب منها بخطوات ثابتة . إذا جرت الآن سيطاردها .. توقفتْ متسمرة في مكانها، وبعد لحظة انضم للكلب ثلاثة كلاب في نفس الحجم الضخم .. والزبد يتساقط من أشداقهم .. توقفت الدماء في عروقها .. والأدرينالين يتصاعد في جسمها لأقصى حد .. والزمجرة تتصاعد حولها قبل أن تهجم أقربهم إليها ناحيتها .. هذه المرة سقطت على ظهرها وهي تشيح بيدها وتصرخ وتصرخ ..وهي تشعر بالأنياب تمزق جسدها ..

قبل أن ينتفض جسدها بعنف لتفيق .. تفتح عينها بإجهاد، وجدت نفسها في القبو .. وعمر فوق رأسها يبتسم ابتسامة مقيتة وهو يقول مبتسمًا :

- أعدك عزيزتي أنك لن تعرفي الحقيقة من الوهم بعد اليوم ..

وانطلقت من بيني شفتي عمر ضحكة شيطانية بحق .. ضحكة تجمع كل شرور البشر ، بينما راحت ميرنا تصرخ وتصرخ وكأنها لن تتوقف عن الصراخ الوقت الباقي من حياتها .. واختفى عمر من أمامها ، فوجدت نفسها على

الأرض وكلب جائم على صدرها بالمعنى الحقيقي للكلمة ويقترب بوجهه منها فاتحًا فكيه على إتساعهما .. وتوقفت الصرخة في حلقها لا تريد الخروج .

واهتزت الصورة .. واختفى كل شيء ..

وعادت الشاشة تحمل خلفية لغابة تجري فتاة في وسطها .

بينما راحت اللعبة تومض أمام فتحي ..

وتعود الأيقونة للون الأحمر ..

معلنة نهاية مرحلة وبداية أخرى ..

*****

(١٧)

لم تهدأ أعصاب فتحي منذ مدة طويلة ، منذ أن دخلت تلك اللعبة المجنونة في حياته وهو لا يستطيع أن يمضي يومًا طبيعية كباقي البشر. كل يوم مفاجأة جديدة مرعبة .

الحياة أصبحت صاخبة بطريقة مفزعة .

أبوه القعيد ما زال يتحرك ليلاً في صالة الشقة، بينما أمه تغط وقتها في نوم عميق ..

إنه لا يفهم كيف يحدث هذا ، ففي العادة أمه تشعر بأية حركة بجانبها ، ونومها متقطع . ولكن منذ أن جاء بهذا الجهاز الملعون إلى البيت وكل شيء يتغير.

لماذا يحتفظ بهذا الجهاز للآن ، عندما يغيب عن الجهاز كثيرًا يشعر بصداع رهيب وكأن هناك من يدعوه أن يكون بقرب الكمبيوتر المحمول طوال الوقت..

لقد اتصل بكمال وأخبره أنه يرغب في الحديث مع طبيب نفسي ، لم يستغرب كمال كثيرًا؛ فهو أيضا يحتاج إلى إعادة تأهيل نفسي ، ما مرّ بهم في الأسابيع القليلة الماضية كان مفزعًا .. أن تفقد صديقين في حادثة انتحار ليس بالأمر الهين .

وقف فتحي أمام المرآة وراح يتأمل نفسه ، يشعر أنه شخص آخر في الفترة الأخيرة ، وكأنه قسم إلى شخصين كل منهما لا يعرف شيئًا عن الآخر.

ارتفع رنين هاتفه المحمول .. كان المتصل كمال .. رد عليه فتحي وهو يعقد رباط حذائه ، قال له كمال : إنه ينتظره بالأسفل ، وأنه حجز له عن طبيب ممتاز في الطب النفسي .. حضر عنده عدة جلسات من قبل .

غادر فتحي غرفته ، كانت أمه تجلس في الصالة أمام التلفاز تشاهد نشرة الأخبار. قال لها إنه في طريقه للخروج ، وكمال ينتظره بالأسفل ، فهزّت رأسها ولم ترفع عينها عن التلفاز وهي تقول له حاول ألاّ تتأخر.

بعد دقائق كان أمام باب العمارة، وكان كمال يقف بجوار السيارة يدخن في سيجارة غريبة الشكل .. كانت أول مرة يرى فتحي صديقه كمال يدخن فقال متسائلاً :

- ما هذا ؟

فقال كمال بهدوء :

- حشيش !

توقفت عينا فتحي على السيجارة وهو يقول :

- حشيش ! أرم هذه السيجارة .. أتريد أن تدمر صحتك ؟

ضحك كمال بصوت مرتفع وهو يقول :

- اركب .. الحشيش هو ما يهون عليّ هذه الأيام لولا وجوده لكن جننت .

فقال فتحي غاضبًا :

- لن أركب معك وأنت تشعل هذا السم .

رمى كمال السيجارة ودهسها بحذائه وهو يقول :

- تفضل أيها الخلوق ..اركب .

نظر فتحي لعينيه وهو يدور حول السيارة ليركب، فلم ينتبه للجسد الضئيل الذي اصطدم به وكاد أن يسقط، فقال معتذرًا وهو يرى من اصطدم به وكاد أن يسقط على الأرض .. كانت امرأة عجوز تخطت السبعين والغضون محفورة على وجهها ، كانت جارتهم الحاجة عيشة تلك السيدة التي يقال عليها إنها تعمل بالسحر .. تطلعت المرأة لوجهه وهي تستند على عكازها قبل أن تشق وهي تتطلع لعينيه السوداوين ، وارتجف جسدها بشدة وكأنها رأت شيطان وهي تستعيذ بالله وتهرب من أمامه بسرعة قدر استطاعتها .

تعجب كمال للمرأة التي تهرول مبتعدة ، فقال متسائلاً :

- ماذا هناك ؟ لماذا خافت منك المرأة بهذه الصورة ؟!

فقال فتحي بعد أن فتح باب السيارة ليجلس في مقعده بجوار كمال الذي جلس وعيناه متسائلتان :

- لا تشغل بالك .. عجائز شارعنا مجاذيب يخافون من أقل شيء .. ربما ظنت أننا سنسرقها .

أومأ كمال برأسه متفهمًا وهو يدير المحرك قائلاً وهو يبتسم :

- ليس وحدهم المجاذيب .. لا تنس أننا ذاهبان لطبيب نفسي .

وارتفعت ضحكات فتحي وكمال والسيارة تنطلق مغادرة الشارع .. ولكن بداخل فتحي طل سؤال جديد، لماذا خافت منه الحاجة عيشة بهذه الطريقة؟! فهي معروفة بلسانها السليطة وقدرتها على إيذاء أي شخص .. فلماذا الخوف منه الآن .. ما الذي جد عليه ليجعلها تفر بهذه الطريقة ؟!

بعد فترة راحت فيها السيارة تقطع شوارع العاصمة وهما صامتان انتهى الأمر أسفل عمارة في حي راق .. ركن كمال السيارة وهو يقول باسمًا :

- مستشفى المجاذيب يا أستاذ .. تفضل انزل ..

بادله فتحي الابتسامة وهو يقول :

- ألن تكف عن المزاح ..

فقال كمال وهما يتجهان لباب العمارة :

- أوليس من المزاح أن اثنين من الشباب مثل الورد يذهبان لطبيب نفسي بإرادتهما ؟! نحن مجانين يا حضرة .. تفضل اصعد أمامي ..

بعد دقائق كان يقفان أمام عيادة الدكتور محسن الدوسري .. قرأ فتحي الاسم وهو يقول بداخله : حتى أسماؤهم غريبة هؤلاء الأطباء النفسيون ..

بالداخل كان هناك ممرض ضخم الجثة يجلس وأمامه دفتر كبير .. وعدد من الأشخاص لا يتجاوز أصابع اليد يجلسون في مقاعد جلدية ، ويبدو الخوف على ملامحهم دون سبب منطقي سوى أنهم في عيادة نفسية .. لم يعتد المصريون بعد على الطب النفسي ولن يعتادوا ولو بعد ألف عام .. هذا ما

قاله كمال لنفسه وهو يقترب من الممرض ويمليه اسمه واسم فتحي .. هزّ الممرض رأسه وهو يشير لهما أن يستريحا .

لمدة ساعة كاملة ظلا كمال وفتحي يتطلعان لما يدور في العيادة .. حتى ناد الممرض على اسم فتحي قائلا :

- تفضل .. الدكتور بانتظارك .

لماذا شعر فتحي بالخوف وهو يقف ويضغط على يد كمال الذي ابتسم قائلاً :

- أنتم السابقون ونحن اللاحقون ..ادخل يا أستاذ .

دخل كمال إلى غرفة الكشف .. كان الدكتور محسن الدوسري يجلس ويكتب شيئًا في ورق أمامه ، أشار بيده لفتحي أن يجلس .. فجلس فتحي في كرسي مقابل للمكتب .. بعد وهلة نظر إليه الطبيب وهو يسأله عن بياناته الشخصية ليسجلها وهل مرّ من قبل بأي مرض نفسي أو عضوي .. فهز كمال رأسه أن لا ..

بدا الدكتور بشوشًا وهو يقول لفتحي :

قل لي يا بطل ما الذي تشتكي منه تحديدًا ؟

وقتها شعر فتحي أنه لا يعرف حقًا مما يشتكي ، وإذا أخبر الدكتور بما يظن أنه يحدث له ، لعاجل بوضعه في مستشفى الأمراض العقلية ، فوجد أن كل المسموح له أن يقوله : إنه أصبح لا ينام تقريبًا ، وأن الكوابيس تطارده ليل نهار.. كوابيس غريبة دموية .. وزادت لدرجة رهيبة بعد انتحار نرمين ووائل .

مرت نصف ساعة تقريبًا.. استمر فتحي يحكي عن الكوابيس وقلة النوم وبعض الخيالات التي تطارده ، ولم يرد على لسانه حرف يخص جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به والذي كان للمرحوم عمر.. في النهاية كتب له الدكتور محسن بعض المهدئات وقال إن عليه أن يزوره مرة أخرى قريبا..وستكون هناك جلسات أطول يستطيع فتحي أن يأخذ حريته في الكلام .. ولنعتبر أول جلسة بداية تعارف ..

خرج فتحي من الغرفة بعدها بدقائق قليلة ، وقف كمال وهو يراه سألاً :

- ماذا فعلت ؟

أشار فتحي إلى الروشتة بيده وهو يقول:

- مهدئات .

ابتسم كمال والممرض يشير له أن دوره قد حان فقال :

- سآخذ مهدئاتي ونمضي سويا .. انتظرني لن أغيب ..

في غرفة الكشف تقريبًا كان كلام كمال متشابه لحد ما مع كلام فتحي من حيث قلة النوم والكوابيس باختلاف أن كوابيس كمال كان هناك شبح يطارده دومًا وهو شبح صديقته المنتحرة نرمين وتطالبه بالقصاص .. وهو لا يفهم إذا كان هذا كابوسًا أم رؤيا .. ويتساءل القصاص من أي شخص إذا كان من شك أنه قتلها مات منتحرا وبصورة مفزعة ويشك أن شبحها هو من قام بهذا ؟!!

ربما فسر الطبيب الأمر على أنه مجرد هلاوس أصابت صديقين فقدا أصدقاء لهما .. تقريبا مرت الجلسة بنفس الطريقة مع نفس الدواء .. وموعد لجلسة أخرى .

غادرا العيادة وهما يضحكان .. على باب العربة أخرج كمال الروشتة التي كتبه لها الدكتور وراح يمزقها وهو يقول :

- لن أعود لهذه العيادة مرة أخرى .. حديثي مع هذا الرجل بأعلى جعلني أشك أنني مجنون فعلا!.

فقال فتحي وهو يدس الروشتة في جيبه :

- هيا بنا .. سآخذ العلاج الذي كتبه ولكنني ربما لن أعود مرة أخرى لهنا ..

أسند فتحي رأسه على مقعد السيارة وراح يتطلع للشوارع وأعمدة الإنارة التي تهرب من أمام عينيه .. لم يعرف متى نام ؟

ولكنه كان يحلم ويشعر بهذا ، حلم أقرب للحقيقة .. أنه يرى نفسه يرتدي ملابس سوداء ويده تتحسس خنجرًا يضعه في جيبه.. ويتبع شخصا ما . ويحاول أن يحافظ على مسافة بينه وبين الشخص الذي يقوم بملاحقته .. شارع مظلم .. الشخص الذي أمامه يمشي هادئًا لا يشعر بالخطر الذي وراءه .. أراد أن يصرخ في الحلم وأن يقول لهذا الشخص انتبه . ولكنه لم يستطع والحلم مستمر.. الخطوات قليلة في الشارع . وبعد لحظة كان الشخص الذي أمامه يقطع ممرًا صغيرا بين عمارتين .. وبعد لحظات كانت يده بالخنجر تعبث في جسد هذا الشخص الذي سقط أسفل قدميه فاغر الفم لا يفهم ما حدث

له .. نور سيارة تمر انعكس على وجه الفتى كانت كريم .. زميله الكاشير .. انتفض جسد فتحي بشدة ووجد يد تربت على كتفه .. فارتعش جسده وهو يرى كمال يحدق فيه بعينين متسعتين . قائلاً :

- لا تخف .. أنا كمال .. أهو كابوس آخر؟

بلع فتحي ريقه وهو يقول بصعوبة وهو ينظر للسيارات وكشافاتها التي تضرب أنوارها وانتبه أن سيارة كمال واقفة :

- هل نمت ؟!

قال كمال بهدوء :

- بالفعل كنت نائمًا منذ نزلنا من العيادة تقريبًا ، ولم أرد إيقاظك ولكن جسدك انتفض فجأة وظهر الرعب على ملامحك، فكان لا بد من إيقاظك ..

تنهد فتحي بعمق وهو يقول :

- لا بدّ أن الكوابيس لن تتركنا بسهولة .. سآخذ الدواء ربما جلب نتيجة ما .

ران الصمت عليهما وكمال يهزّ كتفه متفهمًا وهو يدير محرك السيارة وينطلق من جديد .. وربما ندم للحظة على تمزيقه روشتة الدكتور .. ولكنه لزم الصمت حتى بيت فتحي .. الذي نزل وهو يحييه .. ويقول : ربما يذهب للجامعة غدًا .. حتى يذهبا سويا لزيارة وفاء فبالتأكيد هي تحتاج لزيارتهما .

ابتسم كمال وعيناه تقولان الكثير وهو يقول :

- إلى الغد إذن .

راح فتحي يصعد السلم والكابوس الأخير يضرب رأسه بقوة .. هل بالفعل هو من هاجم كريم زميله في العمل ..

ولم يعرف لماذا تذكر القميص الملوث بالدماء الذي يخفيه في دولابه ..

وبدا الأمر منطقيا برغم استحالته بالنسبة له .

****

«عزيزي عمر.. لقد انتظرت هوفمان كما قلت لي في المتحف كما أخبرتني .. جاء متأخرًا عن ميعاده نصف ساعة كاملة .. كان يتلفت حوله كاللص ولا أفهم لماذا ؟ .. هوفمان يبدو متوترًا للغاية .. شعور داخلي يقول لي إنه يعرف أكثر مما نتوقع .. شيء في عينيه وهو يكلمني في المتحف كان يحيرني .. أكاد أقسم لك أنه كان يخفي شيئًا ما ويجهز نفسه له.. أحب أن أطمئنك أن الشيء الذي كنت تبحث عنه موجود بالفعل في المتحف وفي نفس المكان الذي وصفته لي .. يعبر الرواد بجانبه ولا أحد يلتفت له بشكل جدي .. شريط صغير أصفر اللون يبعد الرواد عن الصندوق الذي يقبع فيه لمتر واحد فقط.. لا أعرف كيف عرفت بوجوده هنا .. ولا أعرف كيف تواجد في متحف كهذا ، لابد أنه كان هدية من أحد ملوك بلدك لرئيس من الرؤساء ولم يهتم به جديًا فتم منحه كهدية ليعرض في المتحف .. لقد اقترب مني هوفمان واصطدم بكتفي كما اتفقنا وأنا أقف أمام لوحة العرض الذي بداخلها الشيء المطلوب .. لم ينتبه الحارس الذي كان يقطع الممرّ وأنا أمثل سقوطي ولم ألمس الصندوق بل لصقت ما أعطيته لي بقاعة الصندوق الزجاجي .. وتم تنفيذ

الأمر بحرفية لا تقلق .. الجهاز الدقيق الذي أعطيته لي في المكان الذي حددته أنت .. أني بالطبع لن أسألك عن طبيعة هذا الجهاز الذي طلبت مني وضعه هنا ، لأني أثق في عبقريتك .. هوفمان يتحدث كثيرًا .. لقد رتبت معه الأمر .. ولكني سأراقبه جيدًا.. لا تقلق لن يكون هناك أي سهو أو تقصير اطمئن.. سيغادر هوفمان بعد أن أرتب معه كل شيء كما اتفقنا سابقًا ..حاول أن تحذر من تصرفات العزيزة ميرنا في الفترة القادمة .. شيء يقول لي إنها أخبرت هوفمان بأشياء كثيرة .. في رسالة سابقة أرسلت لك عنوان الفندق ورقم غرفتي .. سأرسلها لك مرة أخرى .. فلا تتأخر في إرسال المطلوب ..فلم يتبق سوى ثلاث ليال .

" العنوان " سانتا مونيكا فندق نائب الملك .. غرفة ١٣ "

صديقك ديفيد

أنهى فتحي قراءة الرسالة ، وراح عقله يعيد ترتيب الأمر .. القصة بدأت تتضح شيئا فشيئا ..

عمر خبير الكمبيوتر العبقري تعرف على أوليجا تلك الفتاة المهتمة بالسحر، في هذه الفترة كان عمر لا يهتم بالسحر وكل اهتمامه منصب على اختراع ذلك الكمبيوتر المحمول .. تعرف على أوليجا عن طريق صديقه ديفيد .. وربط الحب بين قلبيهما .. حتى تلك الحفلة المجنونة التي هاجمه فيها إبراهام وأصاب أوليجا بالخطأ.. بالتأكيد في هذا الوقت كان عمر قد انتهى من صنع الجهاز.. من الواضح أن الأقفال الإلكترونية في بيت إبراهام الذي كان سهل التوصل إليه عن طريق الكمبيوتر، فلقد كان يعرف اسمه بالكامل من أوليجا عندما عرفته عليه في الحفل .. بعد إصابتها هاجم عمر إبراهام وقتله .. من

هنا تحول عمر لقاتل والشر ازداد بداخله بدرجة مفزعة .. ربما اعتكافه بعد ذلك على كتب السحر الخاصة بأوليجا .. جعل منه ساحر مجنون آخر ..بعد موت أوليجا بفترة تعرف على ميرنا ونشأت بينهما علاقة حب ..حتى اكتشف خيانتها .. ولكن كل الرسائل من ديفيد تؤكد أن لا أحد عثر على ميرنا .. فهل قتلها عمر أيضًا .. اللعبة تقول إن هوفمان مات بطريقة شيطانية مجنونة هاجمه أشباح تخرج من لوحة معلقة وقطعت رأسه عن باقي جسده .. ولكن بالتأكيد هذا غير حقيقي ..

لا بد أن ما حدث شيء غير هذا ، لكن اللعبة تستغل التأثير الدموي لإعطاء تشويق لها .

هوفمان وديفيد ساعدا عمر في شيء غير قانوني لا يعرف فتحي ما هو للآن .. ولكنه شيء يخص عمل هوفمان في مركز أبحاث الفضاء .. لا بدّ أن عمر هو الذي أوقع هوفمان في الأمر .. وربما صداقتهما كانت مرتبة جيدًا من قبل عمر..

تبعًا للعبة هناك قمر صناعي في الفضاء يحمل شريحة الكترونية صممها عمر .. ووضعها بداخل القمر الصناعي هوفمان .. ديفيد من أوصل الشريحة لهوفمان في المركز هذا ما عرفه فتحي سابقًا .. ولكن الذي لم يعرفه ما تأثير تلك الشريحة على القمر الصناعي .. بعض الأشياء تتضح وبعضها ما زال لغزًا..

الكمبيوتر أمامه ورسائل ديفيد القديمة تدفعه ليغوص أكثر في معرفة الأمر .. الفضول البشري الذي لا يستطيع أن يسيطر عليه هو ما جعله في هذا الموقف الآن .

نهض فتحي وهو ينظر للشاشة .ثم تثاءب .. من الواضح أن تأثير الدواء الذي كتبه الدكتور النفسي بدأ يعمل ..

يشعر بالنعاس .. جفناه يرتخيان .. يقفل الجهاز وهو يتثاءب .. وأوى إلى فراشه.. وذهب في النوم .. متمنيًا أن يكون نومًا بلا كوابيس ..

شعر فتحي بالعرق يتصبب من جسده وهناك رعشة سرت في كل جسده ، كانت هناك يد تربت على وجهه برفق .. فتح عينيه .. كانت أمه واقفة بجوار الفراش وعلى شفتها ارتسمت ابتسامة وهي تقول :

- لقد كنت تصرخ منذ دقائق .. أهو كابوس آخر؟

لم يعرف فتحي بماذا يجيبها فلم يشعر أنه مرّ بكابوس .. ولكن العرق المتصبب من جسده يقول إنه بالفعل مرّ بكابوس جديد برغم أنه لا يتذكره .. فلزم الصمت وهو يتطلع لعينين أمه المتسائلتين .. وعندما ساد الصمت ربتت على يده وهي تقول :

- سوف أجهز لك الإفطار..

انسحبت أمه من الغرفة وهو يحاول أن يتذكر أي حلم مرّ به ليلة أمس .. ولكنه لم يجد في ذهنه أي صورة لحلم .. فقد نام كطفل رضيع بلا أحلام سيئة لأول مرة منذ فترة ..

اعتادت أمه على تصرفاته الغريبة هذه الأيام، ولكنها لم تبد أية ملاحظات جديدة .. كانت تكتفي أن تراه أمامها بخير..

غادر فتحي الحمام واتجه للمائدة التي وضعت أمه عليها الإفطار.. راح يأكل بسرعة فهو يريد الذهاب اليوم للجامعة، لديه إحساس أنه يجب أن يجعل الحياة تسير على وتيرة طبيعية مرة أخرى .. سيصنع صداقات جديدة .. سيعوض ما فاته من محاضرات .. العمر ما زال لديه .. لماذا يحبس نفسه في إطار الخوف والرعب من المستقبل .. دخل غرفته .. راح يرتدي ملابسه ، وبعد هنيهة كان يضع الجهاز في حقيبته ويحمل الحقيبة مغادرًا الغرفة .. أبوه في غرفته كالعادة ..يمرّ عليه يمنحه تحية الصباح ويسأله إن كان يحتاج شيئًا .. ويهزّ أبوه رأسه أن لا .. ويدعو له .. روتين يومي يجب أن يعود له .. كان يهبط السلالم وهو يقول لنفسه إنه سيذهب لعمله في الليل.. لا شيء سيتغير .. يجب عليه قبلها إن يزور صديقه كريم الكاشير في المستشفى ويتمنى له الشفاء .. ومشوار آخر لا بد أن يقضيه .. عليه الذهاب لفيلا وفاء .. ليطمئن عليها .. وهناك خطوة مهمة سيحاول هو وكمال إقناع أمها أنه يجب أن تنهي وفاء السنة الدراسية قبل سفرها .. حرام أن تضيع سنة من عمرها .

الجو دافئ هذا الصباح ، والشمس تلقى بأشعتها الذهبية على الأرض ..

قطع الشارع مشيًا متجهًا إلى محطة المترو .. على آخر الشارع لمح بعض ناس الشارع مجتمعين ..وفي الجو رائحة حريق ما .. من الواضح أن حريقًا قد حدث هنا .. اقترب من عم يوسف صاحب محل البقالة المواجه للعمارة التي حدث بها الحريق متسائلاً:

- ما الذي حدث هنا ؟

كان الرجل يعرفه فقال بهدوء :

.. الست عيشة ... غرفتها فوق السطح احترقت بالكامل ... الجيران يقولون إنهم سمعوا أصوات رهيبة تصدر من غرفتها .. ولكن لم يجرؤ أحد أن يقتحم الغرفة ليرى ما يحدث .. الأصوات كانت عنيفة لدرجة أن سكان الدور الأرضي سمعوها ..الجيران أغلقوا عليهم أبوابهم خوفًا .. فهم يعرفون أنها تتعامل مع الجن والعفاريت .. لا بدّ أن جن هاجمها وحرق عليها غرفتها .. لقد احترقت بالكامل بصورة بشعة ..

لم يعرف فتحي لماذا سرت تلك الرعشة في جسده وهو يتذكر اصطدام السيدة عيشة به بالأمس وخوفها وهروبها منه .. كانت هناك عربة نجدة تقف ..وشخص يسأل الجيران عما حدث ويبدو أنه شرطي برغم أنه يرتدي ملابس مدنية .

غادر فتحي المكان ..

وهذه المرة .. كان الكابوس يطارده وهو صاح .

****

(١٨)

وقف فتحي على صيف المترو منتظرًا وصوله . كان عقله يدور بسرعة مليون لفة في الدقيقة إن صح التعبير . لقد ماتت عيشة محروقة في غرفتها فوق السطح . لماذا الآن ؟ المرأة كانت قد تخطت السبعين وبرغم هذا كانت تبدو قوية.. انتظرت كل هذا العمر لتموت محترقة في غرفتها بعد أن اصطدمت به صباحًا وفرت هاربا قبلها بيوم.. لا يعرف متى جاء المترو ومتى اندفع مع الركاب ليأخذ مكانًا وسط الزحام .. أسند ظهره على حائط المترو وهو يحاول أن يجد مساحة كافية لجسده المضغوط وسط الحشود . لماذا أصبحت القاهرة بهذا الزحام ؟

يشعر بقلبه يخفق بعنف وهو ينظر للحشود من حوله . الجو خانق بالداخل ، والجميع محشورون ..شرد لفترة في أفكاره .. لا يعرف متى شعر بتنميل في يده .. شعر وكأن هناك جيش من النمل يسير في عروقه .. كانت عروق يده كلها تنتفض بشدة ورعشة تسري في جسده وبدا كمحموم . فجأة شعر بتلك اللدغة العجيبة نظر إلى ظهر يده حيث شعر باللدغة .. أحس وكأن ظهر يده يحترق وعروقه تنتفض لثوان قبل أن يراها مخترقة خلد يده من الداخل للخارج .. وكتم صرخة كادت أن تخرج من بين شفتيه وهو يراها على ظهر يده .. دودة خضراء اللون طولها عدة سنتيمترات تقف على ظهر يده ، نفض يده بسرعة وهو ينظر لأرضية المترو.. كان يريد دهسها بقدمه، ولكنه لا يستطيع التحرك وسط الزحام ..

لا يعرف متى سمع أول صرخة من فتاة كانت تقف على بعد خطوات منه.. ظن أن هناك من يتحرش بها .. وفغر فاه دهشة وهو يرى الفتاة تضع يديها

على عينيها اللتين بدتا وكأنهما تنزفان دما على خديها . وعندما رفعت الفتاة يديها كان هناك العشرات من الديدان الخضراء اللون تتساقط من عينيها ، وفي مكان عينيها كان ثمة فجوتان متسعتان فارغتان .. راحت الفتاة تمد يديها تحاول أن تستند على الآخرين بجوارها بينما يبعد الآخرون عنها في رعب وهم يصرخون.. وتنطلق الصرخات من شفتي الفتاة وترتفع صرخات متسائلة .. بعد لحظات كان هناك رجل بجانبها يصرخ بالمثل وقد تحولت عيناه إلى بقعتين في وجهه فارغتين، بينما زاد عدد الديدان الخضراء بكثرة أسفل الأقدام .. فتحي يقف لاهث الأنفاس.. الدود أسفل الأقدام تشرنق لثانية، ثم تحول فجأة إلى فراشات بألوان زاهية تنتشر في العربة بسرعة رهيبة .. الأيادي تترك العواميد التي كانت تمسك بها .. وتحاول أن تذب الفراشات بعيدًا ولكن الصرخات تتزايد بسرعة .. صوت المترو وهو يمضي في طريقه بسرعة يقلل من عمق الصرخات المنطلقة من الأفواه .. امرأة في منتصف المترو واقفة يلتف حولها الفراشات الطائرة ..تتقيأ المرأة دماء سوداء بها ديدان كثيرة تتحرك أسفل الأقدام .. وفجأة يرى فتحي خيوطًا تحيط بالمرأة التي راحت تتلوى وهي تسقط على الأرض وتصرخ في هلع رهيب .. الركاب يجرون إلى الأبواب يدقون عليها بفزع في تزاحم مميت.. طفلة صغيرة تسقط من أمها وتنسحق تحت الأقدام فتهاجمها الفراشات بشدة وتلسعها في جسدها وهي تصرخ باكية .. بعد دقيقة كان هناك العديد من الركاب في أماكنهم فاغرين الأفواه وجسدهم بالكامل قد التف حوله خيوط حريرية وتحولوا إلى شرنقات آدمية .. بعد ثوان كانت المرأة التي سقطت أول الأمر قد انفجر بطنها بالكامل وخرجت أمعاؤها للخارج ، وصارت دماؤها سوداء اللون متخثرة تتبلق من جسدها .. أي لعنة هذه التي يراها أمامه .. رائحة نتنة مقبضة تضرب أنفه .. الموت ينتشر في العربة .. التي تحول معظم ركابها إلى شرانق آدمية قبل أن تنفجر

أجسادهم بعد وهلة وتنطلق فراشات محلقة .. آلاف الفراشات تحلق وتهاجم أي جسد سليم .. فتجي يقف وقد أدرك أن نهايته قد حانت .. أية نهاية تلك .. أي شياطين غادرت أماكنها في الجحيم لتهاجم البشر بهذه الصورة ؟ الأرض أسفل قدميه قد أصبحت لزجة .. حذاؤه يغوص في دماء متخثرة ملينة بالديدان ..فتاة تنظر إليه بعينين ميتتين ..رأسها ملتوية وساقطة على صدرها في وضع عجيب .. لا يستطيع التنفس .. يريد أن يصرخ ولكن الصرخة لا تغادر شفتيه .. الركاب تحولوا إلى جلد فقط على عظم ، بينما فرغت أجسادهم من الدماء وبدو كدمى فرّغت من الهواء .. اللعنة على كل شيء .. المشهد كان شنيعًا .. وقف ينتظر النهاية وأخر ما ورد إلى ذهنه صورة وفاء في ثوب الزفاف.

أغلق عينيه للحظة ..وسمع صوت باب المترو وهو يفتح .. كان قرب الباب فهجم على الباب مسرعًا ..وراكب بجانبه يقول :

- حاسب .. أنا أيضًا نازل .. ثوان .

فتح عينيه وتطلع لعربة المترو .. وبدت ملامح الصدمة على وجهه الشاحب .. شعر بنبضه يتسارع .. كان كل شيء كما هو .. الركاب مزدحمون والأيادي متعلقة بالمقابض الهابطة والمرتبطة بأعمدة المترو .. خرج إلى الرصيف جريًا .. وسند نفسه وهو يرتمي إلى أقرب مقعد رآه .. قبل أن يقيء كل ما في جوفه .

ما الذي يحدث له هل الدواء الذي كتبه له الدكتور محسن الدوسري أصابه بالخبل والهلاوس ..

لدقائق حاول أن يستعيد أنفاسه وهو يقف مستندًا على الجدار بجانبه ..غادر المحطة وهو لا يعرف أين هبط بالضبط ..

شعر بحاجة ماسة للهواء ..أخذ نفسًا عميقًا وهو يتطلع للمارة .. الحياة تسير بطبيعتها .. لا شيء يتغير سوى الوهم الذي يسكن رأسه .. تأكد من أن حاسوبه داخل الحقيبة المعلقة على كتفه ..

لقد هبط قبل محطتين من المحطة التي كان يريد النزول عندها ، لا مجال للرجوع ليركب المترو .. لا أنه لن يركب المترو في الفترة القادمة . هناك شيء يربط المترو بتلك الرؤى والكوابيس التي تطارده .. ربما يكون الاهتزاز أو التيار الكهربائي الذي يسير به المترو .. تصور عقله عبارة عن دائرة كبيرة موصلة بمولد كهربائي ضخم وهو بالداخل يضيء وتتحرك الأفكار مسرعة مع شدة التيار المدفوع إلى المخ .. راح يسير وهو يحكم قبضة على حقيبة الحاسب المحمول .

كان يسير على غير هدى قدماه تقودانه .. بعد فترة شعر أنه استعاد رباطة جأشه .. لمح ذلك الميكروباص المزدحم بالركاب .. والذي نادى التباع على طريق سيره .. قفز فتحي إليه ووقف قرب الباب .. راح الميكروباص يقطع الطرق المزدحمة في تلك الساعة من الصباح .. بعد فترة نزل فتحي على بعد أمتار من الجامعة .. وأخذ طريقه لداخل الجامعة .. راح ينظر للطلبة وكأنهم كائنات غريبة من خارج الأرض .. الجامعة تعج بالطلبة والطالبات في مختلف الأشكال .. كرنفال من الأزياء .. ضجة في كل مكان تقريبًا .. اتجه إلى الكافيتريا .. كان يأمل أن يرى كمال .. شيء بداخله كان يقول له إن كمال موجود في الكلية .. شيء أشبه بالحاسة السادسة .

جلس على مائدة في ركن قصي بعيد عن الطلبة .. لا يريد أن يعكر صفو يومه شيء آخر .. يكفيه الأحداث اليومية التي حولت حياته لجحيم من نوع خاص، أخرج الحاسوب من الحقيبة ووضعه على المائدة أمامه .. وقام بتشغيله ..

ليشغل نفسه بأي شيء حتى لا يتذكر ذاك الكابوس الأخير .. اللعبة في الأسفل على شريط المهام لونها تحول للأزرق ، وهذا يعني أن هناك مرحلة جديدة عليه البدء بها . ليكن .. فتح اللعبة وهو يتطلع حوله، كان بعيدًا عن الطلبة بدرجة كافية؛ فضغط زرًا لتتصاعد تلك الموسيقى العجيبة المصاحبة للعبة..

اللعبة هذه المرة تعطي تفسيرات مختلفة ..

هوفمان يقف مرحبًا بعمر الذي يدخل وبصحبته ميرنا .. كان المكان مطعم فاخر .. تتحرك النادلات حولهم في ملابس فاضحة تظهر أكثر مما تخفي .. يمد هوفمان يده ببساطة وعلى محياه ارتسمت ابتسامة مشرقة .. خاتم غريب الشكل في إصبع عمر وقد أداره حول الإصبع فأصبح رأس الخاتم في باطن اليد .. اصطدمت كف هوفمان بالخاتم أثناء سلامه على عمر .. وشعر بشكة بسيطة دفعته ليسحب كفه ..فينظر عمر للخاتم وهو يديره ليصبح رأسه لأعلى وهو يتمتم معتذرًا .. يلاحظ هوفمان نقطة دماء صغيرة تفر من مكان اصطدام باطن راحة يده بالخاتم يمد يده الأخرى ويمسك منديلا وهو يمسح نقطة الدماء وهو يقول: لا تهتم .. بسيطة لم يحدث شيء ..

يسحب عمر كرسيا لتجلس ميرنا وهو يبتسم في غموض ناظرًا لهوفمان الذي يشير لإحدى النادلات، فتضع أمامهم زجاجة من الشراب وتبدأ في تلقي الطلبات .. وعلى شفتي عمر ارتسمت ابتسامة غريبة تعلن بداية معركة نفسية من نوع ما ..

تختفي الصورة من أمام عيني فتحي لثوان .. وتنقل اللعبة صورة أخرى ..

ممرّ في فندق، الحجرات على جانبي الممر ، عاملة النظافة .. تدفع مفتاحها إلى أحد الغرفة .. وتدخل ببساطة .. ثوان وتخرج العاملة تصرخ في فزع رهيب من الغرفة .. وهي تردد: قتيل .. قتيل .. قتيل .

بالداخل هوفمان قرب نافذة الشرفة المفتوحة ساقطًا .. وفي عنقه قد غرست سكينة ضخمة من أدوات المطبخ.. والدماء التي تدفقت من العنق تغرق السجادة أسفله ..وقد انطلقت نظرة رعب رهيبة من عينيه الميتتين ..

تختفي الصور لثانية .. ثم تعود ..

من الجل إن اللعبة تعطي بعض الإجابات لفتحي .. وصار لديه إحساس سيء لما يراه .

هذه المرة كانت الشاشة تنقل له صورة لمتحف .. تقترب الشاشة من صندوق زجاجي .. بداخله تمثال فرعوني صغير ذهبي اللون .. أسفل الصندوق تومض شريحة عجيبة الشكل فيتسلل عبر القاعدة الخشبية للداخل شعاعان لامعان يحيطان بالتمثال قبل أن يكونا دائرة حول التمثال أخذت تومض لدقائق قليلة .. وعلى التمثال بدأت تظهر بعض العلامات العجيبة الشكل، أقرب لعلامات حسابية غير مفهومة، كنقوش، وتحول لون التمثال إلى اللون الأحمر الملتهب وكأنه في طريقه للانصهار .. ثم اختفت الدائرة بعد ثوان ..

وعاد لون التمثال ذهبيًا كما كان آنفًا .. وكأن شيئًا لم يكن .

الصورة هذه المرة تتغير..وتعود لأرض مصر ، بل بالأصح تعود إلى شارع فتحي .. فتحي يهبط السلالم ببطء شديد .. يتحرك في اتجاه عمارة في أول الشارع .. يصعد إلى أحد الأسطح .. ويقفز إلى سطح آخر مجاور . لعمارة أخرى .. وبعد دقائق يعاود القفز من سطح إلى آخر .. العمارات متلاصقة وهذا كان يسهل له الأمر .. أخيرًا كان فتحي يقف أمام غرفة ذات سقف واطئ .. الباب خشبي .. هناك بخور كثيف يخرج من أسفل الباب .. الباب موارب .. يدخل فتحي ويتطلع للجسد الجالس على الكنبة في المواجهة .. الست عيشة تجلس وعيناها تنظران للأمام .. وكأنها كانت تنتظره فلم تنبس بحرف .. وظلتْ في مكانها جالسة .. اقترب فتحي منها وهو يقول في صوت عجيب خشن :

- كان يجب عليكِ أن تصمتِ .. وألا تحاولي أن تفعلي ما تفعليه الآن .

شعر فتحي وكأن الغرفة تحولت إلى أتون من جهنم .. العرق يتصبب عن وجهه، والمرأة تقف وتكرر كلاما عجيبًا وهي تتمتم بتعاويذ عجيبة وغريبة .. ولكن فتحي راح يقترب وعلى زوايتي فمه ارتسمت ابتسامة مقيتة صفراء وهو يقول :

- لا تحاولي .. أنتِ لا تعرفين من تواجهين حقًا ..

كان بين يدي المرأة دمية من قش .. راحت تغرز فيها إبر حادة وهي تنظر لفتحي ، الذي واصل اقترابه حتى أصبح فوق رأسها وهو يقول :

- سحرك أقل من أن يقف أمامي .. استسلمي ليكون موتك هادئًا ..

تراجعت المرأة للوراء، بينما مد فتحي يده إلى الإناء النحاسي الذي به جمرات من فحم مشتعل .. ورمى بداخله ورقة أخرجها من جيبه ..فاشتعلت وهو يقول في صوت أجش :

- حان وقت الرحيل .. لقد أذيتي الكثيرين من قبل ..

سقطت المرأة على الأرض دون سبب معروف، وراحت تتألم وهي تنظر للنار التي ترتفع أمامها من السطل النحاسي ..وتصرخ بصوت رهيب نابع من الجحيم وحول رأسها كانت هناك ظلال من أشباح عجيبة تحاول الفرار وتتساقط بجوارها، وهي تطلق صرخات تشعر أنها نابعة من قلب جهنم ..

كل الشياطين الذين كانت تستعين بهم يتساقطون الآن، ويمدون أيديهم يحاولون الوصول لفتحي ولا يستطيعون .. يمد فتحي يده ويشعل ورقة طويلة يقربها من الستائر المدلاة لتشتعل بالحريق، الذي راحت ألسنته تتطاول حتى وصلت لفراش الست عيشة التي كانت عيناها متحجرتين الآن، وجسدها يواصل الارتجاف وكأن هناك تيارًا من ناريسري تحت جلدها ..

لا يعرف فتحي هل امتد الاحتراق للست عيشة من الخارج عندما اشتعلت ملابسها أم الاشتعال حصل من الداخل .. وانطلقت آخر صرخة من شفتيها مرعبة وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة .. بينما غادر فتحي الغرفة، وقد تأكد أن النيران أكلت كل ما بالداخل .. قبل أن يعود بنفس الطريقة التي أتى بها ..

يقف على سطح منزله بغير ملابسه السوداء بملابس النوم .. ويهبط السلم في اتجاه شقته .. وبعد دقائق كان يبدو نائمًا على فراشه وكأن شيئًا لم يحدث .

الصورة تختفي مرة أخرى .. واللعبة تعطي استمرارية .. في منطقة أخرى .. فتحي لا يصدق ما شاهده .. كلما حدثت حادثة تحاول اللعبة أن توهمه أنه جزء من الحادثة .. أمر تكرر عدة مرات ولم يعد يدهشه .

على اللعبة أن تغير من استراتيجيتها فالأمر أصبح معتادًا ومتوقعًا .

الصورة تعود للشاشة .. فيعود فتحي للمشاهدة.. كان مدفوعا لفعل ذلك، وهو يتمنى أن تتوقف اللعبة الآن.

شوارع مظلمة.. الثلج يتساقط من السماء بشدة .. كوبري مرتفع يسير عليه مئات السيارات بسرعة عالية .. أسفل الكوبري .. صندوق ضخم من القمامة .. يلتف حوله مجموعة من المتسولين .. ملابسهم رثة مكللة بالسواد والسخام .. والسواد يغلف وجوههم وأجسادهم أيضًا .. عجوز يجلس وبيده زجاجة من خمر رخيص يجرعها في نهم .. فتاة تقترب منه بملابس رثة وخطوات مترنحة ..تمد يدها في اتجاه الزجاجة، العجوز يدفعها بيده للخلف .. تسقط على ظهرها وتنطلق زمجرة عنيفة من بين شفتها .. أثناء سقوطها تنعكس النيران على ملامحها العنيفة الشرسة .. إنها هي .. ميرنا.. تعود ميرنا لتهاجم الرجل وتقبض بأسنانها على ذراعه، فيخبطها الرجل على رأسها بالزجاجة، ولكنها تستمر في عض الرجل الذي يصرخ متألمًا تاركًا الزجاجة تسقط .. فتخطفها وتجري وهي تتلفت حولها وكأنما يتبعها شياطين الأنس والجن .

ميرنا تجلس مختفية في داخل محطة مترو . وبيدها زجاجة الخمر الرخيص تشرب ما تبقى بنهم وتنظر حولها قبل أن تتجه إلى فتحة جانبية في محطة المترو، وتتسلل هابطة عبر سلم للأسفل .. الظلام مستبد يفرش قوته على الأنفاق التي أخذت تسير فيها ميرنا وهي تحرك رأسها في كل اتجاه .. كان من

الواضح أنها تسير في أنفاق الصرف الصحي .. والجلي أن الفتاة فقدت عقلها بالكامل .. جلست داخل أحد الأنفاق ولمت جسدها وهي تنظر لأعلى بعينين لا ترمشان تقريبًا سوى خيالات من الجنون.

رفعت زجاجة الخمر إلى شفتها مرة ثانية وعندما تأكدت أن الزجاجة أصبحت فارغة تمامًا حطمت الزجاجة بغضب على الجدار خلفها .. وراحت تقرب رأس الزجاجة المشطوف من ساعدها، وأخذت تجرح نفسها وهي تضحك بصوت يتردد صداه بقوة داخل الأنفاق .

تختفي الصورة من على الشاشة ..الأزرق ما زال لون الأيقونة بأسفل على شريط المهام للحاسب.. إذن هناك استمرار لتلك اللعبة .. التي لم يفهم فتحي للآن ..كيف تسير..

في هذه اللحظة ارتفع رنين هاتفه المحمول، نظر فتحي للرقم وهو يغلق الكمبيوتر .. يكفي ما رآه وضغط على زر استقبال المكالمة جاءه صوت كمال متسائلاً :

- أين أنت ؟

أجاب فتحي وهو يحاول أن يحافظ على بعض الهدوء في صوته :

- أنا في الكافيتريا ..

جاءه صوت كمال مرة أخرى وهو يقول :

- لا تتحرك من مكانك .. أنا في الطريق إليك ومعي مفاجأة لك .

أغلق كمال الخط في الوقت الذي كاد فتحي أن يصرخ فيه أنه لم يعد يحمل أية مفاجآت جديدة ..

هذه المرة كانت المفاجأة سعيدة بحق، فبعد دقائق كان كمال يقترب منه وبجواره كانت وفاء تسير.. تراقص قلبه بين ضلوعه وهو يرسم ابتسامة على شفتيه وهي تقترب .. كانت ما زالت ترتدي الأسود .. ولكنها بدت فاتنة وهي تمد يدها بالسلام ..

استقرت راحتها في يده لوهلة قبل أن تسحبها ببطء، وتجلس وهي تقول :

- كيف حالك ؟ لقد أوحشتني فعلا ..

تنحنح كمال وهو يقول :

- سأطلب شايًا وسندوتشا.. أطلب لكما معي ..

هزّت وفاء رأسها بلا .. بينما قال فتحي :

- كلاّ .. لا شيء يستقر في جوفي هذا الصباح .

بدت وفاء مهتمة وهي تسأله وكمال يبتعد :

- هل أنت مريض ؟

أجابها وهو يتطلع لعينيها بشوق :

- مجرد برد .. لا تشغلي بالك .. المهم ما هي أخبارك؟ أنني سعيد بعودتك للكلية مرة أخرى ..

قالت وفاء وهي تنظر إليه وتعض على شفتها :

- اعتبرها الزيارة الأخيرة للكلية .. فسوف أغادر مصر بعد أسبوعين .

ارتجف جسد فتحي وظهر وجهه شاحبًا وهو يقول :

- أهو قرار نهائي من أمك ؟

هزّت وفاء رأسها أن نعم وهي تتمتم :

- أنا أيضًا أحتاج للراحة والاستجمام .. لقد جئت اليوم لتوديعكم .

فوجئ فتحي بلسانه ينطق بلهفة ولم يستطع أن يمنع الجملة :

- ولكني أحبك !

أطرقت وفاء برأسها وهي تقول :

- إنني أعرف .. ومنذ فترة ..ولكن.. آسفة لا أستطيع الآن ..

وقفت وفاء فجأة ، وهو ينظر إليها في دهشة ..فاغتصبت ابتسامة وهي تغادر قائلة:

- أراك على خير..

انسحبتْ من أمامه وهو يقف ناظرًا إليها ولا يستطيع أن يفعل أي شيء وأعصابه تلتهب بقوة.. حلم آخر يهرب بعيدًا عنه .. وقفت وفاء بجوار كمال

لوهلة ، ومضت .. بينما عاد كمال بالشاي والسندوتش وجلس قبالة فتحي وهو يحاول تهدئته قائلاً:

- أعطها وقتها .. لا تتعجل هي أيضا تكن لك كل احترام وثقة .. ولا تنس ما مرت به ..أو ما مررنا كلنا به .. هي تحتاج للراحة .

شعر فتحي وكأن سيفا غُرز في قلبه، فهزّ كتفه مستسلمًا، وهو يضع الحاسوب في حقيبته ويقف قائلاً بصوت مشوب بالتوتر:

- سأغادر.. أنا أيضًا أحتاج للراحة .

جلس كمال وراح يرشف الشاي ويقضم قضمات من السندوتش وهو يتطلع لفتحي الذي بدا متعجلاً وهو يسير بلا هوادة ..

وكأن هناك من يطارده في تلك اللحظة..

ولكن كمال عاد ليرتشف شايه وهو يزفر في عمق ..

****

جو مظلم مقبض .. مدخل لأحد الكهوف القديمة .. شخص يتحرك داخل المدخل يبدو رصينا وهو يحمل في يده كشافًا ويخطو بهدوء وكأنه يحفظ كل شبر عن الكهف .. رسومات بدائية على الجدران .. ممرّ طويل يصل لعدة أمتار، وهو يتحرك والكشاف ينير له الطريق .. بعد خمس دقائق قطعها مشيًا .. وقف أمام باب حديدي عليه رتاج إلكتروني لا يتناسب وجوده مع المكان من حوله .. دفع كارت داخل الرتاج وسمعة تلك التكة وهو يسحب المقبض ويدخل .. المكان بالداخل كان عبقريًا بكل تفاصيله وجنونه .. شاشات متراصة تنقل صورًا مختلفة من العالم .. أجهزة كمبيوتر متطورة .. مولد كهربائي متطور بجانب الباب صوته مرتفع قليلا .. الغرفة مبطنة من الداخل وعازلة للصوت .. كان الشخص الذي دخل منذ قليل هو عمر .. بينما كان هناك شخص آخر بالداخل .. أو بالأصح شخصان .. أحدهما حي بينما الآخر قد فارق الحياة وتمدد جسده على لوح رخامي ..كان الشخص الآخر يرتدى بالطو أبيض طويلا .. وقفازين ملوثين بالدماء في يده .. نزعهما وهو ينظر لدخول عمر ويغطي الجثة قائلا:

- كل شيء جاهز ومعد ..

ابتسم عمر وهو يقول في هدوء :

- دوما تهرني عزيزي ديفيد .. أما زلت تمارس هوايتك في التشريح .

قال ديفيد برزانة :

- لماذا تنسى دوما أنني طبيب ..

اقترب عمر من الجثة وهو يرفع الملاءة عن وجهها ثم أطلق صفيرًا وهو يقول :

- العزيز هوفمان .. كيف أتى إلى هنا ؟

انطلقت ضحكة من بين شفتي ديفيد وهو يقول :

- ألا تعرف حقًا .. النقود تفعل المستحيل . أنسيت ..

يبتسم عمر وهو يرفع باطن كف هوفمان ويمسك مشرط جراحي يغرسه في باطن اليد قبل شقها .. وبعد لحظة كان يقرب ملقاطًا خاصًا من باطن اليد المشقوق ويجذب شيئًا دقيقًا للغاية وهو يقول :

- أظن لم يعد العزيز هوفمان يحتاج لهذا الآن .

تأمل ديفيد ذاك الشيء الذي التقطه الملقاط قبل أن يقول :

- أنت عبقري يا صديقي .

هزّ عمر كتفه وهو يغطي جسد هوفمان صديقه السابق .. ويتجه ناحية الشاشات المتراصة .. وراح يتأمل بعض البيانات على شاشة كمبيوتر أمامه ..وهو يتمتم بثقة :

- قريبًا جدًا سيكون الطريق مفتوحًا أمامنا للمضي قدمًا .

قال ديفيد وهو يخلع البالطو الأبيض ويعلقه على مشجب قائلاً :

- الجماعة ينتظرون نموذج الشرائح الالكترونية كما قلت لك سابقًا ..

ربتّ عمر على كتف ديفيد وهو يقول :

- أعدك أن نغير العالم .. لا تقلق ..سترى عالمًا جديدًا لا تتخيله .. بلغهم أن كل ما دفعوه سيعود عليهم أضعافًا مضاعفة .. سنكون أسياد العالم بلا منافس .

تختفي الصورة من أمام فتحي بغتة ..وتتحول أيقونة اللعبة المصورة سينمائيًا كما كان يطلق عليها إلى اللون الأحمر وينطلق الصوت المميز أن اللعبة في طريقها لمرحلة أخرى .

أحسّ فتحي بالعطش.. الساعة الثالثة ليلاً هذا ميعاد تجول أبيه في الصالة .. خرج لمح أباه واقفًا في الصالة متسمرًا ينظر في اتجاه الشرفة المغلقة .. مرّ فتحي بجانبه واتجه إلى المطبخ ، يعرف أن أباه سيظل واقفًا لفترة قليلة قبل أن يتجه لغرفته، ويفتح الباب ويعود إلى فراشه بجوار أمه ، ليراه فتحي صباحًا كما هو أبا قعيدًا لا يغادر فراشه .. الأمر مهما تخطى حدود العقل ولكنه يحدث، وهذا ما اعتاد فتحي عليه .. قام فتحي بملء زجاجة مياه وأخذها في يده وعاد إلى غرفته .

يسمع صوت خطوات أبيه وهو يتجه لغرفة نومه وصرير الباب قبل أن ينغلق من الداخل .. بالتأكيد أبوه الآن في فراشه يحلم بأن يسير على قدميه في يوم ما .

يقترب فتحي من شاشة الحاسوب .. ما زالت الأيقونة مضيئة باللون الأحمر .. يدخل على شبكة الانترنت يتجول فيها قليلاً .. لا يعرف حقًا ما الذي يبحث عنه .. يقرر أن يواصل بحثه في رسائل ديفيد القديمة ..

يفتح إحدى الرسائل بدون ترتيب ويقرأ

« عزيزي عمر .. الأمر يتطور بسرعة كبيرة .. إنني لا أعرف كيف فعلها هوفمان .. ولكن رجال المباحث الفيدرالية "FBI" يقلبون البلد بحثًا عنك .. لا أعرف كيف عرفت بتحركاتهم قبلي .. الأخوة يقررون السكون .. سنظل ننظر الإشارة منك للتحرك .. لقد أبلغهم هوفمان بكل شيء تقريبًا .. أظن أنهم يفكرون في إسقاط القمر الصناعي ولكنهم يؤجلون الأمر حتى يتأكدون وحتى لا تضيع الملايين التي صرفت على القمر الصناعي.. النبضات الالكترونية التي يرسلها القمر ولا يفهموها تثير حيرتهم .. لم يصلني منك ردًا على رسالتي السابقة .. أعرف أنه يجب علي أن أتوقف مثلك وأعود للسكون .. ولكن الأخوة يخافون حقًا .. خصوصا بعدما توصلت المباحث الفيدرالية إلى المركز AM .. لقد نقلت جثة هوفمان قبل وصولهم بفترة كافية ودمرت محتويات المركز بالكامل كما طلبت مني .. سأحاول الاختفاء عن عيونهم لفترة .. لا أعرف كيف أخفيت وجودك داخل البلاد .. وصلني تقرير من أحد الأخوة أنهم فتشوا عن كل ما يخصك في ملفات الدخول والخروج إلى الولايات المتحدة ولكنهم لم يعثروا على أي خيط يقود إليك ولم يتوصلوا إلى اسمك قطّ .. أنا أيضا حاولت الوصول إلى مكانك وفشلت.. أعرف أن عمر ربما ليس اسمك الحقيقي الآن ولكن لا يهمني .. وكأنك كنت شبحًا زار أمريكا ولم يترك وراءه أثرًا .. أنني بالطبع سعيد بهذا برغم حيرتي .. ولكني خائف أن يتوصلوا لي قبل تنفيذ المرحلة الأخيرة .. المصنع تلقى الشريحة الناقصة .. ولكننا أغلقنا المصنع الآن

..حتى لا يتحطم كل شيء .. شيء آخر مفزع حدث يجب أن أخبرك به .. بالطبع أنت تتذكر إبراهام ذلك الساحر القاتل الذي هاجم أوليجا صديقتك في الحفل .. هناك رسائل غامضة تدور بين مجموعة من السحرة يريدون الوصول إليك .. فقد أخبرهم إبراهام بشيء يخفونه يخصك ولا أعرف كيف أخبرهم ربما عادت روحه من العالم الآخر لتخبرهم فهؤلاء سحرة ملاعين .. حاولت الاتصال بأحد الأخوة بالداخل ليتحرى الأمر .. ولكنهم تقريبا لا يقولون أي شيء يخصك أو يتناقشون في العموم.. أنهم يخافونك ولا أعرف السبب هل تخفي شيئًا عني .. أحذر هذه المجموعة الملعونة من السحرة الذين يمارسون السحر الأسود بأبشع صوره لو وصلوا لمكانك سيمزقونك لأتفه الأسباب .. لقد اختفيت قبل أن يصلوا لي .. سأقول لك أين أنا في رسالة أخرى .. وربما لن أقول فلم يعد شيء مضمون هذه الأيام .. هؤلاء السحرة ليسوا بالسهولة التي تتصورها فقد تراهم فوق رأسك في أي وقت .. حاول أن تختفي.. أنني أدرك جيدًا أنك إذا أردت الاختفاء لن يصل إنسان مهما كان لمكانك لقد جربت بنفسي وتأكدت .. ولكن أحذر فالسحرة لهم طرقهم التي قد تدهشك .. أحاول الوصول إلى ميرنا ومعرفة مكانها كما طلبت أنت .. ولكني لم أعثر لها على أثر ..لا أفهم كيف هربت منك .. ولكن المرجح أنك أنت من أطلق سراحها ..لقد كانت خطة جيدة منك بزرعك ذلك الجهاز الدقيق في يد هوفمان .. والذي استطعت من خلاله التحكم في عقله ووضع الهلاوس المميتة التي جعلته ينتحر دون أن يدري..أهنئك ولو كان العزيز هوفمان حيًا لهنأك هو الآخر.. سأخبرك بالجديد إذا حدث .. انتظر ردًا منك لأطمئن على سير الأمور .. الأخوة المحترمون يرسلون لك تحياتهم .."

" ديفيد "

لم يدرك فتحي هل يبتسم أم يشد شعر رأسه .. المباحث الفيدرالية وتجمع السحرة .. ما الذي كان يحاول عمر الوصول إليه حقًا .. وكيف يقول ديفيد إن لعمر اسما آخر غير معروف .. أسئلة جديدة بلا إجابات .. لقد اعتاد فتحي الأمر.

أغلق فتحي الجهاز وعاد إلى فراشه وذهنه ممتلئ بالأفكار .. يعيد ترتيب القصة من جديد ..

عمر انضم إلى أخوية مجنونة يمارسون طقسًا غير مفهوم للسيطرة على العالم من خلال تفوقه التكنولوجي الغريب .. تلك المجموعة من الأخوة يدينون لعمر بشيء ما .. عمر قتل هوفمان كما هو واضح بالتحكم في عقله عن طريق شريحة إليكترونية دقيقة جدًا .. زرعها في يده عن طريق خاتم في حفلة عشاء .. تخلص من هوفمان وكان عليه أن يتخلص من ميرنا، ولكنه لم يقتلها ربما بنفس الطريقة زرع في عقلها أفكارًا شيطانية .. فالمشهد الذي رآه فتحي لميرنا في أنفاق الصرف الصحي يقول إنها جنت بالكامل .. إذا لقد حطم عمر عقلها بطريقة ما .. وأطلق سراحها .. أنه نوع من الانتقام المجنون ..

هرب عمر عندما انكشف أمره واستطاع أن يخفي كل ما يخص دخوله لأمريكا ولا يعرف فتحي كيف فعلها .. من المؤكد أنه سخر كل علومه وخبرته التكنولوجية لفعل ذلك .. الأمر الغريب أن عمر ظل يحتفظ باسمه برغم أن ديفيد يقول إنه ليس اسمه الحقيقي .. رسالة هوفمان التي أرسلها قبل نهايته لمكتب المباحث الفيدرالي جعلت عمر مطلوبًا للعدالة .. لا بدّ أنهم قلبوا أمريكا رأسًا على عقب للتوصل إليه دون فائدة .. فوقتها كان عمر في مصر التي عاد إليها بطريقة ما .. يعيش حياة عادية .. حتى صدم بخيانة أبيه فقتل تلك المرأة

.. أمه أدركت الأمر .. وأدركت أن عمر ليس نفس الشخص الذي تعرفه .. فقرر التخلص منها .. ولكن القدر لم يمهله فماتا سويا في حادثة. وهذا ما لم يكن عمر يحسب له حسابًا .

السؤال الآن .. متى تعلم عمر السحر هل بعد موت أوليجا أم أنه كان يمارسه كشيء إضافية مهر بجوار عمله في علوم الحاسب الآلي .. الجلي أن عمر قاتل ومدمر .. كان يعد خطة مجنونة هو ومجموعة تسمي نفسها الأخوة لفعل أشياء عجيبة لم تتضح لفتحي بعد .. ما هو الشيء الذي يخيف المباحث الفيدرالية" أف بي آي" لدرجة أنها تبحث عن عمر في كل مكان ؟

وما هذا الشيء الذي يرعب مجموعة من السحرة المجاذيب ويجعلهم يحاولون الوصول لعمر بأي طريقة ؟!

ظلت عقل فتحي مشتعلاً بالأفكار..

أغلق هاتفه المحمول فهو لا يريد أي مكالمة الآن ..

ولم يعرف متى بالضبط غطّ في نومه ..

*****

استيقظ فتحي وأزاح الغطاء جانبًا .. نظر للغرفة حوله وهو يتمطى بسرور.. لأول مرة منذ فترة يشعر أنه حصل على قسط واف من النوم .

لماذا يشعر براحة نفسية هذا الصباح .. لا بدّ أن الدواء الذي حرص على تناوله برغم الكوابيس الشديدة المفزعة التي كانت تضرب رأسه أتى مفعوله ..

قام ليرتدي ملابسه ..أعاد تشغيل هاتفه النقال ..ثم ضغط زر حاسوبه وهو يكمل ارتداء ملابسه.. فوجئ بالأيقونة الزرقاء في أسفل شريط المهام .. إذن هناك جزء جديد من اللعبة قد حمل وعليه أن يضغط زر البداية .. لم يكن لديه رغبة في تعكير صفو الصباح؛ فأغلق الجهاز قبل أن يضعه في حقيبته .. لن يحمله معه إلى الكلية اليوم .. يكفيه ذعرًا من أشياء جنونية ..

ارتفع رنين هاتفه المحمول .. نظر للرقم إنه كمال .. لم يرغب في أن يجيب ترك التليفون يرن وهو يضعه في جيبه ..

أثناء نزوله السلم .. رن الهاتف النقال مرة أخرى .. كمال مرة أخرى .. لن يرد .. سيمل كمال كالعادة بعد مكالمتين ولن يطلبه ثانيًا إلاّ بعد ساعات لو تذكر..

ولكنه فوجئ بالرنين يرتفع وهو يقطع الشارع مشيًا .. شيء بداخله يقول له : لا تجيب على هذا الاتصال ..

قرر ألا يركب المترو وهو يقترب من موقف الأتوبيس على بعد ثلاث شوارع من بيته .. الرنين في جيبه يتواصل هل يحول الهاتف للوضع الصامت .. ولكن لماذا هذا الإلحاح المتواصل من كمال .. أخيرًا ضغط زر استقبال المكالمة، فجاءه صوت كمال في عصبية :

- لماذا لا ترد ؟!

قال فتحي وهو يتطلع للميكروباص القادم الملئ بالركاب :

- خير ..

جاءه صوت كمال شديد التوتر وهو يقول :

- لقد تعرضت والدة وفاء لحادثة رهيبة .. نحن في المستشفى الآن .. تعال بسرعة ..

بلع فتحي ريقه وأحس بحلقه جافًا وهو يقول :

- أي مستشفى ؟

أخذ كمال يصف له عنوان المستشفى الذي نقلت إليه والدة وفاء .. بعد ثوان كان فتحي يبحث عن سيارة لتوصله للمستشفى .. لقد كان يتوقع يومًا دافئًا سعيدًا وها هو يبدأ بحادثة .. أشار إلى تاكسي في لهفة فتوقف ..ألقى بنفسه للداخل وهو يقول للسائق اسم المستشفى .. الطريق يمضي والزحام خانق كالعادة .. وشمس الشتاء تداعب المارّة ..

أخيرًا كان أمام المستشفى .. حاسب السائق وهو يجري في اتجاه الأبواب ويده على زر الاتصال بكمال الذي جاءه صوته عبر السماعة وهو يقول بسرعة :

- الدور الثالث .. العمليات.

راح يصعد الدرج قفزًا وهو في طريقه إلى الدور الثالث .. أمام غرفة العمليات كانت وفاء مستندة على الحائط، وكانت عيناها مليئتين بالدموع وجهها شاحب شحوب الموتى ..اقترب فتحي من كمال الذي كان يذرع الممرّ جيئة وذهاب في قلق بالغ، همس فتحي وهو يسلم على كمال قائلاً :

- ما الذي حدث ؟

زفر كمال زفرة حارة وهو يقول :

- أمس ليلاً كانت والدة وفاء تودع أحد صديقاتها من أجل سفرها للخارج .. وعندما نزلت من عند صديقتها واقتربت من سيارتها هاجمها لص وعندما قاومته ضربها على رأسها عدة مرات بآلة حادة ولاذ بالفرار .. حاولت وفاء الاتصال بك ولكن تليفونك كان مغلقًا، ولم يكن هناك وقت كي أمرّ عليك .. وحاولت الاتصال بك عدة مرات .. وفاء لا تكف عن البكاء منذ أمس .. حاولت تهدئتها بكل الطرق بلا فائدة ..هذه هي العملية الثانية التي تمرّ بها الأم منذ أمس .. الحالة خطيرة فعلا .

قال فتحي وهو ينظر لوفاء بعينين حزينتين :

- هل قبضوا على اللص ؟

هزّ كمال رأسه وهو يقول :

- للأسف حتى الآن لا.. ضابط المباحث كان هنا منذ قليل وانصرف بعد أن طلبتُ منه أن يؤجل أسئلته حتى تخرج الأم من العمليات ..

اقترب فتحي من وفاء لم يعرف ما الذي عليه فعله الآن .. وقف بجانبها وأخذ يدها بين يده وراح يربتّ عليها مطمئنًا .. وهو يقول إن كل شيء سيكون على ما يرام إن شاء الله .. رفعت عينيها إليه وبدت مستسلمة وهو يربت على كتفها من حين لآخر .. الصمت ران على الممرّ لا يقطعه سوى بكاء وفاء التي راحت تجهش بالبكاء ..

خرجت الأم من العمليات بعد ساعة تقريبا .. الطبيب طمنهم أنها إن شاء الله سوف تعيش ولكن الضربة كانت قوية قد تؤثر على حواسها .. وهذا ما سيعرفونه غدًا..

نقلت الأم إلى غرفة الإنعاش وسمح الطبيب لوفاء برؤيتها على ألاّ تطيل .. جلست وفاء بجوار أمها وهي تحاول أن تكبح دموعها دون جدوى .. بعد نصف ساعة دخل إليها فتحي بعد أن عرف من كمال أنها لم تذق النوم منذ أمس ولم تضع لقمة في فمها ..

استسلمت وفاء له وهو يسحبها خارج الغرفة .. بدت شديدة الضعف .. لا تعرف كيف تأخذ قرارها .. لا تريد أن تغادر مكانها . إنها تفقد أمها وهذا شيء يفوق احتمالها فهي كل ما تبقى لها بعد وفاة أبيها ..

وفي النهاية وبعد عدة محاولات يائسة من كمال وفتحي استطاعا إقناعها أن تذهب للفيلا لتغير ملابسها وترتاح قليلا.. فلا شيء في يدها لتفعله الآن ..

بعد فترة كانت سيارة كمال تقف أمام الفيلا فهبط فتحي ووفاء .. أخبره فتحي أنه سيظل معها وعليه أن يذهب هو الآخر ليرتاح ويعود في السابعة للعودة للمستشفى .. كمال كان يعرف حقيقة الحب الذي يربط قلب فتحي بوفاء فهزّ رأسه وهو يغادر محييًا لهما ..

جلس فتحي في بهو الفيلا .. بينما صعدت وفاء مع الخادمة للدور الثاني لتغير ملابسها ..طلب فتحي من الخادمة أن تجهز لها أي طعام وتحاول أن تجعلها تأكل ..

الدواء المهدئ الذي يأخذه فتحي يجعله وكأنه يعيش في عالم آخر .. يشعر أن ردود فعله متأخرة بعض الوقت .. طلب من الخادمة فنجان قهوة عندما نزلت وقالت له إنها وضعت وفاء في الفراش ..

شعر فتحي بخوف غريب بداخله .. لقد فكر بالفعل أن يحدث أي شيء يعطل سفر وفاء .. ولكنه لم يكن يتصور أن يكون هذا الشيء بأن تفقد وفاء والدتها .. دعا بداخله أن يمر الأمر على خير وأن تستعيد الأم عافيتها .. تذكر قول الطبيب إن الحادثة قد تؤثر على حواس الأم .. هذا أيضا سيحطم وفاء بكل تأكيد .. أية لعنة أصابت أصدقاءه ؟! تلك المصائب التي حدثت في الأيام الأخيرة كفيلة بأن تصيب أي شخص طبيعي بالجنون .

أتت الخادمة بالقهوة .. فراح يرشفها وهو في مكانه ..وهو يتطلع للفيلا بمحتوياتها الفارهة .. لقد كان للأم ذوق مميز بالفعل، ولها لمسة خاصة تشعر بها في كل شيء حولك من أناقة وجمال .

اتصل فتحي بأمه وأخبرها بالأمر وأنه قد يسهر الليل في المستشفى حتى تستقر حالة أم وفاء .. فدعت له أمه ودعت لوفاء ووالدتها ..

تحسس رقبته بيده كان يشعر بتصلب في رقبته .. مرّ الوقت عليه بطيئًا .. في الخامسة مساءً تقريبا كانت وفاء تهبط من أعلى، وجهها لا يزال شاحبًا، وكانت عيناها حمراوين من شدة البكاء .. أتت وجلست قبالة فتحي صامتة ، وران السكون لفترة .. وضعت الخادمة الغداء .. واقتربت من وفاء وفتحي تدعوهما للطعام .. فهزّت وفاء رأسها رافضة .. همست الخادمة لفتحي أن يحاول إقناعها بالأكل .. وبالفعل بعد عدة محاولات جلست وفاء إلى مائدة الطعام .. عيناها تدوران في محجريهما .. تضع لقمات بسيطة في فمها وتمضغ

شاردة الذهن .. عيناها تترقرق بالدموع .. يربتّ فتحي على كتفها .. تشعر بحنانه وحبه اتجاهها ولا تستطيع أن ترفضه الآن .. بعد الغداء عادا للجلوس صامتين ..كان الصمت أصدق لغة بينهما الآن .

في السابعة مساءً رن هاتف فتحي المحمول ، كان كمال الذي أخبره أنه ينتظرهما بالخارج .. قاما واتجها للخروج .. الخادمة تقترب من فتحي وتوصيه على وفاء .. فيطمئنها وهو يربت على يدها أن لا تقلق .

كان فتحي في هذه اللحظة قد نسى ديفيد والمرحوم عمر وحاسوبه اللعين واللعبة المميتة وكل ما يخص ذاك الجنون ..

كل شيء في حياته عليه أن يتوقف الآن .. لا شيء غير وفاء يشغله ..

كانت حالة الأم كما هي .. الطبيب طمئنهم من جديد أن الحالة مستقرة .. جلسوا في استراحة المستشفى .. وكل فترة يصعدون لغرفة الأم .. وفاء تجلس بجوار أمها لدقائق قبل أن يطلب الطبيب ترك الغرفة فلا مبرر لتواجدها ..

راحت الساعات تمضي بطيئة مملة محملة بالخوف .. لم يصدر عن الأم أي صوت يدل على إفاقتها .. كان من الجلي أنها واقعة في غيبوبة .. وستظل لفترة هكذا ..

بخطى بليدة كان الثلاثة يغادرون المستشفى في الثانية عشر ليلا تقريبا بناء على أوامر الأطباء ..وبستقلون سيارة كمال ..

عند الفيلا نزل فتحي من السيارة وأوصل وفاء لباب الفيلا وهو يحاول أن يجعلها تخرج من حالتها وقال : إنه سيكون عندها منذ الصباح الباكر غدًا ..

فهزّت رأسها ولم تنبس بحرف .. عاد فتحي بعد توديعها عند الباب لكمال الجالس في السيارة .. وبمجرد أن جلس بجانبه .. انطلق .. وفي عينيه نظرة حزينة.

لا يعرف فتحي متى دخل غرفته .. كان ساهمًا .. يشعر بقلق عاصف يضرب كيانه كله .. جلس على سريره وفك رباط حذائه وراح يخلعه، ثم قام وفتح الدولاب وأخرج منامته .. وخلع ملابسه ثم ارتدى منامته .. الحاسوب على وضعه منذ الصباح .. أخرجه من الحقيبة ووضعه على المائدة .. يشعر أنه كالمدمن الذي يفتقد جرعته من المخدر وهو يفتح الجهاز .. أيقونة اللعبة باللون الأزرق .. يضغط عليها وهو شارد الذهن ويضغط زر البدء .. اتسعت عيناه فرقا عندما راحت الشاشة تعرض أمامه مشهدًا له في الظلام واقفًا وقد لف وجهه بوشاح فلا تظهر إلاّ عيناه .. كان يختفي وراء أحد الأشجار وبيده عتلة حديدية .. يراقب سيارة واقفة .. بعد فترة ظل فيها ساكنًا في مكانه لمح والدة وفاء تقترب من سيارتها فتحرك من مكانه واقترب منها بسرعة .. التقت عيناها بعينيه لثانية، ورأت الشر في عينيه امتدت يدها لتدفعه بعيدًا ولكن يده تسمرت على يدها قبل أن يرفع يده الممسكة بالعتلة ويهبط بها على رأسها مرتين ، فتفور رأسها بالدماء وهي تشهق وتسقط على الأرض .. فيفر هاربًا والظلام يلف المكان.

تعود الشاشة لتومض .. فيرى المرحوم عمر يقف أمام المصعد في عمارته وهو يفك لوحة المصعد الالكترونية وعندما مد يده لاستخراج شيئًا من المصعد .. فتحت أمه الباب وكانت في طريقها للخارج ، وألقت عليه نظرة متسائلة قبل أن تضع يدها على فمها لتمنع شهقة كادت تنطلق .. فيرى في عيني عمر نظرة محذرة مهددة .. وأمه تتراجع للخلف بخوف وتغلق باب الشقة بعنف .

الشاشة تومض وتتغير المشهد .. يرى عمر يجلس في سيارة بجانبه ميرنا ذاهلة وملامح وجهها جامدة .. يقطع عدة شوارع بسيارته قبل أن يتوقف في منطقة تعج بالمتشردين فيفتح الباب ويطلب من ميرنا الهبوط .. فتنزل مستسلمة وملامح وجهها لا تتغير .. قبل أن يغادر عمر المكان مسرعًا ..

اختفت الصور من أمام فتحي الذي تراجع بظهره للخلف وهو يسب ويلعن .. هذا الجهاز يصمم على أن يصيبه بالجنون الكامل ..

إنه لم يغادر غرفته أمس هو متأكد من هذا .. ولكن اللعبة تؤكد أنه هو من هاجم والدة وفاء ..

تناول علبة الدواء ودفع في فمه قرصين ، وأغلق الشاشة بعنف وهو يتجه لفراشة ويأوي إليه ويمدد جسده محاولاً النوم ..

ومشهد والدة وفاء وهي تسقط والدماء تنبثق من رأسها يطارده بلا هوادة

******

(٢٠)

مرت ثلاثة أسابيع منذ خرجت والدة وفاء من غرفة العمليات .. ما تزال تفرق في غيبوبة كاملة .

في هذه الفترة تقارب فتحي من وفاء لدرجة مدهشة .. صباحًا يجبرها على النزول للكلية بعد الظهر يزوران أمها .. وفي المساء يعود فتحي للعمل ليدور في الشوارع بدراجاته البخارية .. المكالمات بين وفاء وفتحي لا تنقطع ليلاً أو نهارًا .. أصبح جزءا رئيسيًا من حياتها الآن وبشدة .. تعتمد عليه في كل شيء تقريبًا .. العلاقة تزداد قوة بمرور الأيام وكان هذا يسعد فتحي .. كمال يبارك العلاقة لأنه يعرف ما يكنه فتحي من حب لوفاء ..

في تلك الفترة قرر فتحي أن لا يفتح الحاسوب الخاص بالمرحوم عمر مرة أخرى .. كل ما توصل إليه عقله أن عمر عندما سافر للخارج تعرف على أوليجا وفي نفس الفترة أو بعد موتها انضم لمجموعة سرية من المجموعات الغربية القريبة للماسونية في تصرفاتها، وكان اهتمامه الأكبر بجهازه وأفكار المجموعة الغربية التي كانت تدور حول أنشطة القدماء وعلومهم السحرية وربطها بالتكنولوجيا حيث ظن عمر أنه اكتشف السر العجيب للمعركة الكبرى الهرمجدون .. صديقه الدكتور ديفيد كان جزءًا من المجموعة وساعده في جرائمه العجيبة المزعجة وأبحاثه المدمرة على المخ البشري .. عندما عاد عمر لمصر فارًا من المباحث الفيدرالية إثر زرعه لشريحة الكترونية عجيبة في قمر صناعي أوقع نفسه في عدة مشاكل جديدة منها موت صديقة أمه .. وفاته وضعت حدًا لاختفاء المجموعة السرية وانزوائها وخوفها من المباحث الفيدرالية أن تصل إليهم .. الشيء الذي لم يتوصل له عقل فتحي

هل حقيقة أن عمر من اخترع ذاك الكمبيوتر المحمول الملعون، الذي هيئ لفتحي أنه يفتح النوافذ الشرير والرغبات المميتة في عقل من يتعامل معه ويحققها بصورة عجيبة لا يفهمها ..

يشعر أحيانًا بحاجة ماسة لفتح الجهاز ولكنه يرفض حتى الآن .. يجد أن المقاومة تفيده ومنذ قرر هذا لا أحداث سيئة جديدة ..

أبوه لم يعد يتحرك ليلاً في الصالة .. بل ظل قعيدًا في غرفته .. مال على أمه وأخذ منها المبلغ الذي كان يدخره من فترة لشراء حاسب آلي، فقد كان يحتاج لنقود في جيبه في تلك الفترة .. لا يريد أن يبدو أمام وفاء مقصرًا في أي شيء .

الحياة أصبحت أفضل بالتأكيد برغم أن والدة وفاء ما زالت في غرفة الإنعاش ينتظرون معجزة لتعود مرة أخرى للكلام والحركة .. شهور قليلة ويتخرج من الجامعة ويصبح أول الطريق لتحقيق أحلامه ممهدًا .

كان كل شيء قد عاد هادئًا وطبيعيًا حتى ساعات مضت عندما تلقى تلك المكالمة من وفاء وهي تبكي بحرقة بأن والدتها قد ماتت ، وأنها تحتاجه بجانبها..

حزن جديد يضرب حياة وفاء ويحطمها .. ولكن في نفس الوقت هذا الحزن بداية لتحقيق أحلامه .. فلن تأخذها الأم الآن خارج مصر..

كانت وفاء في غرفتها تبكي بشدة ، وفتحي يطلب منها أن تنزل لتلقي العزاء من المعزين .. فاستسلمت وهي تعرف أنه لم يتبق لها سوى فتحي الآن بجانبها ..ونزلت لتجلس وسط المعزين في بهو الفيلا ..

بينما وقف فتحي بعد أن أنهى مراسم الدفن صباحًا يتلقى العزاء من الجيران والأصدقاء ..

تأكد للجميع وقتها أن حياة وفاء القادمة ارتبطت بفتحي وأثار هذا غيرة البعض .. ولكنهم كتموا غيرتهم بداخلهم وهم يعزونه ويعزون وفاء ..

مرت الليلة برغم كل شيء بسلام .. فقد غادرت الأم وتركت له وفاء وهو لن يتخلى عنها أبدًا وبأية صورة ..

تأكد فتحي من خلود وفاء للنوم عندما غادر الفيلا في الثانية عشر ليلاً تقريبا .. كمال كان ينتظره وقام بتوصيله للبيت ..

لم يعرف فتحي لماذا أحس عندما دخل غرفته بحاجة ماسة لفتح الجهاز..

لا بدّ أن اللعبة قد انتهت الآن ..

فلا جديد تضيفه اللعبة الآن .. ولكنه فتح الجهاز وتطلع لأيقونة اللعبة الذي تركها منذ أسابيع ..

لاحظ أن الضوء الأزرق للعبة يضيء .. ضغط الزر وأخذ يتطلع إليها بنهم مدمن ..

المشهد هذه المرة مختلف .. الصورة له في مكان ما .. يقف فوق رأسه ثلاثة رجال بملابس سوداء ضخام الجسد كلهم تقريبا في نفس الطول أنه يعرفهم بالتأكيد .. قاعة ممتدة وهو يجلس وهناك ممصات عجيبة ملتصقة برأسه وصوت يصل لأذنيه ولا يعرف من يوجهه إليه قائلا :

- لقد حاولنا إنقاذك في البداية ظنا منا أنك نفس الشخص الذي فتح البوابة ولم يغلقها .. ولكن اتضح لنا أنك لا تعرف أي شيء .. لقد فعلها شخص غيرك عندما اكتشف تلك البوابة للبعد الأخير .. ذاك البعد الذي تسكن فيه كل مخاوف البشر وشياطينه .. أنه بعد غير مرئي لأحد وقد يظن الجميع أنه غير موجود .. ولكنه ذاك البعد الذي يحفظ كل الأفكار الشرير على مر العصور .. قليلون من تجرؤا من قبل على هذا وحدثت ويلات للأرض لا حد لها .. حاولنا بكل جهدنا .. أن نقف أمام هذا .. ولكن الشخص الذي قرر أن يفتح هذا البعد مرة أخرى كان شديد العلم بدرجة مزعجة ورهيبة، واستعان برموز القدماء التي حفروها على تمثال قديم لا نعرف كيف عرف مكانها بدقة، ولكنه توصل إليها ، ونقلها وحدد بداية المعركة قد تكون من أين .. أننا لا نعرف صلتك به، ولكن تتبعنا لك يثبت أنه لم يكن لك دخل فيما حدث .. ولا نستطيع أن نتوصل إلى من هو الآن برغم قدرتنا على معرفة أنك لست نفس الشخص، فليس لديك تلك العلوم الفائقة والسحر الغامض .. بالطبع أنت تتساءل من نحن .. نحن المنقذون حراس ذاك البعد الأخير .. تلك الطاقة الشريرة التي لو خرجت من مكمنها ستقضي على ملايين البشر وبصورة لم تتخيلها قطّ .. فما ظنك عندما يكتشف الجميع أن لديهم القدرة لتحقيق كل رغباتهم المدفونة، ستكون كارثة تفوق أي تصور أو عقل .. ربما تكون تلك رسالتنا الأخيرة لك .. فهناك شيء أقوى منا يبث إشارته المجنونة الآن .. حاول أن توقف هذا الشيء لو استطعت أنت .. رسالتنا الأخير لك تخلص من الجهاز بأقصى سرعة تستطيعها فقد يكون الحل في هذا .. نحن نبث رسالتنا من خلال اللعبة بعد أن استطعنا اختراقها لبعض الوقت، ولكننا لا نضمن أن نلتصر عليها .. وفي النهاية هذا تحذيرنا الأخير...

راح الصوت يخفت ويتداخل قبل أن تختفي صورته وصورة من يدعون نفسهم المنقذون من على الشاشة ..

وبدا أن اللعبة تستعيد سيطرتها على نفسها فأمام عينيه تراصت صور لأبطال اللعبة .. صور له ، ولزمين ، وللمرحوم عمر ، وأمه وصديقتها ، ووائل ، وأوليجا ،وهوفمان ، وميرنا، وديفيد والأستاذ وجيه ..حتى الست عيشة ظهرت صورتها كبطل من أبطال اللعبة .. راحت الصور أمامه تدور بعنف، وأخيرًا رأى مشهدا آخر ..

عمر يتشاجر مع أمه التي تبدو خائفة منه وفي نفس الوقت تتحداه .. أنها تخبره أنه ليس ابنها الذي ربته فهو شخص آخر مجنون قتل صديقتها .. أنها تعرف فقد رأته يقف بجوار المصعد ويعبث بالعلبة الإلكترونية للمصعد .. تختفي المشاجرة يرى فتحي سيارة تمضي في طريق .. عمر يقود وأمه بجواره .. تقف السيارة أمام مول ضخم .. ينزلان وبعد فترة يعودان للسيارة ويضعان مشترياتهما في السيارة .. الأم تبتسم لعمر وتقول إنها هي من ستقود في طريق العودة فهو يسوق بسرعة ترعبها ..

بعد فترة يرى فتحي السيارة تقطع الطريق بهدوء وفجأة تضغط الأم على دواسة البنزين بعنف شديد وبأقصى قوتها.. ينتبه عمر فتتسع عيناه وهو ينظر إليها ولكنه يلاحظ ذاك الضوء المهر في عينيه قبل أن يحدث الاصطدام بلحظة فقط ، وضعت الأم السيارة أمام شاحنة ضخمة فدهستهما معًا .. وراحت الصورة تهتز بعنف وكأن اللعبة أغضبتها تلك النهاية ، قبل أن يصدر صوت عجيب قوي وتتحول الأيقونة للون الأحمر.

وهذا يعلن أن هناك أجزاء من اللعبة لم تتم بعد .

يحتاج إلى الدواء المهدئ الآن .. وربما عليه أن يزور الدكتور محسن ، فهو في طريقه للجنون بكل تأكيد ..

أي بعد أخير هذا الذي يتكلم عنه هؤلاء الذين يسمون نفسهم المنقذون .. ولماذا يصدقهم ربما كانوا جزءً من اللعبة أو جزء من أوهامه وهلاوسه .. أنه لم يعد واثقًا في أي شيء.. الحقيقة والوهم ..أنهم لم يستطيعوا الوصول لعمر لأنه قد مات .. انتقل إلى بعد أخير لا تستطيع أي قوة أن تخترقه حتى قوة الشياطين نفسها كلها مجمعة..

******

خاتمة (١)

« عزيزي عمر .. هذه ربما تكون آخر رسالة مني لك .. أنهم قد توصلوا إلى مكاني للأسف لن أستطيع أن أفيدك في الفترة القادمة بشيء فأنني سأكون قد غادرت الدنيا .. لن أسمح لهم أن يمسكوني قط .. لقد رصدت كاميرة المراقبة للبيت اقترابهم .. أمامي عشر دقائق تقريبًا قبل أن يصلوا لي .. سأحاول الاختصار قد الإمكان وبعدها سوف أدمر كل بيانات الكمبيوتر بالفيروس الخاص الذي أعطيته لي، فلن يقع في يدهم صدقني .. الشحنة جاهزة .. برغم اختفائك هذه المدة الطويلة ولكن بمجرد عودتك تم تجهيز كل شيء كما اتفقنا قبلا .. الأصدقاء يعتبرون موتي نقطة الانطلاق .. لقد بدأت النبضات تعود مرة أخرى عندما عدت أنت .. أعرف أنك تقرأ رسائلي فعندما تفتحها تصلني رسالة بإطلاعك عليه .. ولكن للأسف لن أرى هذا التأكيد هذه المرة .. خذ حذرك جيدا .. فهم تقريبا بدأوا يتوقعون حركتك القادمة .. تحياتي .. فلم يعد أمامي الكثير .. حياتي ملك للأخوية »

ديفيد .

قرأ فتحي الرسالة عدة مرات في ذهول تام .. كانت الرسالة معنونة بـ " بالرسالة الأخيرة "

مهما كان فقد دفع ديفيد نظير أخطائه .. كانت الأيقونة بالأسفل تحولت للون الأزرق .. داس زر تشغيل اللعبة..

الشاشة تضيء .. اللعبة تستمر وهو محدق فيها بعينين مشدوهتين فأن اللعبة كانت تنقل قتال في كل مكان .. قنابل تسقط على القاهرة .. عمارات

تساقط بعنف .. عربات تصطدم ببعضها .. أشلاء ممزقة في كل مكان .. طيارات تحلق وتهوى بعنف .. كل شيء يتحطم أمام عينيه .. الرعب في أقصى صوره .. الأهرامات تتساقط .. صورة أخرى للإسكندرية والبحر يتمرد بقوة رهيبة ويكتسح ما أمامه .. أعاصير مدمرة في كل مكان .. جثث لا حصر لها في الشوارع وتحت الأبنية المهدمة .. الناس تقتل بعضها في الشوارع.. رؤوس فقدت معالمها .. أياد ممزقة وأطراف أصابع .. بطون مبقورة .. وجوه شوهتها النيران التي تندلع في كل مكان .. مشاهد من عواصم أجنبية تتساقط ..صورة عش الغراب المشهور للانفجار النووي .. برج القاهرة يسقط .. مياه النيل لا تراها من كثرة الجثث .. العالم يمضي إلى زوال ما هذا الجحيم ؟ إنها الهرمجدون .. كما تتصور الأخوية .. النهاية التي لا يستطيع فتحي أن يصدقها وهو يتطلع للدمار الذي تنفله اللعبة .. بعد دقائق راحت مشاهد أكثر بشاعة تعرض أمام عينيه المتسعتين رعبا .. انطلق صوت مرتفع من اللعبة قبل أن يرى على الشاشة كلمة " اللعبة انتهت "

وتحولت الأيقونة في أسفل شريط المهام للون الأخضر..

حاول فتحي إعادة تشغيل اللعبة عدة مرات ولم يصل لنتيجة .. ما معنى اللون الأخضر ؟!!

هل هو بداية تلك البشاعة التي رآها .. يجب أن يتخلص من هذا الجهاز الملعون الآن .. وبأي ثمن ..

جلب مطرقة من المطبخ ووضع الجهاز على الأرض وراح يحطمه بكل قوته .. ولكن المدهش أن الجهاز لم يتأثر ولم يصبه خدش .. ضرب الشاشة بالمطرقة

مئات المرات حتى تصبب العرق عن جسده وظلت الشاشة مضيئة .. مما صنع هذا الجهاز؟! مستحيل !..

رفعه وقذفه للأرض عدة مرات بلا فائدة .. يجب أن يفكر في طريقة لتخلص منه أنهم لم يقولوا له كيف يتخلص منه .. أفضل شيء أن يعيده إلى الأستاذ وجيه .. ربما هذا هو الحل الوحيد ..

كان يهبط السلالم بسرعة رهيبة وهو يحمل الجهاز على كتفه ..

رمى نفسه في سيارة أجرة وأعطاه عنوان عمارة الأستاذ وجيه ...

بعد فترة هبط من السيارة وراح يصعد السلم بكل قوته .. قلبه ينبض بقوة وعنف رهيبين .. يقف أمام الشقة .. يخبط عليها عدة مرات ويرن الجرس ..لا يسمع صوتًا من الداخل .. أين ذهب هذا الرجل الآن .. سيخبط على الجيران..

خبط على الباب المقابل فخرج له رجل أربعيني بملابس البيت .. تطلع لفتحي متسائلاً ، سأله فتحي عن الأستاذ وجيه وهو يشير للشقة المقابلة .. تراجع الرجل وظهر عليه الخوف قبل أن يجيبه أن الشقة شاغرة منذ مدة طويلة وأن الشخص الذي يسأل عنه قد مات في حادثة منذ فترة بعيدة ..هو وزوجته وابنه الوحيد ..قال فتحي وقتها مستحيل ما تقوله .. لقد كنت أحضر إليه طلبات الدليفري منذ فترة قصيرة .. أغلق الرجل الباب في وجه فتحي خائفًا وهو يظنه مجنونًا ..

الشقة فارغة .. الأستاذ وجيه مات في الحادثة مع عمر وزوجته .. مستحيل !!

من إذن الذي كان يطلب الوجبات ومنحه الجهاز .. ولماذا أعطاه له هو بالذات؟

أسئلة لم يجد لها أية إجابة وهو يغادر العمارة .. هل خدعه الساكن، فسوف يسأل ليتأكد .. اقترب من سوبر ماركت أمام العمارة وأستأذن صاحبه أن يسأله عدة أسئلة بخصوص الشقة التي يسكنها الأستاذ وجيه في العمارة .. جاءت إجابات صاحب السوبر ماركت مطابقة لإجابات الجار..

وقف فتحي أمام المحل لفترة يتطلع للشقة المظلمة .. وعقله يكاد ينفجر .. سيعود للمحل سينتظر هاتف الثانية عشر ليلاً المعتاد .. سوف يؤكد للجميع أن هناك الأستاذ وجيه يسكن تلك الشقة .. أن عقله سليم ولم يجن بعد .

أشار إلى تاكسي وألقى بنفسه بداخله .. بعد فترة وقف أمام المحل ..متطلعًا .. تعجب الجميع لحضوره، فهو قد طلب إجازة اليوم .. وهو لا يحضر في أيام الإجازات .. جلس بجوار الكاشير الجديد وأفهمه أنه سينتظر مكالمة واحدة من الأستاذ وجيه ذلك الرجل الذي يطلب طلبه في الثانية عشر ليلاً ..

وقف خارج المحل وراح ينتظر الاتصال في لهفة ودقات قلبه ترتفع مع كل رنين .. ما زال يحمل الجهاز على كتفه في حقيبته .. كانت الساعة حوالي العاشرة مساءً عليه أن ينتظر ساعتين .. سيشرب الشاي في المقهى المجاور ويعود .. جلس على المقهى وهو ينظر لساعته كل دقيقة .. مرّ الوقت عليه بطيئًا .. الساعة تقترب من الثانية عشر ليلاً .. دقائق قليلة .. خمس دقائق .. أربع دقائق .. دقيقتان .. دقيقة .. ارتفع الرنين في الثانية عشر بالضبط، فتطلع فتحي ليد الكاشير التي رفعت السماعة .. وقتها كاد قلبه أن يتوقف .. فالصوت الذي يملي الطلب كان ينبعث من حقيبة يحملها على كتفه .. فتح الحقيبة

بسرعة قبل انتهاء المكالمة وأخرج الجهاز وفتح شاشته .. وجد الصوت يصدر من الكمبيوتر المحمول .. نبرة الصوت .. بكل التفاصيل المعتادة وعلى الشاشة ارتسمت صورة للمرحوم عمر كما يعرفه ضاحكًا قبل أن تختفي من على الشاشة .. اللعنة !

حاول أن يلتقط أنفاسه وهو ينظر للشاشة التي تحولت لمنظر طبيعي عادي .. فأعاد الجهاز للحقيبة وهو شارد الذهن غير مصدق.. من المستحيل أن يكون عمر من يحرك كل شيء من البداية .. لماذا؟!

كان على أحد أن يعيد تشغيل الجهاز لتفعيل اللعبة .. وكانت تلك هي الخطة البديلة لو حدث لعمر شيء .. لماذا أختاره هو بالذات ..أي هلاوس وأي جنون جديد يضرب كيانه ..

استجمع فتحي شجاعته وهو يفكر في حل .. لن يكون أمامه سوى دفن الجهاز .. وفي المكان الذي رآه يتكرر كثيرًا .. الأهرامات .. يجب أن يخفيه داخل الأهرامات ..

استعار دراجة بخارية من زميل في العمل قال إنه سيقضي مشوارا صغيرا ويعود ..

انطلق بالدراجة النارية بأقصى سرعته أنه يسابق الوقت ولا يعرف لماذا .. صوت غريب كأزيز يصدر من الجهاز الذي يحمله على كتفه .. هل يقرأ الجهاز أفكاره .. يطلق العنان للدراجة يغازل السيارات والمارة كعادته .. الأزيز يرتفع وهو منطلق .. يشرد للحظة لا يلاحظ الإشارة.. لقد كانت خضراء منذ ثوان .. سيارة نصف نقل تهجم عليه وهو منطلق يحاول أن يتفادها .. لقد خدعته

الإشارة .. فقد كانت خضراء أمام العربة النصف نقل أيضا ..القادمة بسرعتها .. لقد فهم لماذا ارتفع أزيز من حاسوبه الآلي وهو يطير في الهواء لأمتار قبل أن تصدمه السيارة ..ويسقط على الأرض فاقدا الوعي..

وقد انفجرت رأسه بالدماء بصورة مرعبة ..

السيارات تقف ..المارة يلتفون حوله .. يحمله بعض المارة إلى الرصيف .. يصرخ أحدهم أن يطلبوا الإسعاف ..

فتحي يشعر بكل هذا، ولا يستطيع أن ينطق .. الجهاز ما زال معلقًا في رقبته .. والدماء تغرق الحقيبة ..

الإسعاف تأتي بعد فترة وهو ملقى على الرصيف .. السائق يصرخ أنه من قطع الطريق وإشارته كانت خضراء ..

الترويللي وهو يجري في ممرّ المستشفي قبل أن يتوقف .. شخص يخلع عنه ملابسه ويفضي جيوبه .. هاتفه المحمول ،بعض العملات، بطاقته .. بينما ممرضه تأخذ الكمبيوتر المحمول المعلق في رقبته وتعطيه لممرضة أخرى وتطلب منها أن تضعه في الأمانات ..

غرفة العمليات .. الإضاءة فوقه .. يريد أن يصرخ لهم أن لا فائدة ولا يستطيع .. يرى إصبعه وهو يلمس البصمة الخاصة بجهاز الكمبيوتر المحمول .. ونقطة الدماء عندما يشعر بتلك الشكة ، يرى لأول مرة نقطة الدماء وهي تختفي داخل الجهاز قبل أن تتحول لشيء يشبه خيوط عنكبوت دقيقة وتتوغل على الشريحة الإلكترونية الداخلية .. أنه لا يفهم كيف يرى هذا ..

في الخارج كان البعض يتساءل عن هويته .. هاتفه النقال بجوار محفظته .. تقلب الممرضة الأرقام لترى ممن تتصل .. أقرب نمرة إليها وتكررت كثيرة كانت مسجلة باسم حبيبتي .. لا هي كامرأة لا تستطيع أن تنقل خبرًا كهذا لحبيبته .. النمرة الأخرى كانت مسجلة باسم كمال .. اتصلت به .. رن المحمول عدة مرات قبل أن يأتي صوت كمال قائلاً :

- لا تطلب مني أن أجيء لأوصلك الآن لأي مكان..

ولكنه صمت ولم يكمل كلامه عندما جاءه صوت غريب .. وراحت الممرضة تقول له ما حدث في جمل مقتضبة سريعة ..

مرّت ثلاث ساعات تقريبًا وفتحي في غرفة العمليات ..كان كمال قد وصل ووقف أمام الباب وهو لا يستطيع التنفس تقريبًا .. أنه أخر أصدقائه من الشلة المنحوسة .. اللعنة !

تراجع كمال بظهره عندما شاهد الدكتور يخرج من غرفة العمليات وعلى وجهه اتضحت النتيجة.. فلم ينبس الطبيب بكلمة وكمال يقترب منه متسائلا .. ربت على كتفه ، بينما قالت ممرضة وراءه :

- البقاء لله .

تساقط كمال على أقرب مقعد إليه ، اقتربت ممرضة أخرى منه بعد دقائق طالبة منه أن يتصل بأهل المتوفي ليتسلموا متعلقاته ..

طوال الطريق إلى بيت فتحي لم يعرف كمال كيف ينقل الخبر لأم صديقه .. كيف فجأة يقول لها إن فتحي مات !!

صعد السلالم يتخاذل .. دق الباب بهدوء قدر استطاعته .. فتحت له الأم ونظرت في عينيه الحزينتين.. أدركت ربما قبل أن يقول .. أبوه القعيد لن يستطيع النزول معهما الآن .. لنصف ساعة كاملة حاول كمال تهدئتها .. والأب يحاول التماسك في غرفته ..

لم يعرف كيف قطع الطريق عائدًا إلى المستشفى .. والدة فتحي حاولت التماسك وهي تلقي نظرة أخيرة على ابنها .. قال لها كمال ألا تقلق فهو سيشرف على كل إجراءات الدفن والتصاريح ... ضابط مباحث في الاستقبال يأخذ بيانات الحادثة .. السائق الذي صدم فتحي معه..اكتفى الضابط بتسجيل متعلقات القتيل قبل أن يسلمها لكمال والأم المنهارة .

الغريب في الأمر عندما تسلم كمال الحقيبة التي بداخله الحاسوب لم يكن عليها نقطة دماء واحدة .. الممرضة نفسها شكت في عينيها وهي تسلمه الحقيبة وباقي المتعلقات ..

قرب كمال المتعلقات من الأم .. أشارت للجهاز بخوف وهي تقول لكمال :

- خذه لا أريده .. فمنذ أن جاء به للبيت أصبح شخصًا آخر..

طلبت منه طلبًا أخير وهي تعطيه مفاتيح شقتها إن يأتي بوالد فتحي، فيجب أن يلقي على ابنه نظرة أخيرة ..

غادر كمال المستشفى وعلى ظهره ذاك الجهاز الذي عرض على صديقه عدة مرات شراءه ورفض .. أصبح ملكه الآن .. ولكن بعد حادثة مميتة وضعت نهاية لحياة صديقه ..

ولكنه لم يدرك قط أن ما يحمله على كتفه قد يكون نهاية للجميع ..

عندما كان يضع الحقيبة بالجهاز في الكرسي الخلفي .. كانت هناك أمور أخرى تحدث .

فهناك في منطقة أخرى بعيدة عن القاهرة ، وبالضبط في ميناء الإسكندرية كانت هناك حاوية كبيرة محملة بأجهزة كمبيوتر محمول جديدة وكلها عليها علامة "AM"

تهبط على رصيف الميناء .. وهناك شخص يستلمها ..

شخص كان داخل لعبة مجنونة ..

عرفه المرحوم فتحي باسم عمر .

*****

أفاق فتحي فجأة فزعًا يتحسس رأسه ..لا أثر لدماء في رأسه أو حتى خياطة جرح .. مجرد كدمة بسيطة في الخلف .. كيف هذا أنه متأكد أن السيارة صدمته، وطار لأمتار قبل أن يسقط على الأرض .. الجهاز .. أين الجهاز ؟! لقد كان معلقا في كتفه ..

اللعنة لا بدّ أنه سرق .. تطلع فتحي حوله أنه في المستشفى بالفعل .. هذه غرفة مستشفى .. وهذا سرير مستشفى ..

عقله متذبذب لا يفهم .. أشعة الشمس تتسلل بهدوء إلى الغرفة .. نهار مشرق .. يزيح الستارة ويقف وهو ينظر للأسفل .. هناك بعض المرضى يتريضون في الحديقة .. وممرضات تساعد البعض على المشي.. عربتان إسعاف واقفتان أمام باب الاستقبال ..

فُتح باب الغرفة بعد قليل ودخلت ممرضة وعندما رأته واقفًا :

- حمد الله على السلامة .

تمتم شاكر وهي تردف قائلة :

- شككنا في ارتجاج بسيط في المخ .. ولكن كل شيء على ما يرام .. لقد اتصلنا بالأرقام الأولى التي وجدناها مسجلة على هاتفك ..

قال فتحي متسائلاً :

- منذ متى وأنا هنا ؟

أجابت الممرضة بهدوء وهي تنظر في ساعتها قائلة :

اثنا عشر ساعة تقريبًا .. جئت في الواحد صباحًا في عربة الإسعاف والساعة الآن تقترب من الواحدة ظهرًا.. سأطمئنهم بالخارج ..

غادرت الغرفة فعاد فتحي للسرير وهو يقول :

- لا بدّ أن أمه بالخارج ..

ولكن ظهر فتحي اصطدم بالسرير الحديدي وهو يرى من فتح الباب ودخل ..

لقد كانت صديقته المنتحرة نرمين ..

قبض على عمود السرير بعنف وهو يرى تلك الابتسامة على شفتها . وبعد ثانية دخلت وفاء وكمال وفي النهاية دخل صديقه المنتحر وائل يحمل باقة ورد وهو يقول :

- تفضل يا سيدي باقة وردة بخمسين جنيهًا ..

لقد اتصلت الممرضة بالفعل بالأرقام المسجلة على تليفونه ولكنها اتصلت أيضًا بالأموات .. هذا ما قاله فتحي لنفسه وهو يراهم أمامه .. أية هلوسة هذه ؟!

اقترب كمال منه بينما أخذ فتحي يتراجع بظهره وكمال يقول :

- أنت طوال عملك تصعد على السلالم لماذا هذه المرة قررت تركب المصعد .

قال فتحي وهو يحاول أن يتنفس ونبضات قلبه ترتفع لأقصى حد :

- ما الذي يحدث ؟

ابتسم كمال وهو يربت على كتفه قائلا :

- لا شيء حضرتك كنت تقوم بتوصيل طلب كالمعتاد وتعطل بك المصعد ..

ولا بدّ أنك تخاف من الأماكن الضيقة .. ربما كانت عقدة لديك .. ولكنك فقدت الوعي وسقطت داخل المصعد .. والرجل طلب لك الإسعاف ونقلك لهنا ..ما بك هل فقدت الذاكرة ؟!

قالت وفاء بابتسامة مشرقة :

- ربما يريد أن يعرف هل هو عزيز لدينا أم لا..

بينما قال وائل بنفاد صبر:

- هيا يا رجل .. الدكتور قال إن لا شيء لديك وتستطيع الخروج ..

قال نرمين بصوتها المعروف لأذنيه :

- الحمد لله الممرضة لم تخبر أمك بالأمر .. الأفضل أن تقول لها إنك تأخرت في عملك وطبقت ورديتين ..

وقالت وفاء بابتسامة :

- لا نريد أن نتأخر عن محاضرة الدكتور عصام .. أنت تعرف أنه لا يرحم .

تجهم فتحي وهو يردد :

- الدكتور عصام أيضًا !!

مد فتحي يده في جيوبه يفتشها بسرعة .. مستحيل هذا وهم جديد .. ولكن يده اصطدمت بالمبلغ الذي ادخره لشراء جهاز الكمبيوتر المحمول في مكانه..

غادر الجميع المستشفى وهم يضحكون.. بينما كان فتحي يمشي وسطهم وهو في قمة الذهول مما يحدث .. أكل ما صار له مجرد وهم ..

مستحيل أن يكون هناك وهم بهذه الصورة الرهيبة .. هذا عبث !

ولكن لو التفت خلفه ليلقى نظرة أخيرة على الممرضة التي دخلت غرفته منذ قليل ورأى ذلك الحاسب الآلي الفضي الذي تحمله بين يديها وتسنده على ركبتيها مفتوحًا في الحديقة ومكتوب على ظهره AM.. ربما سقط مكانه ميتًا في اللحظة نفسها ..

فقد يكون قد تحول الآن لجزء جديد من اللعبة ..

أو ربما هو الآن في بعد آخر .. قد يكون البعد الأخير...

تمت بحمد الله

الأخير

من منهم كان يستحق الحياة . ومن حكم عليه القلم ليضع نقطة النهاية في حياته.

من منهم الأخير . من عليه الدور ليذهب لهناك . في تلك اللحظة التي يقرر فيها الذهاب .

هل يتحكم القلم حقا بمصير أبطالنا أم أن المؤلف يحكم قبضته على الشخصيات .

أم أن الشخصيات نفسها هي من أصبحت تكتب تاريخ حكايتها وأسرارها .

ISBN 9789776436527